



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة باتنة 1 - الحاج لخضر
كلية اللغة والأدب العربي والفنون
قسم اللغة والأدب العربي



العدول الصّرفيّ في صحيح البخاري - دراسة دلاليّة -

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في علوم اللسان العربيّ

إشراف الأستاذ الدكتور:
بلقاسم دفة

إعداد الطالبة:
كريمة خوازم

أعضاء اللجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة العلميّة	الجامعة	الصّفة
أ.د. زغدودة دياب	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة-1	رئيساً
أ.د. بلقاسم دفة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة-1	مشرفاً
د. توفيق بن خميس	أستاذ محاضر	جامعة باتنة-1	عضواً
د. يوسف قسوم	أستاذ محاضر	جامعة تبسة	عضواً
د. عزوز ختيم	أستاذ محاضر	جامعة مسيلة	عضواً
د. صالح بوترة	أستاذ محاضر	جامعة أم البواقي	عضواً

السنة الجامعيّة: 1441هـ - 1442هـ / الموافق: 2020م-2021م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

﴿ سيأتيكم أقوام يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم

فقولوا لهم: مرحباً مرحباً بوصية رسول الله صلى الله

عليه وسلم ﴿

الإهداء

إلى من كانا سبباً في وجودي، إلى من بسببهما تُفتح أبواب الجنة للبارئين بهما، إلى من قرن عبادته ﷻ بالإحسان إليهما، إلى والديّ الكريمين اللذين سانداني وباركاً كل خطوة خطوتها في سبيل تحصيل العلم، فأحمد الله كثيراً على بقاءهما على قيد الحياة، وحضورهما هذه اللحظات التاريخية ليشاركاني فرحة قطا في ثمار عملي، والذي لولا دعواتهما لم وصلتُ إلى ما وصلتُ إلي، فأطال الله عمرهما وبارك فيه حتى يبقى بابا الجنة مفتوحين .

إلى مروح ابنة أختي الطاهرة "هيبة" والتي غادرتنا دون سابق إنذار، وبرحيلها عنا تركتُ فراغاً رهيباً، حتى أن فرحتنا لم تكتمل لعدم وجودها معنا، فطالما أنها انتظرتُ هذا الموعد الهام، وخاصة أنها شاركتُ في إنجاز هذا العمل، ولكن الموت كان أسبق، والموت حق ولا نقول إلا ما يرضي الله، ونرجو أن نجتمع بها في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

إلى مروح ابن خالتي الطاهرة التي تنام في أظھر بقعة "مكة المكرمة" الدكتور "المجندي" والذي كان يُقدس العلم والعلماء، وطالما كان يسألني عن رسالتي ولم يكن يعلم ولم نكن بدورنا نعلم أن الموت أقرب من كل شيء .

إلى هؤلاء جميعاً أقدم هذا العمل الذي كان عربون شكر لبعضهم وتخليداً لذكرى بعضهم الآخر .

شكر وعرفان

نحمد الله أولاً وآخراً على توفيقه، والذي مكّني من إنجاز هذا الرسالة، فمننا الاجتهاد
ومنه السداد.

- في البداية أتقدم بآيات الشكر والعرفان لأستاذي الدكتور "بلقاسم دفة"؛ فأشكره أولاً
على قبوله الإشراف على رسالتي وعلى الثقة التي منحني إيّاها وهذا دون سابق معرفة
شخصية بي، وأشكره ثانياً لأنه وجّهني لموضوع الرسالة والتي لم أمل في إعدادها، وطيف
بيل الإنسان من الاستماع والتدبر في كلام خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام، وأشكره
ثالثاً على تقديمه النصح والإرشاد والتوجيه طيلة سنوات الدراسة، فمهما بلغت عبارات الشكر
والعرفان والتثناء فلن أوفيه حقه، فأثابه الله عنا خير الجزاء.

- كما أتقدم بالشكر والتقدير والامتنان لأعضاء اللجنة المناقشين الذين نلتُ شرف
قبولهم مناقشة والحكم على رسالتي، فأرجو منهم أن يقبلوا اعتذاري عن كلّ نقص بدر مني،
وسأعمل على تداركه مستقبلاً، وجعل الله ذلك في ميزان حسناتهم.

- وفي الأخير أتقدم بعبارات الشكر لأخوي "بشير" و"إبراهيم" واللذين كانا سنداً لي
طيلة سنوات الدراسة، وتحملاً بدلاً عني مشقة ومصاريف السفر لباتنته، ولم يرفضوا ولو مرة
طلبي، فمهما قدّمتُ لهما فلن أجزيهما عن ذلك، خاصة وأننا أصبحنا في زمن قلّ فيه
الحقيقي للأخوة.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين خالق اللّوح والقلم، وخلق الخلق من عدم، ودبر الأرزاق، والآجال بالمقادير وحكم، وجَمَل الليل بالنجوم في الظلم.

إنّ دراسة صحيح البخاري وما تضمّنه من كلام سيد الخلق عليه الصّلاة والسّلام، يحتاج إلى فحص كبير، وتدبر طويل، فالباحث فيه لا يشعر بالملل أو الضّجر؛ بل على العكس من ذلك فكما تعمّقنا في الحديث النّبويّ وفي أسراره أردنا الاستزادة؛ لأنّنا أمام كلام يسمو عن كلام البشر، ونقصد من ذلك أحاديث المصطفى عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم، وما يزيد من متعة البحث الغور في أسرار النص النبوي، ودراسته من النّاحية الدّلاليّة.

وقد اتسمت هذه الدّراسة بالصّعوبة والتّشويق في الوقت ذاته؛ فمن جهة قد يستعصي الأمر في فهم الغاية المقصودة من عدوله ﷺ عن صيغة إلى أخرى من الوهلة الأولى، ومن جهة أخرى نجد عنصر الإثارة يتمثل في البحث والدّراسة؛ فاكشاف لأمر غفلنا عنها ولسنوات، وإن كُنّا نحفظ نص الحديث عن ظهر القلب ومنذ الصّغر، وهذا ما يُوصلنا إلى حقيقة نأسف عليها؛ تتمثل في تقصيرنا في حق الرّسول ﷺ وحق أقواله الخالدة خلود رسالة الإسلام.

لقد جُبِلَ الإنسان على الاطلاع والسّعي نحو معرفة الأشياء الموجودة في هذا الكون سواء كانت مادّيّة أم معنويّة، مكتوبة أم مسموعة، قوليّة أم فعليّة، والحديث النّبويّ الشّريف هو أحد هذه الموجودات، فالأمر طبيعيّ أن نبحت فيه حتى نعرف رسولنا الكريم وسنته العطرة، ومن ثمة معرفة خصائص هذا الدّين التي جعلته يتبوأ المكانة الرّفيعة والمنزلة العالية بين بقية السّنن والشّرائع البشريّة، فالأمر لم يعد مجرد أحاديث نبويّة نستنبط منها الأحكام الشّرعية التي نتخذها منهجاً، في حياتنا الدّنيويّة للفوز في الحياة الآخرويّة؛ بل تعدى ذلك ليصل إلى مرحلة استنباط ما يتضمّنه من معانٍ دلاليّة لا نجدّها في كلام البشر العاديين، وهنا تظهر المعجزة النّبويّة التي لا تضاهيها أي معجزة إنسانيّة؛ بل لا تفوقها إلا المعجزة القرآنيّة.

لكلّ عمل يُقبل عليه الباحث دوافع وبواعث ذاتية، وأخرى موضوعية، وهذا الكلام ينطبق على الحديث النبوي الشريف، وما يحويه من كنوز معرفية، ومنها: عدول صرفي ودلالات معنوية، ومن هذه البواعث:

- الرغبة الشخصية إلى مثل هذه الدراسات، وخاصة إذا تعلق الأمر بالحديث النبوي الشريف؛ حيث إنني أجد نفسي تتوق لاستخراج ما في المدونة من أصناف العدول المختلفة ودلالاتها المعنوية.

- الشوق للعودة إلى زمن النبوة الأول، والرجوع إليه رجوعاً معنوياً لا مادياً أو جسدياً، وذلك بدراسة الأحاديث النبوية الشريفة.

- تصويب الأخطاء الحاصلة في فهم عديد الأحاديث النبوية، ومعرفة المعاني العميقة والصّحيحة لها، وتجاوز المعاني السطحية والظاهريّة لها لاستخلاص ما فيها من أحكام ومرامٍ ومعانٍ وقيم تبرز عبقرية الرسول ﷺ.

- تلبية لرغبة الدكتور المشرف الذي اقترح عليّ هذا الموضوع لدراستي، فجازاه الله خير الجزاء، ولم أندم على دراسة هذا الموضوع فقد وجدته ثرياً يشفي غليل الباحث في مجال العدول الصّرفي.

- الحاجة إلى مثل هذه الدراسات لإثراء المكتبة اللغوية، وذلك لعدم تطرق الباحثين -حسب علمي- إلى دراسة ظاهرة العدول الصّرفي ودلالاته في صحيح البخاري دراسة مستفيضة لاستخراج ما يتضمّنه من أصناف العدول للسمو به على اعتبار أنّه خطاب يعلو على خطابات بقية البشر.

إنّ الخطاب النبوي متفرد؛ لذلك فدراسته تقتضي منّا جهداً مضاعفاً لاستخلاص أهدافه وغاياته السامية التي قد لا تتجلى من القراءة الأولية للأحاديث، فيحتاج منّا ذلك وقتاً طويلاً وعناءً كبيراً؛ بل ومعالجة دقيقة ومنهجية صحيحة للوصول إلى نتائج دقيقة حول مسألة العدول الصّرفي في هذه المدونة؛ لذلك كان من الضروريّ أن نضع مجموعة من التساؤلات لنصل في نهاية البحث إلى نتائج وملحوظات قيمة. ومن هذه التساؤلات:

ما الأسباب الكامنة وراء العدول في الصيغ الصّرفية؟

هل يحدث العدول في اللغة لغرض بياني أم فني أم دلالي؟ أم لأسباب تتعلق بالمخاطب والمخاطب وسياق الخطاب؟ وهناك إشكالات أخرى تندرج تحت المذكورة آنفاً.

ما أشكال العدول الصرفي في الخطاب النبوي من خلال صحيح البخاري؟ ما غاياته الفنية والمعنوية والتداولية؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها اتبعنا الخطة الآتية:

مقدمة: وضحت فيها أهمية الدراسة والدوافع الكامنة وراء اختيارنا مع ذكر الإشكالات التي ستتم الإجابة عنها، وخطة البحث مع ذكر الدراسات السابقة التي اعتمدت عليها في الدراسة.

مدخل: ويُعدّ فصلاً تمهيدياً للبحث، وتطرقت فيه إلى تعريف ظاهرة العدول الصرفي لغة واصطلاحاً، ثم تناولت العدول الصرفي عند اللغويين العرب القدامى والمحدثين، وكذلك عند اللغويين الغربيين المعاصرين، ثم عرّجت على أهدافه وأبعاده المختلفة، لأختم المدخل بترجمة لحياة الإمام البخاري والتعريف بكتابه الصحيح.

الفصل الأول: وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث، وهي: العدول الفعلي، والعدول الاسمي والعدول بين الفعل والاسم، وقد عرضت فيه أنواع العدول المختلفة من حيث الزمن، ثم العدول في الأبنية والصيغ الاسمية المختلفة، وفي نهاية الفصل لخصت العدول الاسمي والفعلي والعكس، وقد تضمنت الدراسة مجموعة من النماذج الواردة في صحيح البخاري، وكان التركيز على الأحاديث التي اشتملت العدول، نذكر فيه الصيغة المعدول عنها إلى المعدول إليها دون أي إضافات أخرى.

الفصل الثاني: تناولت فيه الدلالة الإيقاعية للعدول الصرفي، وفيه ثلاثة مباحث، الأول تضمن الأثر الإيقاعي المحض، والثاني: المتضمن الأثر الذي يجمع بين الدلالة والإيقاع، في حين خصصت الثالث لارتباط الدلالة بالإيقاع في الصور البديعية في الخطاب النبوي، وقد انحصر الإيقاع في ثلاثة أقسام وهي: الجناس والتكرار والسجع.

الفصل الثالث: خصصته للدلالة المعنوية للعدول الصرفي، وقسمته إلى ثلاثة أقسام؛ فعلي واسمي وما بينهما، بتوسع وشرح مفصل، ونكرت فيه سبب العدول عن صيغته الأصلية إلى الأخرى، وإبراز المرامي المستهدفة من ذلك مع ذكر الصيغة التي عدل عنها.

الفصل الرابع: ضمّنته الأبعاد التّداوليّة للعدول الصّرفيّ التي لا يُمكن فصلها عن الأبعاد الدّلالية، وقد حوى أربعة مباحث؛ كان الأول للأفعال الإنجازية الكلاميّة ودورها في تداول الخطاب النّبويّ، والثّاني لأصناف الفعل الكلاميّ الخمسة حسب تقسيم "سيرل"، وأمّا المبحث الثّالث قد تعلّق بحال المخاطب والمتلقّي، وأمّا الرّابع والأخير فكان لأنواع السّياق التي تضمّنها صحيح البخاري من قبليّ وبعديّ، وقد ختمت كل فصل بخلاصة.

الخاتمة: وقد ذكرتُ فيها أهمّ النّقاط والنتائج المحقّقة من الدّراسة.

وقد وظّفتُ في هذه الدّراسة عدّة مناهج وبنسب متفاوتة، ومنها المنهج الوصفيّ الذي استخدمته بهدف وصف وشرح ظاهرة العدول الصّرفيّ، وعرضها بطريقة نقدية للحصول على نتائج متعلّقة بهذه الظاهرة واستقصائها بهدف تشخيصها، وكشف جوانبها، وكذلك المنهج التحليليّ وذلك من خلال معرفة وإدراك المسببات التي أدّت وساهمت في عدوله ﷺ من صيغة إلى أخرى، فهناك تكامل بين المنهجين؛ فإذا كان المنهج الوصفيّ يقوم بدراسة ظاهرة العدول الصّرفيّ في صحيح البخاري وذلك بجمع المعلومات المتعلّقة بهذه الظاهرة، فإنّ المنهج التحليليّ يقوم بإكمال البحث عن طريق أعمال تجزئة الظاهرة وتقويم ما تمّ التّوصل إليه.

وقد تمّ -أيضاً- توظيف المنهج التّداوليّ من خلال دراسة كلّ جوانب المعنى التي تهملها النّظريات الدّلالية، فإذا اقتصر علم الدّلالة على دراسة أقواله ﷺ، فإنّ التّداولية تُعنى بما وراء ذلك، فبعد دراسة الخطاب النّبويّ وملابساته من خلال ربطه بين علاقاته الدّاخلية والخارجية، نقوم بالكشف عن تفاعلات عديدة بين الكاتب والقارئ من جهة، وبين المتكلم (الرّسول) والسّامع (الصّحابة) من جهة أخرى، وهذا ما كشف عن تأويلات غير محددة للخطاب النّبويّ ساهمت في فهم مكنوناته وإدراكها إدراكاً عميقاً، وهذا دون إغفال المنهج الاستقرائي وذلك بدراسة صحيح البخاري بامعان وتدبر لاستخراج ما فيه من أحاديث متضمّنة للعدول الصّرفيّ وبأنواعه المختلفة، ثمّ المقارن وبنسبة ضئيلة من خلال مقارنة اللفظ الحاضر في صحيح البخاري ببدائله الممكنة في كلام العرب، والمقارنة بينهما من النّاحية الدّلالية وما يُضيفه المعنى المذكور من دلالات معنويّة لم تكن لتوجد لو ذكرنا الصّيح البديلة.

الدراسات السابقة:

لقد اعتمدتُ في هذه الدراسة على عدد كبير من المصادر والمراجع القديمة والحديثة، منها: الكتب التي تدور في فلك شروح الحديث النبويّ، ودراسته من جوانبه المختلفة، وفي مقدمتها: "فتح الباري" لـ "ابن حجر العسقلاني"، "شرح صحيح البخاري" لـ "ابن بطل"، و"شرح صحيح البخاري" لـ "ابن عثيمين"، و"مراعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" لـ "أبي الحسن نور الدين الملا الهروى القاري"، و"عمدة القاري لشرح صحيح البخاري" لـ "بدر الدين العيني"، وغيرها من الكتب الأخرى، ومن الكتب البلاغية العربية: "الانزياح في التراث النقديّ والبلاغيّ" لـ "أحمد محمد وسين"، و"من الأسلوبية: الأسلوبية والأسلوب" لـ "عبد السلام المسديّ"، و"أسلوبية الانزياح في شعر المعلقات" لـ "عبد الله خضر حمد"، ومنها الكتب المتعلقة بالأبنيّة مثل: "معاني الأبنيّة في العربية" لـ "فاضل صالح السامرائي"، و"اللغة العربية معناها ومبناها" لـ "تمام حسان".

وأما فيما يتعلق بالدراسات والبحوث الحديثة فقد أُفدتُ من عديد رسائل الدكتوراه على غرار رسالة: "القيم الجمالية في الحديث النبويّ الشريف" لـ "حازم كريم عباس" وهي رسالة دكتوراه في "جامعة القادسية" بالعراق، ونُوقشت عام 2012م. ورسالة "العدول الصّرفيّ في القرآن الكريم -دراسة دلالية" لـ "هلال علي محمود الجحيشي"، وهي رسالة دكتوراه جامعة اليرموك بالأردن، وقد نُوقشت عام 2006م، و"دلالات العدول الصّرفيّ في القرآن الكريم" لـ "عبد الناصر مشري" جامعة "الحاج لخضر بباتنة"، ونُوقشت عام 2014م.

هذا العمل يُعتبر عصارة فكري وخلاصة عملي المُشوّق لسنوات طويلة حتى لا أقول المضني، فدراسة أحاديث الرسول ﷺ لا تُشعرك بالكلل أو الملل؛ بل على العكس من ذلك، فهذه السنوات العديدة مضتُ سريعاً دون أن نُحس بها، ورغم كلّ ذلك لا يمنع من وجود بعض النقائص، فإن أصبتُ فمن توفيق الله وتوجيهات أستاذي-ولا أزكي على أحد- وإن أخطأتُ فمن نفسي، وسأندارك أخطائي مستقبلاً -إن شاء الله - وما توفيقني إلا بالله، عليه توكلتُ وإليه أنيب.

تُوظَّئَةُ

لقد جاء الحديث النبوي الشريف داعماً للقرآن الكريم؛ إما شرحاً وتفصيلاً، أو تخصيصاً وتمحيصاً، وهذا ما جعل النص النبوي يرقى إلى أعلى مرتبة يمكن أن يصل إليها الكلام البشري وكيف لا وهو كلام سيد الخلق محمد عليه الصلاة والسلام، وقد تكفل الخالق ﷻ بحفظ القرآن الكريم ورعايته وحمايته وصونه من كل تزيف أو تحريف مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: 09)، كما كان الحديث النبوي الشريف وحياً من عند الله تعالى لقوله ﷻ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (النجم: 03، 04)، فالذكر المقصود من الآية القرآنية الأولى القرآن الكريم، في حين تُبين الآية الثانية بأن الحديث النبوي الشريف هو وحى من عند الله تعالى لا حديثاً يُفترى.

إن علماء العرب والعجم درسوا النص النبوي تعظيماً وإجلالاً لصاحبه، فعملوا جاهدين على دراسته وشرحه وحفظه، وإخراج ما في مكانه من أسرار وإعجاز وجماليات محاولين الجمع بين الدلالة والأسلوبية والبلاغة والعدول.

فالحديث النبوي نص منسجم متناسب لا يعلو عليه كتاب في مجال البيان والفصاحة والبلاغة إلا كتاب الله تعالى، فحوت الأحاديث النبوية الشريفة أنواع البلاغة وأصناف الجمال والفصاحة، فكانت دليلاً ناطقاً على سمو ورفعة سيد البشر عليه الصلاة والسلام، وإبانة على المنبع الصافي الذي نهل منه المصطفى، ألا وهو منبع النبوة الذي لا ينطق عن الهوى، وقد امتدح الرسول ﷺ نفسه بقوله: «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، ونشأت في بني سعد بن بكر»⁽¹⁾، وإذا كان هذا كلام الرسول عن نفسه فما بال العلماء والبلغاء الذين تتافسوا لأجل كشف فصاحته وإبراز ملامح الجمال والإعجاز فيه! والجاحظ هو أحد هؤلاء؛ حيث يقول عن كلام الرسول ﷺ: «وهو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة ونزّه عن التكلف... واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصود في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفّ بالعصمة، وشُدّ بالتأييد، ويُسرّ بالتوفيق... ثم لم يسمع الناس

(1) النيسابوري، شرف المصطفى ﷺ، تحقيق: السيد أبو عاصم نبيل بن هاشم الغمري آل باعلوي، دار البشائر الإسلامية، ط 1، 1424هـ، 2003م، 49/2، 50.

بكلام قط أعم نفعًا، ولا أصدق لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح عن معناه ولا أبين في فحواه من كلامه ﷺ.»⁽¹⁾، وإذا كان هذا كلام الجاحظ الذي يُعدّ من الأدباء العرب، فإن فصاحة وبلاغة الرسول ﷺ تجاوزت حدود الدولة الإسلامية والعلماء المسلمين، لتصل إلى العالم الغربي-فالحق ما اعترف به الأعداء-ومن هؤلاء "توماس كارليل" (TOMAS CARLYLE)؛ حيث يقول: «وقد لاحظوا أنّ ما من كلمة تخرج من فيه إلا وفيها حكمة بليغة وإنّي لأعرف أنّه كان كثير الصمت يسكت حيث لا موجب لكلام، فإن نطق فما شئت من أدب وفضل وإخلاص وحكمة... لا يتناول غرضًا فيتركه إلا وقد أثار شبهته وكشف ظلمته، وأبان حجته، واستثار دفينته، وهكذا يكون الكلام وإلا فلا.»⁽²⁾، فكلام "توماس كارليل" ينم عن مدى إعجاب الرجل بشخصية الرسول ﷺ، ومدى تعمقه في كلام الرسول ﷺ، وما تطرق إليه في كتابه الذي عنوانه بـ"الأبطال" - والذي حوى مجموعة من عظماء الإنسانية ومنهم رسول الله ﷺ- إلا دليل قاطع على مدى إعجابه بشخصه الكريم.

إنّ الرسول ﷺ أوتي جوامع الكلم؛ حيث يقول ﷺ: «بُعِثْتُ بجوامع الكلم...»⁽³⁾، فجوامع الكلم «وفيه تفسيرها عن "الزهرّي" وحاصله أنّه الرسول ﷺ كان يتكلم بالقول الموجز، قليل اللفظ كثير المعاني، وجزم غير "الزهرّي" بأنّ المراد بـ "جوامع الكلم": القرآن بقريظة قوله: «بُعِثْتُ»، والقرآن هو الغاية من إيجاز اللفظ واتساع المعاني»⁽⁴⁾.

فالحديث النبوي يحقق نموذجًا فريدًا من خصائص النصّ النَّثْرِيّ؛ لأنّه يعتمد على الإيجاز من جهة والإفهام والإبانة من جهة أخرى، فقد رُوِيَ عن النَّبِيِّ ﷺ «أنّه كان إذا تكلم

(1) الجاحظ، البيان والتبيين، دار الفكر، بيروت، (دط)، 1968م، 17/2.

(2) توماس كارليل، الأبطال، عربيّه: محمد السباعي، المطبعة الخيرية بالأزهر، القاهرة، ط3، 1349هـ، 1930م، ص67، 68.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النَّبِيِّ ﷺ نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ مسيرة شهر، رقم الحديث: 2977، ص734)، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط1، 1423هـ، 2002م.

(4) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد القادر شيبه الحمد، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1421هـ، 2001م، 247/13.

بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تُفهم»⁽¹⁾، فمن غايات الخطاب النبويّ التّعليم والإرشاد؛ لذلك تأتي كل الأساليب البلاغيّة ممكنة لتحقيق هذه الغاية، فهذه الأساليب تنمُّ عن عظمة الخطيب وعلو مقامه ورفعة شأنه وقوة بيانه؛ لأنّه معلم الأمّة الأول، وهاديها الأزليّ، هذا المربيّ؛ النبيّ الأمّيّ الذي استخدم أسلوباً متفرداً في توجيه المجتمع الإسلاميّ مراعيّاً في ذلك الطّبيعة البدويّة والعصبيّة الجاهليّة، فسار بهم الهوينى حتى أوصلهم إلى بر الأمان، فتكونت أعظم أمة في التّاريخ الإسلاميّ؛ بل والإنسانيّة عامة مصداقاً لقوله ﷺ: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران: 110)، وهذا لم يكن بالسهل على الرّسول أن يفعله لو لم يكن يحسن المعاملة، وقد أتى عليه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: 159).

إنّ علماء اللّغة العربيّة سخّروا جهوداً كبيرة في خدمة هذه اللّغة الثّريّة، ومهما عظمت الجهود فهي ضئيلة أمام ثرائها وخصوبتها، وقد احتوت هذه اللّغة كثيراً من الظواهر كالاكتفاء والاجتزاء والإفراد والتثنية والجمع، والمصادر والمشتقات، ثم العدول، والذي نقصد به صرف الكلام عن صيغته الأصليّة إلى صيغ أخرى سواء أكان ذلك الصّرف في المباني-والذي هو موضوع دراستنا- أم حركات الإعراب أو التّركيب، والعدول لا يكون بغير جدوى وإن بدا ذلك، فإنّ الأمر يعود إلى عجز في التّفسير خاصة إذا تعلق الأمر بالحديث النبويّ الشّريف، وأغلب أغراض العدول بلاغيّة أو دلاليّة، وإذا كان الموروث العربيّ ثريّاً بأنواع العدول الصّرفيّ، فإنّ القرآن الكريم، والحديث النبويّ الشّريف أكثر ثراءً وأشدّ عمقاً، وأبلغ لغة من ذلك؛ بل إنّه لا مجال لوجه الموازنة.

وأعمل جاهدة في هذه الدّراسة على جمع أكبر عدد ممكن من النّماذج التي يتضمّننها صحيح البخاري، والتي حوت ظاهرة العدول الصّرفي وأتناول أنواع العدول المختلفة؛ كالعدول في الأفعال والأسماء والمشتقات أو فيما بينها، وأقوم بتحليلها تحليلاً صرفياً دلاليّاً.

(1) البخاري، صحيح البخاري، ص 37.

مدخل

العدول الصّرفيّ؛ مفهومه، أبعاده
وأغراضه.

- 1- مفهومه (لغة واصطلاحًا)
- 2- أبعاده وأغراضه
- 3- نبذة مختصرة عن الإمام البخاري وكتابه الصّحيح
- 4- العدول الصّرفيّ عند اللّغويين العرب
- 5- العدول الصّرفيّ عند اللّغويين الغربيين

إذا كان القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة، والمصدر الأول للتشريع الإسلامي، فالسنة النبوية هي: «المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي؛ بل هي القسم الثاني من أقسام الوحي الذي أنزل على رسول الله ﷺ؛ حيث جاءت تُبَيِّنُ ما أُبْهِمَ في القرآن، وتُقْصِلُ ما أُجْمِلَ فيه وتُخَصِّصُ عُمُومِيَّاتِهِ، وتُقَيِّدُ مَطْلَقَاتِهِ» (1).

ولهذا «ما أثمرت بلاغة ما أثمرته بلاغة السماء في القرآن الكريم، ثم بلاغة الأرض في كلامه ﷺ» (2)، ونظراً لهذه الأهمية وجدت السنة النبوية «العناية القصوى من علماء هذه الأمة، في سبيل حفظها وصيانتها وأدائها» (3)، ومن بين هؤلاء العلماء "أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري" الذي ألف كتابه (الجامع الصحيح)، هذا الكتاب الذي يُعدّ «أجلّ الكتب الصحيحة نقلاً وروايةً، فهمًا ودرايةً، وأكثرها تعديلاً وتصحيحاً وضبطاً وتفتيحاً، واستنباطاً واحتياطاً، وفي الجملة هو أصح الكتب المؤلفة فيه على الإطلاق، والمقبل عليه بالقبول من أئمة الآفاق» (4).

ونظراً لهذه الأهمية فقد «علمنا القرآن أنّ النبي ﷺ هو المبيّن للناس ما نُزِلَ إليهم من ربهم وأنّ عليهم أن يأخذوا ما أتاهم وينتهوا عمّا نهاهم عنه، فكانت سنته العملية والقولية تالية للقرآن، فهجرناها كما هجرناه...حتى إنه ليقُلُّ في المتصدرين للتدريس من كبار العلماء في أكبر المعاهد من يكون قد ختم كتب الحديث المشهورة كالموطأ والبخاري ومسلم ونحوها مطالعة فضلاً من غيرهم من أهل العلم، وفضلاً عن غيرها من كتب السنة» (5).

ومعنى ذلك أنّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين السنة النبوية والقرآن الكريم، فالرسول ﷺ بلغ رسالة ربه، «فبشّر وأنذر، وحثّ وحذّر، وبيّن وأوضح وعلم وربّي على نهج كتاب ربه أمة

(1) عمر حسن عثمان فلات، الوضع في الحديث، مكتبة الغزالي، مؤسسة مناهل العرفان، (دط)، 1401هـ، 1981م، 11/1.

(2) محمود فجال، الحديث النبوي في النحو العربي، أضواء السلف، الرياض، ط2، 1417هـ، 1997م، 22/1.

(3) عمر حسن عثمان فلات، مرجع سابق، 11/1.

(4) شمس الدين الكرمانى، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1356هـ، 1937م، ص3.

(5) عبد الحميد ابن باديس، شكوى النبي ﷺ من هجر القرآن العظيم، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، العدد13، نو الحجة 1408هـ، 1988م، ص33.

مؤمنة قويّة عادلة لم تطلع الشّمس على مثلها في العالم إيماناً، وطاعةً وهدى وفضلاً وقوةً في الدّين وعدلاً استطلّلت بالقرآن واعتصمت به في كل سبيل، وعاش في كنفه منها كل قبيل، وحرصت كل الحرص على استذكار آياته وتدبّر معانيها، وتلاوتها مع فهم مقاصدها ومراميها، فكانت أعدل أمة بل أثمر ذرة في تاريخ الأمم»⁽¹⁾.

وبالمقابل «خلق الله محمداً ﷺ أكمل النّاس وجعله قدوتهم وفرض عليهم إتباعه، الائتساء به فلا نجاة لهم من المهالك...إلا باقتناء آثاره والسير في سبيله.»⁽²⁾، وقد تظنّ الغربيون وعلى رأسهم المستشرقون إلى مكانة القرآن الكريم والسّنة النّبويّة، فعملوا على تدوين سيرة رسول الله ﷺ وترجمتها، وقد كانوا يُدركون المستوى الرّفيع للمسلمين، ولهذا لم يكن بُدّ من محاربتهم بالسيف والقلم وذلك بدراسة القرآن الكريم وحياة الرّسول العظيم، وبدأ اهتمام المسلمين في الأندلس بالسيرة والحديث النّبويّين منذ القرن التّاسع الميلاديّ، وكان أوّل من أدخل هذه العلوم إلى إسبانيا "صعصعة بن سلام" (ت: 807م)⁽³⁾.

وقد ذهب أحد الإسبان "فواس" (foeas) -عند تقديمه كتاب "الإنجيل والقرآن"- إلى القول: «لن يكون للحضارة الإسلاميّة وجود دون قرآن»⁽⁴⁾، ولن يفهم القرآن الكريم دون الإقرار بهذه الحقيقة التي لا يُنكرها أحد، وفي هذا الصّدّد يقول "أرنولد" (sirArnold): «ولقد بلغ من تأثير الإسلام في نفوس معظم الذين تحلّوا إليه من مسيحيّ إسبانيا مبلغاً عظيماً حتى سحرهم بهذه المدنيّة الباهرة واستهوى أفئدتهم بشعره وفلسفته وفنه الذي استولى على عقولهم وخيالهم»⁽⁵⁾.

(1) مجلة الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة، نص قرار المجلس لرابطة العالم الإسلاميّ، القرآن الكريم دراسته وتعليمه في جميع بلاد الإسلام، العدد 10، 1423هـ، 2002م، ص425.

(2) عبد الحميد ابن باديس، آثار ابن باديس (سبيل السّعادة والنّجاة)، تحقيق: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائريّة، ط1، 1388هـ، 1968م، ص174.

(3) ينظر: E.fathi.Abderahman EL libro de la Escala de Mahoma: relacines y contextospnalesdelmedievo y delRenacimientos Universid Abdelmalek Essaad,Tetuan,2003, p31.

(4) ينظر: jasé Maria,joiner, jacqnes Billia y coran, traduccionespanola Forneas Madrid,Razon y Fe (prologodeltraductor)1962, p103.

(5) عبد السّلام داوود العبادي، دراسة حول الغزو النّقافيّ للعالم الإسلاميّ -بدايته-دوافعه-أبعاده، سبل مواجهته، مجلة مجمع الفقه الإسلاميّ، العدد7، 1992م، ص1865.

في حين ذهب "جون تكلي" (johntakle) إلى أكثر من ذلك، فأعطى سلاحًا تتمكن به الشعوب الغربيّة القضاء على الإسلام بشقيه (القرآن الكريم) و(السنة النبويّة)، فيقول عن المسلمين: «يجب أن يُستخدم كتابهم، وهو أمضى سلاحًا في الإسلام ضد الإسلام نفسه لتُقضى عليه تمامًا، يجب أن نُري هؤلاء النَّاس أن الصّحيح في القرآن ليس جديدًا وأنّ الجديد فيه ليس صحيحًا» (1).

إذا كان هذا حال الأعداء الذين تقطنوا إلى أهميّة القرآن الكريم والسنة النبويّة الشريفة، فنحن من باب أولى أن نهتم بهما ونكتشف ما فيهما من إعجاز، ومن ثمة حماية الإسلام الذي لا يُمكن إعادة مجده إلا «على أيدي جماعة لهم استقلال في الفكر والإرادة، وعندهم شهامة وعزة، ويُمكن أن يفهموا القرآن أو يفهموه حتّى إذا دُعوا لجعله أصلًا من السنة الصّحيحة، وما كان عليه السلف الصّالح من العقائد والأخلاق والآداب والأعمال.» (2)، ومن هؤلاء الدّاعيّة الإسلاميّة "يوسف إسلام" * حيث يقول في لقاء صحفيّ: «الحياة في ظل الإسلام بشموله هادئة مستقرة راضية لا يُعرف فيها ضيق ولا إزعاج، إنني باستلهاهم القرآن والسنة والانطلاق بهما بقدر ما أستطيع لا أشعر إلا بكل الهدوء والسكينة والاطمئنان في كلّ أمور حياتي.» (3)، يفهم من كلام الدّاعيّة "يوسف إسلام" أنّ الحياة في رحاب القرآن الكريم والسنة النبويّة تتميز بالهدوء والرّاحة والاطمئنان، وقد اتّصفا بالقداسة، والبلاغة والبيان، فجاء لإعجاز العرب، وفي مقدمتهم قريش التي تُعدّ «أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة،

(1) Y.N.M.Z Wemer and c.G .Myirea,S,By E.M wherrey.ISLAM and Missions,1911, p217.

(2) محمد رشيد رضا، إعادة مجد الإسلام، مجلة المنار، غرة ذو الحجة 1317هـ، 1 أبريل 1900م، 73/3.

* مغنٍ وكاتب أغانٍ بريطانيّ، من أم سويديّة الأصل، وأب يونانيّ الأصل، ولد في 31 جويلية 1948م، أهداه أخوه نسخة مترجمة من القرآن الكريم بعد رحلته إلى مدينة القدس عام 1976م، كان لها الدور في تغيير حياته؛ حيث أعلن إسلامه سنة 1977م، وغيّر اسمه من "كات ستيفينز" (cat stevens) إلى "يوسف إسلام".

(3) مجلة البحوث الإسلاميّة، لقاء مع الدّاعيّة البريطانيّة المسلم يوسف إسلام، ترجمة: محمد بن رفيق العجمي، مجلة دوريّة تصدر عن الرّئاسة العامة لإدارات البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد، السّعوديّة، العدد 13، 1405هـ، ص 311.

وذلك أنّ جلّ ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم، واختار منهم نبيّ الرّحمة محمدًا ﷺ»⁽¹⁾.

إنّ الكلام الذي فيه عدول يكون أكثر إعجازًا وبلاغة، «وقد تقتضي الأحوال العدول مقتضى الظاهر، ويورد الكلام على خلافه لاعتبارات يلحظها المتكلم (وسلوك هذه الطّريقة شعبة من البلاغة)»⁽²⁾، وأنواع العدول في الحديث النبويّ كثيرة ومتعددة إلا أنّ العدول الذي نحن بصدده دراسته العدول الصّرفي وما له من أثر إيقاعي ودلاليّ، فجماليّة العدول ليس العدول نفسه، وإنّما الحكمة من ذلك وفهم الأحاديث النبويّة التي تحتوي العدول، والإتيان بالصّيغ الأصليّة التي عدل عنها الرّسول ﷺ في كلامه، وهو الذي يُعدّ أفصح كلام عرفته العرب؛ حيث «قال رجل: يا رسول الله ما أفصحك! ما رأينا الذي هو أعرب منك، قال: حقّ لي فإنّما أنزل القرآن عليّ بلسان عربيّ مبين»⁽³⁾، وحتى نعرف الصّيغ الأصليّة التي عدل عنها الرّسول ﷺ علينا معرفة المقام؛ حيث يقول "تمام حسّان": «إنّ معنى الغزل أو التّوبيخ أو... لا يُؤخذ من "المقال"، وإنّما يحتاج إلى اعتبار المقام بالضرورة»⁽⁴⁾.

المقصود بفكرة المقام هو ما: «يضم المتكلم والسّامع، أو السّامعين والظّروف والعلاقات الاجتماعيّة والأحداث الواردة (relevant) في الماضي والحاضر، ثمّ التّراث والفلكلور والعادات والتقاليد والمعتقدات والخزعات»⁽⁵⁾، فالعدول لا يُمكن فهمه إلا بمعرفة جميع الظّروف المحيطة باللفظة أو العبارة التي قيلت، ومن ثمة يسهل علينا معرفة العدول.

هناك كثير من المفكرين يرون أنّ الحديث النبويّ قد ركّز الاهتمام على الجانب الفنيّ والجماليّ الذي «يتذوقه الحس الظاهر والشّعور الباطن، دون أن يستطيع الفكر تحديد كل

(1) ابن فارس، الصّاحبيّ في فقه اللّغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، حقّقه وضبط نصوصه وقدم له: عمر فاروق الطّبّاع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ، 1993م، ص55.

(2) السيّد أحمد الهاشميّ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميليّ، المكتبة العصريّة، بيروت، (دط)، (دت)، ص58.

(3) السيوطيّ، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1418هـ، 1998م، ص32.

(4) تمام حسّان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، عالم الكتب، ط5، 1427هـ، 2006م، ص345.

(5) نفسه: ص352.

العناصر التي امتلكت استحسانه وإعجابه، وإن عرف منها الشيء الكثير، واستطاع أن يفرزه ويحدد معالمه.»⁽¹⁾، فهذا لا ينقص من قيمته البلاغية والدلالية؛ بل يجعله في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم إذ لا يوجد «حديث أفصح من نطق بالضاد وأوتي جوامع الكلم منه عليه الصلاة والسلام.»⁽²⁾، وموضوع العدول الصرفي وأنواعه وأبعاده، يُعدُّ جزءاً بسيطاً من العدول، وسنقوم في البداية بتعريف المفاهيم الأساسية لموضوع العدول.

1- مفهومه:

أتناول مفهوم العدول لغة، ثم اصطلاحاً.

أ-العدول لغة: عدل عن الشيء يعدل عدلاً وعدولاً: حاد عن الحق: إذا جار، عدل عن رأيه: حاد ورجع عنه، وعدل عنه يعدل عدولاً إذا مال كأنه يميل من الواحد إلى الآخر، ويقال: «عدل عني يعدل عدولاً يميل به عن طريقه الميل؛ وقال الآخر:

إِذَا أَلْهَمُ أَمْسَى وَهُوَ دَاءٌ فَأَمْضِهِ وَأَسْتُ أَمْضِيهِ وَأَنْتَ تُعَادِلُهُ.

قال: معناه وأنت تشكّ فيه، ويقال فلان يعادل أمره عدالاً ويقسمه أي: يميل بين أمرين أيهما يأتي؛

قال "ابن الرقاع":

فَإِنَّ بَكَ فِي مَنْاسِمِهَا وَجَاءَ فَقَدْ لَقِيتُ مَنْاسِمِهَا الْعَدَالَا.

أَنْتَ عَمْرًا عَلاَقَتْ مِنْ نِدَاةِ سِجَالِ الْخَيْرِ إِنَّ لَهُ سِجَالَا.

والعدال: أن يقول واحد فيها بقية، ويقول آخر: ليس فيها بقية، وفرس معتدل الغرة إذا توسطت غرته جبهته فلم تصب واحدة من العين، ولم تُمل على واحد من الخدين، قال "أبو عبيدة": وعدل الفحل عن الضراب فانعدل: نحاه فتتحى.»⁽³⁾، قال "ذو الرمة"⁽⁴⁾ :

(1) عبد الرحمن حسن حنبكة، البلاغة العربية- أسسها، وعلومها وفنونها، وصور من تطبيقاتها، بهيكل جديد من طريف وتليد، دار القلم، دمشق، بيروت، ط1، 1416هـ، 11/1.

(2) عبد القادر بن محمد سليم الكيلاني، اللغة العربية، مجلة الحقائق الدمشقية، العدد1، 1910/8/7م، ص8.

(3) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، 434/11.

(4) ذو الرمة، ديوان ذو الرمة، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ، 1995م، ص 253.

فَلَيْسَ لِسَارِيهَا بِهَا مُتَعَرِّجٌ إِذَا انْجَدَلَ الْأَسْرُوعُ وَأَنْعَدَلَ الْفَحْلُ.

و«(عدل) عدلاً وعدولاً وعدالة ويُقال: عدل عن الطريق حاد وإليه رجع وفي أمره عدلاً وعدالة، ومعدلة استقام وفي حكمه بالعدل، ويُقال: عدل فلانا عن طريقه رجعه وعدله إلى طريق عطفه والشّيء عدلاً أقامه وسوّاه ويُقال: عدل الميزان وعدل السهم والشّيء بالشّيء: سواه به وجعله مثله قائماً مقامه ويُقال: عدل بربه عدلاً وعدولاً أشرك وسوّى به غيره.»⁽¹⁾

والظاهر أنّ المعنى اللغوي للعدول لا يخرج عن معنى الميل من شيء إلى شيء آخر، أو وجود أمرين مع ترجيح أحدهما على الآخر. وهذا المعنى لا يبعد كثيراً عن المعنى الاصطلاحي الذي سيأتي الحديث عنه.

ب- اصطلاحاً:

إنّ استعمال مصطلح "العدول" في اللغة العربية عبارة عن عملية ذهنية تتم انطلاقاً من شيء معدول عنه إلى شيء معدول إليه، مع وجود دليل يُمكننا من العودة إلى المعنى المعدول عنه، وإلا فلا يُعتبر عدولاً، «لأنّ العدول من الحقيقة إلى المجاز من غير دليل لا يجوز.»⁽²⁾، وعملية العدول لا يستوعبها إلا المتضلع في علم البيان؛ حيث يقول "ابن الأثير" (ت: 637هـ): «اعلم أيها المتوسّح لمعرفة علم البيان، أنّ العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه من كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة، الذي اطلع على أسرارها وفتش عن دفائنها، ولا تجد ذلك في كلّ كلام، فإنّه من أشكال ضروب علم البيان، وأدقها فهماً، وأغمضها طريقاً»⁽³⁾.

(1) أحمد الزيات، إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، محمد البحار، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، (دط)، (دت)، 588/2.

(2) الرّازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، 273/23.

(3) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، (دط)، (دت)، 180/3.

إنّ العدول الذي نقصده في بحثنا ليس العدول عند اللّغويين القدامى، وقد عرّفه الجرجاني (ت:471هـ) بقوله: «العدل: عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتّقریط، وفي اصطلاح النّحويين: خروج الاسم عن صيغته الأصليّة»⁽¹⁾.

فالعدول عند النّحويين محصور في صيغة اللفظ، بينما العدول الذي نقصده يتجاوز ذلك إلى: العدد، والجنس، والمعرفة، والنّكرة، والضّمائر، والمشتقات والزّمن، وغيرها من أنواع العدول التي سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

وإذا كان اللّغويون قد ركّزوا بحوثهم على الاهتمام بالأداء المثاليّ، فإنّ البلاغيين ساروا في اتجاه آخر؛ «حيث أقاموا مباحثهم على أساس انتهاك هذه المثاليّة والعدول عنها في الأداء الفنّي، وليس معنى هذا إنكار البلاغيين للمستوى المثاليّ الذي أقامه النّحاة واللّغويون؛ بل ذلك يُؤكّد إدراكهم لتحققه؛ حيث جعلوه الخلفيّة الوهميّة وراء الصّياعة الفنّيّة التي يمكن أن يقيسوا إليها عمليّة العدول في هذه الصّياعة»⁽²⁾.

وعلى اختلاف اللّغويين والبلاغيين فإنّهم يشتركون في نظرهم للعدول حيث يعتبرونه عملاً إبداعياً فنّياً، فالانزياح «فَيَصِل ما بين الكلام الفنّي وغير الفنّي»⁽³⁾.

إلى جانب استعمال مصطلح العدول، استعمل الباحثون العرب مجموعة من المصطلحات الأخرى، وهي عبارة عن مرادفات أو شروحات لهذا المصطلح ومنها: الانزياح و«الخروج والخرق، والابتعاد، والبعد، والتّشويش، والتّشويه، والمجاورة، والنّشاز، والاتّساع، والفارق، والجسارة اللّغويّة، والغرابيّة، والإخلال، والانحناء»⁽⁴⁾، ويرى "عدنان بن ذريل" أنّ

(1) الشّريف الجرجانيّ، التعريفات، ضبطه وصحّحه: جماعة من العلماء بإشراف النّاشر، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ، 1983م، ص147.

(2) محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، دار توبار للطباعة، القاهرة، ط1، 1994م، ص269.

(3) أحمد محمد ويس، الانزياح في التّراث النّقديّ والبلاغيّ، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، (دط)، 2002م، ص5.

(4) أحمد غالب الخرشنة، أسلوبية الانزياح في النّص القرآنيّ، الأكاديميون للنّشر والتّوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1435هـ، 2014م، ص23.

جميع المصطلحات المختلفة هي في الحقيقة لمُسمى واحد، وقد أُطلق عليها عائلة الانزياح، وما الاختلاف في التسمية إلا نتيجة للاختلاف في النظرة إلى تطبيقاتها وتحليلاتها⁽¹⁾.

وما دام موضوع دراستنا "العدول الصرفي" وبعد التطرق إلى تعريف العدول علينا أن نُعرج إلى مفهوم الصرف أو التصريف الذي هو على وزن «تفعيل» من الصرف، وهو أن تُصرف الكلمة المفردة فتتولد منها ألفاظ مختلفة ومعانٍ متفاوتة.⁽²⁾ وعلم التصريف «علم يبحث في بنية الكلمة من حيث بناؤها ووزنها، وما يطرأ على تركيبها من تغيير.

موضع العدول: الاسم غير المبني، والفعل غير الجامد، ليس منه الحروف.⁽³⁾، تخرج منه الحروف كذلك.

والصرف أو علم التصريف هو «علم بأصول يُعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب.⁽⁴⁾، ونظرًا لأهمية الصرف فقد أفرده العديد من المؤلفين القدامى بتأليف مستقل ومن هذه المؤلفات:

كتاب "صنف التصريف" لـ "علي بن المبارك الأحمر الكوفي" (ت: 194هـ)، وكتاب "صنف التصريف" لـ "يحيى بن زياد المعروف بالفراء" (ت: 207هـ)، وكتاب "صنف التصريف" لـ "بكر محمد ابن عثمان المازني" (ت: 249هـ)، وشرحه "ابن جنّي" (ت: 392هـ) في "المصنّف"، وكذا كتاب "الملوكي في التصريف"، وكتاب "المتع في التصريف" لـ "ابن عصفور الاشبيلي" (ت: 663هـ)، وكتاب "تصريف العزّي" لـ "عزّ الدين أبي المعاني الخرجي الزنجاني" (ت: 655هـ)، وكتاب "المبدع في التصريف" و"مختصر المتع" لـ "أبي حيان الأندلسي" (ت: 745هـ).

(1) ينظر: ابن ذريل عدنان، النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، 1989م، ص26.

(2) عبد القاهر الجرجاني، المفتاح في الصرف، حقه وقدم له: علي توفيق الحمد، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، عمان، (دط)، 1405هـ، 1985م، ص26.

(3) عبد الله بن يوسف اليعقوب، المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 1428م، 2007م، 12/1.

(4) عثمان بن عمر الكردي، الشافية في علم التصريف (ومعها الوافية نظم الشافية للنيسابوري)، تحقيق: حسن أحمد عثمان، المكتبة المكيّة، مكة، ط1، 1415هـ، 1995م، 6/1.

ومما سبق يُمكن تعريف العدول الصرفي «بأنه ترك الوزن القياسي لوزن آخر لدلالة معنوية لا يحتويها الوزن الأول، وهذه الزيادة في الحروف وفق أوزان وصيغ تُعرف في اللغة العربية بالاشتقاق» (1).

2- أبعاده وأغراضه:

إنّ الجملة في اللغة العربية لا تخضع لقواعد صارمة في ترتيب عناصرها؛ بل إنّ المتكلمين لهم كامل الحرية في صوغ الجمل من تقديم وتأخير وحذف وتوسيع وعدول وانزياح وهذا راجع لدوافع نفسية، أو مجارات لظروف الكلام وملابساته؛ لأنّ المتحدث لا يبتغي من ذلك نقل الأخبار فحسب؛ بل يبتغي التأثير في السامع، فيوسع طرائق التعبير من خلال العدول وبشكل خاص على اعتباره موضوعاً للدراسة، وإذا كان هذا حال المتحدث العادي بالعربية فكيف سيكون الحال بالنسبة لخير الأنام الله وما احتواه صحيح البخاري من نماذج للعدول الصرفي إلا تأكيد لعبقرية الرسول ﷺ.

لقد سبق أن قلنا: أنّ للغة مستويين؛ الأول عادي مثالي، والثاني أدبي مزاح، فالمستوى الأول يُناسب النحاة وعلماء اللغة، أمّا المستوى الثاني فيرى فيه البلاغيون جمالاً؛ بل عدوه من متطلبات اللغة الأدبية؛ التي هي في الواقع «نتاج براعة استخدام المادة اللغوية المتوفرة، وتوظيفها الذكي للإمكانات الكامنة في اللغة» (2)، فالعدول هو الخروج عن الاستعمال العادي للغة، وعليه «فإنّ قيمة كل خاصية أسلوبية تتناسب مع حدّة المفاجأة التي تحدثها تناسباً طردياً بحيث أنّها كلما كانت منتظرة كان وقعها في نفس المتلقي أعمق» (3)، معنى هذا أنّ السامع يتعلق بالغريب والخارج عن المألوف، وفي هذا الصدد يقول الجاحظ: «إنّ الشيء من غير معدنه أغرب، وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم، وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف، وكلما كان أطرف كان أعجب، وكلما كان أعجب كان أبعد... والناس

(1) ماجدة صلاح حسن، العدول الصرفي في القرآن الكريم، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، جامعة السابغ من أبريل، العدد 11، 2009م، ص 21.

(2) رجاء عيد، البحث الأسلوبية معاصرة وتراث، منشأة المعارف، الإسكندرية، (بط)، 1993م، ص 148.

(3) عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار الغربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط3، 1977م، ص 86.

مؤكّلون بتعظيم الغريب، واستطراف البعيد.⁽¹⁾، فالنفس البشريّة تمل الأشياء المكررة والمألوفة، وهذه حقيقة نفسية من شأنها أن تزيد من قيمة العدول؛ بل تجعلنا نميل إلى استخدامه كلما شعرنا بالسّامة والضجر.

والواقع عند تتبعنا لمواطن العدول في صحيح البخاري، نجده لا يخرج عن ثلاث غايات أساسية هي:

- البعد الفني: وهو الذي يتمثل في مراعاة الإيقاع أو جعل العبارة غامضة من الناحية الفنية.
 - البعد الدلالي: يقوم على استبدال المعنى الحقيقي أو السطحي للفظة بالمعنى المجازي العميق.
 - البعد التداولي: يكشف عنها اعتبار حال المتلقي أو المخاطب أو السياق.
- والآن سنقوم بتفصيل هذه الأبعاد.

أولاً- البعد الفني:

إن غاية الحديث النبوي الشريف تعليمية تشريعية تبيينية بالدرجة الأولى لتلي تلك الغايات البعد الجمالي، فاجتماع البعد الجمالي مع غايتي الإقناع والتعليم ممكن، فالغاية المتعلقة بالتشريع في الحديث النبوي أساسها الدقة والإتقان والإحكام، وكلما تحقق التلاؤم بين الموضوع والأسلوب كلما تحقق وجه من أوجه البعد الجمالي تبعاً لتحقيق هذا التلاؤم، وقد اعتبره "بشر بن معتمر" من أنماط التناسب المقامي "ومن أراغ معنى كريماً فليلتمس لفظاً كريماً؛ فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما، وعما تعود من أجله أن تكون أسوأ حالاً منك قبل أن تلتمس إظهارهما، وترتهن نفسك بملاستهما وقضاء حقهما"، فجمالية الحديث ناشئة عن مدى الملائمة بين مضمون الحديث والقالب الذي ورد فيه، وهذا الأمر ليس بعيداً على شخص هو أفصح العرب وأبلغهم، كما أنّ البعد التشريعي للحديث النبوي جعله يتميز بالدقة في الصياغة حتى يتمكن الصحابة رضي الله عنهم استنباط الأحكام التشريعية والعقائدية المختلفة بسهولة ويسر دون تأويل أو

(1) الجاحظ، مرجع سابق، 89/1، 90.

غموض ولهذا كانت دراسة بلاغة الحديث النبويّ أمرًا دقيقًا يتطلب من الدّارس البحث في الطّريقة والأسلوب الذي استطاع بهما الرّسول ﷺ الوصول إلى الدّقة والإحكام فيصّل الدّارس للحديث النبويّ إلى إزالة الغموض وتوضيح مقاصده فتتحقق الغاية التّعليميّة منه، ومن ثمة الوصول إلى تحقيق التّلاؤم بين الغاية التّعليميّة التّشريعيّة والأسلوب من جهة، وبين الموضوع والأسلوب من جهة ثانية، وهذا ما يوصلنا إلى الاقتناع بما لا يدع مجالاً للشك بأنّ هذا الخطاب متفرد في أسلوبه ومقاصده وجماليّته عن بقية الخطابات الأخرى العاديّة "فالمتحدث الذي قد تفوق في الأسلوب التّعليميّ الواضح، والمتمكن من الخطابة بمهارة وتناسق، هو بالتأكيد خطيب عظيم، إذا لم يكن الأعظم"، سبق وأن ذكرنا أنّ الغاية الجماليّة والإمتاعيّة في الحديث النبويّ هي غاية تاليّة لبقية الغايات الأخرى، وهي غاية لا تتناسب مع الخطاب الجاد، فهذا الأخير غايته التّعليم والإقناع فيبتعد عن الزّخرفة اللّغويّة والبلاغة التّحسينيّة لأنّ الهدف منه توضيح للأحكام وتوجيه لسلوك القويم، فيكون الكلام بعيدًا عن جماليّة والخيال ولكن ما دمنا نتحدث عن الخطاب النبويّ فإننا لا يمكننا أن ننظر إلى بلاغته على أنّها بلاغة خيال وزخرفة لفظيّة؛ بل هي بلاغة حقيقة، وما ورد فيه من جماليّة جاءت لتمكين حقائق معينة في النفوس والعقول لأجل إصلاحها والسّير بها إلى ما يوصل إلى النّجاح في الدّارين، ومن هنا يتّضح الفرق بين بلاغة وجماليّة الخطاب النبويّ وخطاب البلغاء وخاصة الشعراء⁽¹⁾.

من أبعاد العدول الصّرفيّ البعد الفنّي والإيقاعيّ الذي يرتبط بالبعد الصّوتيّ، فالإيقاع «له علاقة مباشرة بالدّلالة النّفسيّة والوجدانيّة، ويتحد البعد الإيقاعيّ من خلال التّكرير الصّوتيّ للكلمة، ويتأكّد عبر توالي حروف معينة ذات مخارج صوتيّة متناسقة أو متنافرة أو لها وقع خاص». ⁽²⁾، ولذلك عمد الرّسول ﷺ في تبليغ كلامه للصّحابة والتّأثير فيهم إلى اختيار ألفاظ جزلة وذات معانٍ واضحة، وإيقاع فريد من نوعه، جعل للحديث النبويّ موسيقى نثريّة لا يمكن أن تُشبّهها بموسيقى البشر العاديين، وهي «ليست حركة لفظة وإنّما هي

(1) ينظر: عيد بليغ، نظريّة بلاغة الحديث النبويّ، المكتبة العربيّة، (دط)، (دت)، ص 28، 29.

(2) محمد صالح الشنطيّ، فن التّحرير العربيّ ضوابطه و أنماطه، دار الأندلس للنشر والتّوزيع، حائل، السّعودية، ط5، 1422هـ، 2001م، ص 54.

كالموسيقى الشَّعْرِيَّة صورة حركة نفسِيَّة أو هي ترجمة صوتِيَّة عن ترجمة للكاتب من شأنها أن تُعِين اللُّغَة والكلمات على أداء المضمون الرُّوحِيّ للكاتب، وبعبارة أخرى أن تُعَبِّر الألفاظ عن المعاني بذواتها فإذا نُسِّقَتْ هذه الألفاظ تنسيقًا خاصًا اكتسبت من موسيقاها معاني جديدة، وهذا هو الَّذِي يَقْصِدُهُ البلاغيُّون من ألفاظ العذوبة والرِّقَّة والجزالة والطلاوة والسَّماحة التي تفصح عن موسيقى الأدب وأثرها في نفوسهم.»⁽¹⁾، فهذه الموسيقى ليست نابعة من الصُّور الفنِّيَّة والبلاغِيَّة والرَّخرفة اللَّفْظِيَّة، وإنَّما هي نابعة عن نفس صاحبها، وهي ترجمة لشعوره الدَّاخِلِيّ وهو ما يُعَبَّر عنها بالموسيقى الخفِيَّة، فروعَة التَّصوِير الفنِّيّ للحديث النَّبَوِيّ تكمن «في جمال الإيقاع وتدفق الموسيقى وعنفها ممَّا يتلاءم مع قيمه الخلقِيَّة.»⁽²⁾، فجمال الإيقاع الموسيقيّ للحديث النَّبَوِيّ يُضفي عليه قيمة فنِّيَّة إلى جانب القيمة الخلقِيَّة التي تدخل ضمن روحه السَّامِيَّة.

لقد حوى صحيح البخاري العديد من النماذج ذات أبعاد فنِّيَّة ومنها:

1) حدَّثنا آدم بن أبي إياس حدَّثنا ابن أبي ذئب حدَّثنا سعيد المقبريُّ عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لَهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ.»⁽³⁾، إنَّ الرِّسُولَ صلى الله عليه وسلم قد عدل من المخاطب إلى الغائب وهذا توبيخًا «للمُخاطَبِين بطريق الالتفات ومعاتبة شديدة.»⁽⁴⁾، هذا من جانب العَدول، أمَّا من جانب الإيقاع فيظهر من خلال «التَّصوِير الأدبيّ في بلاغة التَّعبير لقوله: "فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" وأسباب الجمال فيه تعتمد على عناصر فنِّيَّة بليغة منها أن جواب الشَّرط هنا جاء في صورة النَّفي في قوله: "فليس" للدَّلالة على النَّهي والتَّحريم لبشاعة الجرم والإفساد... ثم ذلك التَّوازن بين الإيقاع الموسيقيّ بين فعل الشرط والجزاء ممَّا يُثير الانتباه ويُوقظ الوجدان ويأخذ بمجامع القلب والعاطفة... والصُّورة الفنِّيَّة المستمَدَّة من موسيقى التَّزَاج بين القول والعمل، وبين الطَّعام والشَّراب؛ لأنَّ الإسلام عقيدة، وعمل، وقول،

(1) محمد رجب البيومي، البيان النَّبَوِيّ، دار الوفاء للطباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط1، 1407هـ، 1987م، ص 250.

(2) صبح علي علي، التَّصوِير النَّبَوِيّ للقيم الخلقِيَّة والتَّشريعيَّة في الحديث الشَّريف، المكتبة الأزهرِيَّة للتَّراث، القاهرة، مصر، ط1، 1423هـ، 2002م، ص188.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: الصَّوم، باب: من لم يدع قول الزُّور، رقم الحديث: 458، ص458).

(4) القسطلاني، إرشاد السَّاري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرِيَّة، مصر، ط7، 1323هـ، 257/7.

وسلوك... ومنها الصّورة البليغة في التّوازن الموسيقيّ بين جملي الشّرط: وهي "من لم يدع قول الزّور والعمل به" وبين جواب الشّرط وجزائه في قوله: "فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" فهذا التّسويق الإيقاعيّ الرّتيب يثير النّفس، وينبه الذّهن فتفتح له منافذ الإدراك وتستقر معانيه في القلب والعقل معاً.⁽¹⁾، فالحديث النّبويّ احتوى بُعداً إيقاعياً تمثل في الموسيقى الحاصلة من ذكر فعل الشّرط فجزائه الأمر الذي يشدّ انتباه المتلقي فيوجّه جميع جوارحه لكلام الرّسول ﷺ لأخذ المواعظ والتّوجيهات فالعمل بها، والكفّ عن قول الزّور؛ هذا الذّنْب الذي قد يغفل عنه كثير من المسلمين.

(2) حدّثنا بن سلام، قال: أخبرنا محمد بن فضيل قال: حدّثنا يحيى بن سعيد، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.»⁽²⁾، لقد تضمّن الحديث النّبويّ عدولاً عن صيغ المضارع "يَصُمُّ" و"يُغْفَرُ" إلى صيغ الماضي "صام" و"غُفِرَ"، وهذا «من قبيل التّعبير عن المضارع بالماضي لِتَحَقُّقِ الوقوع، أو إخبار عمّا وقع في علم الله وقضائه.»⁽³⁾، وأمّا من الجانب الإيقاعيّ الفنّي فيتمثّل في الجمع «بين حروف منتقاة تمتاز في إيقاعها الموسيقيّ والصّوتيّ بالسّلاسة والعذوبة، والرّقة والسّيوّلة في حرفيّ اللّين، وهما الألف والياء، فلم يجتمع فيها من حروف الشّدّة والجهارة والغلظة وغيرها مما يُوحى بشدّة الإيقاع وعنّف موسيقى الحروف... وبلاغة التّصوير الأدبيّ في قوله ﷺ: "من صام رمضان إيماناً واحتساباً" ترجع إلى اختيار هذه الصّيغة في حروفها ومبانيها الصّوتية وفي معاني الكلمة... فتلقاها الأذن وتستقبلها الأحاسيس في إيقاع رتيب وتنسيق بديع، تجمع بين التّألف الموسيقيّ وبين أصوات الهامة الحاسبة التّقديرية، فتستوعبها النّفس وعياً وعمقاً.»⁽⁴⁾، إنّ طبيعة الموقف تُحتمّ على المسلم اختيار ألفاظه الملائمة لذلك فالرّسول ﷺ كان في موقف المرغّب لصيام شهر رمضان على أكمل وجه الأمر الذي جعله يختار حروفاً تمتاز بالسّلاسة والعذوبة بعيداً عن الشّدّة والغلظة، فكان الأنسب لذلك الحرفان "الألف والياء" الأمر الذي انعكس على الإيقاع الموسيقيّ

(1) صبح علي علي، مرجع سابق، ص 91

(2) صحيح البخاري: (كتاب: الصّوم، باب: من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية، رقم الحديث: 38، ص 19).

(3) موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشّروق، ط1، 1423هـ، 2002م، 44/2.

(4) صبح علي علي، مرجع سابق، ص 97، 98.

للحديث، فَيَعِي الصَّحَابَةُ معاني الحديث العميقة، فيقبلون على أداء صيام رمضان، ويجتهدون في العبادة للظفر بغفران الذنوب.

(3) حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ أَبَا مَرْثَةَ مَوْلَى عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِي وَقْدِ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ. قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فَرْجَةَ فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا وَأَمَّا الْآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّلَاثُ: فَادْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ.»⁽¹⁾، فقد عدل الرسول ﷺ عن المخاطب إلى الغائب في حديثه عن الرجال الثلاثة وهذا «لئلا يُواجه المخاطبين بالمكروه.»⁽²⁾، وأمَّا من الجانب الفني فيتمثل في التجانس بين الفعلين "أعرض" و"أعرض"، «فأعرض الأولى بمعنى أدبر وولّى وترك المجلس، وأعرض الثانية بمعنى مختلف تمامًا، وهو الغضب والسخط والعقاب الشديد من الله تعالى، فالمعاني مختلفة والألفاظ متجانسة في الحروف والحركات؛ لتكون الصورة الفنية أجمل إيقاعًا وأقوى تأثيرًا واقتناعًا، إنها بلاغة من اختص بجوامع الكلم ﷺ.»⁽³⁾، فالرسول ﷺ عندما عدل عن الأفعال (أدبر، ولّى، ترك المجلس) من جهة، والأفعال (غضب، سخط، عاقب عقابًا شديدًا) من جهة أخرى، أكسب كلامه إيقاعًا وإقناعًا، وهذا الأمر ليس غريبًا عن الرسول ﷺ الذي أُوتِيَ جوامع الكلم.

(4) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عِيَّاشٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعَيْبُ بْنُ أَبِي حَمْرَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَأَبْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ

(1) صحيح البخاري: (كتاب: العلم، باب: من قعد حيث ينتهي به المجلس ومن رأى خرجة في الحلقة فجلس فيها، رقم الحديث: 66، ص29).

(2) الكوراني، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ، 2008م، 163/10.

(3) صبح علي علي، مرجع سابق، ص185.

شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»⁽¹⁾، فهناك عدول عن المضارع إلى الماضي في قوله: "حلت له شفاعتي" وهذا لتأكيد وقوعه مستقبلاً، وأمّا البُعد الفنّي في الحديث فيظهر «في بلاغة أسلوب الشّروط والجزاء في قوله: "من قال... حلت له شفاعتي" في صورة فنيّة بليغة منها: ذلك التّناسق الموسيقيّ في الإيقاع المتوازن بين جملة الشّروط وهو "من قال حين يسمع النّداء..."، وبين جملة الجواب والجزاء في قوله: "حلت له شفاعتي"، فيُحرّكُ به المشاعر ويَهزُّ الوجدان العامر بالإيمان الصّادق، وبلاغة التّعبير بقوله: "حلت له" بمعنى وجبت له الشّفاعَة، لأنّ التّعبير بـ "حلت" أبلغ من "وجبت" فلا تَجِبُ الشّفاعَة للعباد على الله تعالى ولا على رسوله ﷺ؛ بل هي تَفْضُلٌ وزيادة لمن ﷺ»⁽²⁾، إنّ جمالية الإيقاع في الحديث النّبويّ تتمثل في التّناعم الحاصل بين جملة الشّروط وجوابه مما يُؤلف نوعاً من الموسيقى الخفيّة فيؤثّر ذلك على مشاعر السّامعين، ويُحدث فيهم نوعاً من الجاذبيّة تجاه الحديث وقابليّة لتنفيذه، فيتحقّق الهدف الذي يرمي إليه الرّسول ﷺ من خلال حديثه.

ثانياً - البعد الدّالّي:

هو المستوى الأهم في الكلمة، «فالمقصود بالدّلالة المعنى وما يَكْتَنِفُهُ من إحياءات وظلال نفسيّة، ومن المفترض أن يكون الكاتب على وعي بهذه الدّلالة حتى يكون اختياره لها قائماً على أساس متين، ودلالة الكلمة ليست منفصلة عن سياقها كما هو معروف ولهذا لا بد من الإشارة إلى بُعدين للدّلالة في الكلمة الواحدة سبقت الإشارة إليهما عند أوّل عالم السنّي وهو "فرديناند دي سوسير" (Ferdinand de Saussure)»⁽³⁾، والمقصود بالبعدين للدّلالة في الكلمة: المستوى الرّأسيّ والأفقيّ.

وما دام الحديث النّبويّ هو أرقى الخطابات التّربويّة والتّعليميّة، فإنّه يُعَبِّر عن بعض معانيه بطريقة غير مباشرة، ففي بعض الأحيان عند إثبات معنى من المعاني لا يُذكر اللفظ الموضوع له في اللّغة، وإنّما يلجأ إلى لفظ آخر غير أنّه تابع للمعنى الذي يريده، ونتيجة لهذا تختفي الدّلالات المألوفة للألفاظ لِتَحْمِل مكانها دلالات جديدة غير معهودة يسعى إليها

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الأذان، باب: الدّعاء عند النّداء، رقم الحديث: 614، ص156).

(2) صبح علي علي، مرجع سابق، ص63.

(3) محمد صالح الشّنطي، مرجع سابق، ص53.

المتكلم، وتظهر شعريّة النصّ وقدرة المبدِع من خلال عرض الأفكار وبنمط إبداعيّ يُغيّر النمط التعبيريّ العادي الذي لا يحمل أي صفة أدبيّة، وهذا يعني أنّ التّوصل إلى المعنى المراد تمّ عن طريق مخالفة المعتاد، وهذه السّمة أسلوبية تعتمد على كسر التّوقع، لأنّ عدم التّوقع يزيد من انتباه القارئ ويفاجئه، وهنا يظهر التّأثير الأسلوبيّ الذي أدى لتوافق شدة التّلقّي مع شدة الإرسال⁽¹⁾.

والجدير بالذّكر أنّ النّقاد والبلاغيين القدامى كانت لهم إشارات مبكرة تُعدّ بذورًا للبحث في العَدول الدّلاليّ، ومنهم: "عبد القاهر الجرجانيّ" الذي قسم المعنى إلى نوعين: «المعنى ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تَعَقِلَ من اللفظ معنًى ثم يُفْضِي بك المعنى إلى معنى آخر.»⁽²⁾.

ما أشار إليه "عبد القاهر الجرجانيّ" بنظرية معنى المعنى يتطابق مع ما اصطلح عليه الدّارسون المحدثون تسميته الانزياح الدّلاليّ؛ حيث أنّ معنى المعنى يقوم على الاستدلال من المعنى الأول على المعنى الثّاني، فكلا النّظريتين (معنى المعنى-الانزياح الدّلاليّ) تعملان على توظيف المعنى المباشر لتوليد معنى آخر، وللإشارة أنّ الوصول إلى المعنى الثّاني (المعدول إليه) يتطلب التّوافق عند المعنى الأول (المعدول عنه)، فالسامع أو المتلقّي لا يبذل جهدًا في فهم المعنى الأول لأنّه مباشر، أمّا فهم المعنى الثّاني فيلزمه بذل جهد عقليّ لأنّ المتكلم يقوم بعملية تشفير (Encoding) المعنى المقصود وما على المتلقّي إلّا فك عملية التّشفير (Decoding)، وحتى تتحقّق عملية فك التّشفير يجب أن تكون هناك علاقة وطيدة بين المعنى الأول والمعنى الثّاني تُجيز الانتقال من دلالة إلى أخرى، وهنا تكمن أهميّة العَدول أو المعنى الثّاني.

إنّ علم الدّلالة لا يُغفل ألوانًا بلاغيّة متعددة كالمجاز والاستعارة والكناية باعتبارها من العوامل المؤدّية لتبدلات المعنى، كما أنّ المعالج للألوان السّابقة الذّكر عليه أن يتعامل معها من خلال منظور علم الدّلالة، فعلم الدّلالة مرتبط ارتباطًا وثيقًا بعلم البلاغة، ونقطة الاشتراك

(1) ينظر: ميخائيل رفاتيير، معايير تحليل الأسلوب، ترجمة وتحقيق: حميد الحمدانيّ، دار النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، ط1، 1993م، ص27.

(2) عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، دار الكتاب العربيّ، ط1، 1994م، ص203، 204.

بينهما هو التغيّر والتبدّل الدلالي⁽¹⁾، وهو تغيّر يُمكن أن يُدرس في معظم الألوان البلاغية؛ خاصة تلك الألوان القائمة على العدول عن الأداء المباشر، ومن أنواع الانزياح المجازي للعلاقة الحالية والتي تتحقق بإطلاق اسم الحال في المكان على محله ومثالها:

- عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «العبد إذا وضع في قبره وتُولى، وذهب أصحابه، حتى إنه ليسمع نعالهم، أتاه ملكان فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل -محمد- فيقول: أشهد أنه عبد الله ورَسُولُهُ، فيقال: أنظر إلى مقعدك من النار، أبدأك الله به مقعداً من الجنة.»⁽²⁾، فلفظة مقعد هي التي تم فيها الانزياح للعلاقة الحالية وهي التي تعني مكانك، أو مكانتك التي أراد بها حُسن الثواب وهي محل، فلفظة حُسن الثواب حلت محلها لفظة مقعد تسميةً للشيء باسم الحال فيه، ويمكن توضيح ذلك في الشكل الآتي:

المدلول الثاني	المدلول الأول	المدلول
↓	↓	↓
حُسن الثواب	مكانك	مقعد

وما يُؤكّد العدول عن المدلول الأول إلى المدلول الثاني القرينة الموجودة في السياق "من الجنة" فالجنة إنما تكون دليلاً على حُسن الثواب.

ثالثاً: البعد التداولي:

إنّ التداولية (la pragmatique) هي «دراسة العلاقات بين الصيغ اللغوية ومستخدمي هذه الصيغ»⁽³⁾، فقضية التداولية هي «إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرّف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير "التداولية" من نَمّة جديدة بأن

(1) ينظر: عبد الواحد حسن الشيخ، العلاقات الدلالية والتراث البلاغي الأدبي، مكتبة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، ط1، 1999م، ص 16، 20.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: الجنائز، باب: الميت يسمع خفق النعال، رقم الحديث: 1338، ص322).

(3) جورج يول، التداولية، ترجمة: قصي العتاي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 1431هـ، 2010م، ص19.

تُسمى "علم الاستعمال اللغوي".⁽¹⁾، فالتداوليّة تهتم بحالة المستمع واستجابته لما يُلقى عليه، وأقرب حقل مفهوميّ من التداوليّة هو "علم اللسانيات".

فالتداوليّة تختص بدراسة المعنى كما يُوصله المتكلم (أو الكاتب)، إلى السامع (أو القارئ)، فيحاول هذا الأخير تفسيره، ولهذا فالتداوليّة لها علاقة مباشرة بتحليل ما يقصده المتكلمون من معانٍ أكثر ما تعنيه من كلمات وعبارات مستعملة للوصول لهذه المعاني، فالتداوليّة هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم، فميدان التداوليّة يتضمّن بالأساس تأويل ما يقصده المتكلمون من كلامهم الذي ورد على سياق معين، دون إهمال هذا السياق على السامعين، مع مراعاة الآلية التي انتظم فيها الكلام، ومادام هذا الكلام قد وُجّه لفئة محددة من السامعين كان لابد من مراعاة طبيعة الأشخاص المخاطبين، ومكان وزمان والظروف التي ذكر فيها الخطاب، ثم ننقل إلى الطرف الثاني والمقصود به السامعين حيث يعمل هؤلاء على استخدام استدلالات حول ما يُقال لهم للوصول إلى ما يقصده المتكلم من كلامه؛ بل إنّ ما يتوصلون إليه من حقائق ونتائج وغايات تكون أكثر مما يُقال، فالتداوليّة هي دراسة كيفية إيصال أكثر مما يقال.⁽²⁾

إنّ كل خطاب له بلاغته وقدرته على اقتراح إضافات وتعديلات على النظرية التداوليّة مما يُساعد على خلق نوع من التآلف، فاستمراريّة وديمومة الإطار التّنظيريّ لأي قاعدة مرتبط بمدى مرونتها وقابليّتها وتأقلمها مع جميع مقترحات النصوص، وألوان الخطاب المختلفة، وهذا مع مراعاة خصوصيّة المحددات السياقيّة، والعناصر التداوليّة للخطاب في الحديث النبويّ والتي لا تتلاءم مع كثير من آراء البلاغيين التي كانت شائعة، فعلى سبيل المثال الأمر في الحديث النبويّ ليس حجاجاً حوارياً بل هو خطاب إقناعيّ، وهناك تباين كبير بين الأمرين، فالمتلقي للخطاب النبويّ ليس بحاجة إلى حجة، وإن كان بحاجة إلى بيان وتبليغ، فالسامع مقتنع يقيناً بقداسة الخطاب النبويّ، وهنا يُمكن القول أنّ الاقتناع لا يعدو أن يكون تمكيناً للحقائق في نفس المتلقي، ولا يلبث أن يتحوّل الخطاب إلى مُنجز، فأقوى دعائم

(1) مسعود صحراويّ، التداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة "الأفعال الكلاميّة" في التراث اللسانيّ العربيّ، دار

الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005م، ص16، 17.

(2) ينظر: جورج يول، مرجع سابق، ص 19.

الحجة هنا هي دعائم السّياق، ومن هنا يتضح أنّ الأقوال العاطفيّة الخطابية تنم عن قدرة الرّسول ﷺ الحجاجيّة، وهذه القدرة هي الرّكيزة التي يعتمدها ﷺ في دعوته للنّاس، فالذّي يدعوهم إلى الحق للخروج من الظّلمات إلى النّور لابد أن يكون أقوى شكيمة وأكثر إقناعاً وأدمع حجة(1).

إنّ الخِطاب في اللّغة العربيّة يتركز على حال المتلقي والمستمع، فلكل حدث حديث ولكل مقام مقال، فحتى يتم التّواصل بين المتكلم والمتلقي يجب أن تُراعى أحوال المخاطبين ومستوياتهم وحالاتهم النفسيّة ووضعيّاتهم الاجتماعيّة، فيعدّل المتكلم عن صيغ لفظيّة إلى صيغ أخرى، وفي هذا الشّأن يقول "مارسال كريسو" (Marcel Groco): «إنّ انعكاس حضور المتقبل على صفحات الخطاب يُعلم علم الصّرورة وهو ما يمكن استغلاله في بلورة الأبعاد السّوسيوولوجيّة والنّفسيّة في الظّاهرة اللّغويّة.»(2)، فالأسلوب عند المسديّ يُعتبر «ضغطاً مسلطاً على المتقبل، بحيث لا يُلقى الخطاب إلّا وقد تهيأ فيه من العناصر الضّاغطة ما يُزيل عن المتقبل حرية ردود الفعل.»(3)، ومعنى ذلك أنّ الخِطاب يخضع في تشكيله وتأليفه إلى المتكلم والمتلقي فالمتكلم يبذل قصارى جهده من أجل استهداف أعماق المتلقي مع مراعاة حالته النفسيّة، ولذلك «قد تقتضي مسايرة التّعبير للحالة النفسيّة أن تُخرج التّركيب عن مقتضى الظّاهر كأن يُذكر مرة ويؤنّث مرة أخرى في السّياق نفسه، أو كأن يأتي بالتّركيب على خلاف أصله.»(4)، وليست الحالة النّفسيّة للمتلقى وحدها المعتمدة في بناء الخطاب، فمن الجوانب الأخرى التي يجب مراعاتها أثناء وضع الخطاب والتي تفرض نفسها على المتكلم اعتبار حالة المتلقي، والذّي تُراعى فيه المكانية الاجتماعيّة التي يحظى بها المتلقي كمخاطبة المفرد بلفظ الجماعة وهذا للرفع من شأن المخاطب ومثال ذلك:

1) حدّثنا قتيبة، حدّثنا يعقوب، عن عمرو، عن أنس بن مالك ﷺ: أنّ النّبِيَّ ﷺ قال لأبي طلحة: «الْتَمِسْ غُلَامًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أُخْرَجَ إِلَيَّ خَيْبَرًا...»(5)، فالرّسول ﷺ قال:

(1) ينظر: عيد بليغ، مرجع سابق، ص 52.

(2) عبد السّلام المسديّ، مرجع سابق، ص 64.

(3) نفسه: الصّفحة نفسها.

(4) صلاح ملا عزيز،جماليّات الإشارة النّفسيّة في الخطاب القرآنيّ، دار الزّمان، دمشق، ط1، 2010م، ص 373.

(5) صحيح البخاري: (كتاب: الجهاد والسير، باب: من غزا بصبي للخدمة، رقم الحديث: 2893، ص714).

"غلمانكم" بدلاً من "غلمانك"، ففيه رفع من شأن الصَّحابيِّ الجليل "أبي طلحة"، خاصة وأنَّ الرِّسُولَ الكَرِيمَ كان يَلْتَمَسُ منه إعطائه أحد غلمانه، فهو يُعَلِّمُنَا -على اعتبار أنَّه مدرسة نبويَّة، وقُدوة للمسلمين- أن نحترم كل من يطلب مِنَّا خدمة ما، فإذا كان الاحترام مطلوبًا فاحترام من لهم فضل علينا من باب أولى.

ومن الأغراض التي يُمكن أن يخرج إليها الخطاب النَّبَوِيُّ هو التَّعليم، فالرِّسُولُ الكَرِيمُ وفي كثير من المواقف التي حصلتْ مع أحد الصَّحابَةِ يخاطب أحدهم بصيغة الجمع لأنَّه ﷺ لم يبق تعليمه ونصحه محصورًا عند حدود المفرد؛ بل يتعداه إلى جماعة الصَّحابَةِ ﷺ، ومن ورائهم بقيَّة المسلمين في كل زمان ومكان، ومن التَّمَاذِجِ التي تصب في هذا الإطار ما يلي:

(2) حدَّثنا عبد الله بن مسleme عن مالك عن نافع «عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ -وَهُوَ يَسِيرُ فِي رَكْبٍ، يَخْلِفُ بِأَبِيهِ- فَقَالَ : أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَأكُمْ أَنْ تَخْلِفُوا بِأَبَائِكُمْ.»⁽¹⁾، فرسول الله ﷺ «لم يُخاطب عمر بن الخطاب وحده بهذا النَّهْيِ وَالْإِنْكَارِ؛ بل قال: (ينهاكم) خطابًا للجميع؛ أي أَيْتُهَا الْأُمَّةَ، وهذا لأنَّ المقصود وهو الإبلاغ... فضلًا عما يُنبئ عنه هذا الأسلوب من خُلقه العظيم الكَرِيمِ، الَّذِي هو قُدوة للمعلمين المربين، ينبغي أن يقتدوا به ويأتسوا بطريقته.»⁽²⁾، فالرِّسُولُ ﷺ عندما شاهد عمر بن الخطاب ﷺ يحلف بوالده، حدَّره من مغبة هذا العمل بصيغة مجموعة مخاطبين حتى يتنبه بقيَّة الصَّحابَةِ الحاضرين فلا يقعوا في نفس الخطأ.

ومن الغايات الأخرى للعدول الحثُّ والإغراء في الحديث الآتي:

(3) حدَّثنا عمر بن حفص بن غياث حدَّثنا أبي حدَّثنا الأعمش قال حدَّثني عمارة عن عبد الرَّحْمَنِ ابن يزيد قال: دخلتُ مع علقمة والأسود على عبد الله، فقال عبد الله: كُنَّا مع النَّبِيِّ ﷺ شَبَابًا لَا نَجِدُ شَيْئًا، فقال رسول الله: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مِنْ اسْتِطَاعَ الْبَاءَةَ، فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الأيمان والنذور، باب: لا تحلفوا بأبائكم، رقم الحديث: 6646، ص181).

(2) نور الدين عتر، أهم الملامح الفنيَّة في الحديث النَّبَوِيِّ، مجلة مركز بحوث السنَّة والسيرة، قطر، العدد7، 1414هـ، 1993م، ص85.

وَجَاءَ»⁽¹⁾، في هذا الحديث حثٌّ للشّباب المسلم على الزّواج وهذا لتحسين الفرج وعدم الوقوع في المعاصي، وقد ورد العدول في عبارة "فعلية بالصّوم فإنّه له وجاء" وهو عدول عن صيغة المخاطب "فعلية بالصّوم فإنّه لكم وجاء" وفيها أيضًا إغراء وإن كان هذا جائز «للحاضر لما فيه من دلالة الحال، بخلاف الغائب فلا يجوز لعدم حضوره ومعرفته بالحالة الدّالة على المراد...فليس في الحديث إغراء الغائب بل الخطاب للحاضرين الذين خاطبهم أولاً بقوله: "من استطاع منكم" فالخصاء في قوله: "فعلية" ليست للغائب وإنما هي للحاضر المبهّم، إذ لا يصح خطابه بالكاف، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾⁽²⁾ (البقرة: 178) إلى أن قال: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ (البقرة: 178)، ومثله لو قلت لاثنتين من قام منكما فله درهم فالهاء للمبهّم من المخاطبين لا لغائب»⁽²⁾، فاستعمال ضمير الغائب بدلاً من ضمير المخاطب للتعبير عن الإغراء رغم أن العرب لا تُغري إلا بالمخاطب، ولكن ذلك جائز في حالات خاصة ومحدودة كأن يكون المخاطب مبهّمًا وغير معين كما هو وارد في الحديث السابق.

ويُمكن أن تكون الغاية من العدول رفع الحرج على المخاطب كالمثال الآتي:

(4) حدّثنا علي بن عبد الله قال: أخبرنا يحيى بن سعيد قال: حدّثنا ابن أبي عروبة، قال حدّثنا قتادة أن أنس بن مالك حدثهم قال: قال النبي ﷺ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ» فَأَشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ: «لَيُنْتَهَنَّ عَنْ ذَلِكَ أَوْ لَتَخَطْفَنَّ أَبْصَارَهُمْ.»⁽³⁾، إنَّ الرّسول ﷺ عدل في خطابه إلى الضّمير الغائب رغم علمه بالذين رفعوا رؤوسهم وأبصارهم إلى السّماء، فهو «لم يبين الرّافع منهم لئلا ينكسر خاطره إذ النّصيحة على رؤوس الأشهاد فضيحة»⁽⁴⁾، ومرة أخرى يُوكّد الرّسول ﷺ على سمو أخلاقه ورفعها فهو لم يشاء أن يُوجّه خطابه للشّخص الذي رفع بصره للسّماء أثناء صلاته وهذا رفعًا للحرج، فلا ينظر إليه بقية الحضور نظرة ازدراء واحتقار، فيُصحّ خطاه دون أن يشعر به أحد.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: النّكاح، باب: من لم يستطع الباء فليصم، رقم الحديث: 5066، ص1293).

(2) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 109/9.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: العمل في الصّلاة، باب: رفع البصر إلى السّماء في الصّلاة، رقم الحديث: 750، ص185).

(4) بدر الدّين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، (دط)، (دت)، 309/5.

إذا كان العَدول يُعدّ شكلاً من أشكال تنوع الأسلوب فإنّ المدارس النّقديّة الحديثة ترى أنّ المفاجأة هي الوظيفة الأساسيّة للعَدول، وذلك من باب الاهتمام بالمتلقي؛ لأنّ المتلقي يشارك المؤلّف في تشكيل المعنى وإنتاج النص، ولا شك أنّ للمفاجأة الدور الكبير في لفت انتباه المتلقي للنّص⁽¹⁾، وقد أدركت معظم الاتجاهات النّقديّة دور عنصر المفاجأة في إثراء النّص الأدبيّ، ومن ثمّ إثارة الجمال لدى المتلقي.

كما أنّ (المفاجأة) تُؤدّي إلى لفت انتباهه وجذبه نحو النّص وبالتالي الوصول إلى إثارة الجمال فيه؛ لذلك نرى "ريفاتير" يُعرّف الأسلوب: «بأنّه إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام وحمل القارئ على الانتباه إليها، بحيث إذا غفل عنها شوّه النّص، وإذا حلّلها وجد لها دلالات تميز خاصة، ممّا يسمح بتقرير أنّ الكلام يُعبّر والأسلوب يُبرّز»⁽²⁾.

وخلاصة الكلام أنّ النّقاد تباينت آراؤهم حول العَدول الصَّرْفِيّ، فهناك فريق يكبر قيمته الجماليّة؛ بل يطالب أن يتعدى البنيّة السّطحيّة إلى البنيّة العميقة، وهناك من يعتبره مقياساً لجودة الأسلوب الأدبيّ، وهناك من يعتبر أنّ العَدول ليس له قيمة فنيّة؛ لأنّه ليس كل خروج عن النّمط المألوف ينبثق عنه إبداع فنيّ.

(1) ينظر: عبد الله خضر حمد، مرجع سابق، ص 59، 60.

(2) رينيه ويلك، أوستن وارين، نظريّة الأدب، ترجمة: محي الدين صبحي، مراجعة: حسام الخطيب، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيّة، دمشق، (دط)، 1972 م، ص 83.

3- نبذة مختصرة للإمام البخاري وكتابه الصحيح.

أولاً- حياة الإمام البخاري:

يُعدُّ الإمام البخاري من علماء الأُمَّة وعظماؤها الذين تفتخر بهم، فقد كان ورعاً تقياً من الشوائب والضلالات نقياً، ويُعدُّ كتابه الجامع الصحيح "أصحّ الكتب بعد كتاب الله"، فقد قال محدث الشام الإمام "محي الدين بن شرف النووي" (ت: 676هـ): «أتفق العلماء رحمهم الله على أنّ أصحّ الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان: "البخاري" و"مسلم"، وتلقتهما الأُمَّة بالقبول وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة. وقد صحّ أنّ "مسلمًا" كان يستفيد من "البخاري"، ويعترف بأنّه ليس له نظير في علم الحديث»⁽¹⁾.

وقبل دراسة العدول الصّرفي في صحيح البخاري علينا أن نقوم بترجمة لحياة الإمام "البخاري" وكتابه "الصحيح" حتّى نقف على أثره ونهتدي بهديه، ونعرف كيف عان حتى وصل إلى مصاف العلماء الأجلاء، فالإمام "البخاري"، هو "محمد" وكنيته "أبو عبد الله" ولقبه إمام المحدثين أو أمير المؤمنين في الحديث، ونسبه «محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزِيَه بن بَدْزِيَه»⁽²⁾.

ومن خلال الاسمين الأخيرين يظهر أنّ الإمام "البخاري" أعجمي الأصل وبردزيه تعني الرّرع، وقد أسلم أبو جده "المغيرة" على يدي "يمان الجعفي" حاكم "بخاري"، وقد نُسب "المغيرة" إلى قبيلة "يمان الجعفي" فصار يُسمّى "المغيرة الجعفي"، وكل من وُلد له من نسله يصبح جعفيًا بما فيهم الإمام "البخاري"، وهذا ما يُسمى نسبة الولاء، وقد كان والد الإمام البخاري (إسماعيل) من كبار المحدثين، وأصحاب الإمام "مالك" حيث يقول "الإمام البخاري": «سمع أبي من "مالك بن أنس" ورأى "أحمد بن زيد" وصافح "ابن المبارك" بكلتا يديه.»⁽³⁾، وقد كانت والدته أيضًا عابدة صاحبة الكرامات، رُزِقَتْ حظًا وافراً من الابتهاج إلى الله والدعاء إليه، فقد كان ابنها "البخاري" فاقداً لبصره في صغره، وعجز الأطباء على علاجه،

(1) البخاري، مقدمة صحيح البخاري، ص5.

(2) عبد السلام المباركفوري، من سيرة الإمام البخاري (سيد الفقهاء وإمام المحدثين)، نقله إلى العربية وعلّق عليه: عبد

العليم بن عبد العظيم السبتي، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، مكّة المكرمة، ط1، 1422هـ، 51/1.

(3) الذهبي، سيرة أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1402هـ، 392/12.

فأثرت في المنام سيدنا "إبراهيم" عليه السلام يقول لها: «يا هذه قد ردّ الله على ابنك بصره بكثرة دعائك.»⁽¹⁾، ففي هذه الليلة التي رأته فيها هذه الرؤيا ردّ فيها بصر ابنها.

لقد كان مولد "الإمام البخاري" في "بخارى" بـ "خراسان"، وقد كانت قبل الفتح الإسلامي عاصمة الملوك "السامانيين"، وهي على مسافة يومين من "جيجون"، وعلى مسافة فرسخين من مدينة "سمرقند" وقد وُلد "الإمام البخاري" يوم 13 من شهر عيد الفطر سنة 194هـ بعد صلاة العيد، وقد تُوفي والده "إسماعيل" عندما كان "الإمام البخاري" صغيراً، فكفلته أمه، فَحَفِظَ الأحاديث النبوية عندما بلغ عشر سنوات، فقد حرص على التمييز بين صحيحها على غيرها، ومعرفة علل الأحاديث وأحوال الرواة ومعرفة عدالتهم وضبطهم وأمانتهم وصدقهم ومعاشتهم ومولدهم ووفياتهم ولقائهم فيما بينهم، ومن شيوخه "الإمام مالك"، و«روى عن "عبد الله بن المبارك"، و"ابن عيينة"... كما روى عن "محمد بن سلام البيهقي" خمسة آلاف حديث موضوع... وكذلك "عبد الله ابن محمد المُسندي" وهو حفيد "اليمان الجعفي".»⁽²⁾، وقد سمع عليهم "الإمام البخاري" وهو لم يتجاوز ست عشرة سنة، وفي هذا العمر وبالتحديد عام 210هـ خرج للحج رفقة أمه وأخيه "أحمد"، وعند الانتهاء من مناسك الحج عاد الأخ والأم بينما بقي الإمام بـ "مكة"، فتحمل فراغ الأم والأخ، ثم صار يحضر حلقات الدرس، ومجالس العلماء الذين من بينهم "أبو الوليد أحمد بن محمد الأرزقي" و"عبد الله بن يزيد" وغيرهما من العلماء، ثم ذهب "للمدينة المنورة" عام 212هـ، ومن أئمتها "إبراهيم ابن المنذر" و"أبو ثابت محمد بن عبد الله"، وقد بدأ يرتب مسودة كتابه (التاريخ الكبير) في الليالي المقمرة، وقد مكث في "الحجاز" (مكة، المدينة، الطائف، جدة) ست سنوات ثم توجه إلى "البصرة" التي كانت حينئذ من المراكز العلمية الكبيرة، فتلقى العلوم على يدي علمائها ومن بينهم الإمام "عاصم بن النبيل" و"صفوان بن عيسى" وغيرهما، وقد رحل "للبنصرة" أربع مرات، أما "الكوفة" فعدة مرات، وقد ذهب أيضاً إلى "بغداد"، ومن شيوخها "الإمام أحمد بن حنبل" الذي قال للإمام "البخاري" عندما كان يُودّعه

(1) المباركفوري، مرجع سابق، 61/1.

(2) نفسه: 75/1.

في الزيارة الثّانية لـ "بغداد" «تترك العلم والنّاس وتصير إلى "خراسان"»⁽¹⁾، وعندما استقر بـ "خراسان" تأمر عليه حاكمها "أبو الطّاهر"، وافترى عليه أملاً في طرده من "بخاري"، عندئذٍ تذكّر "الإمام البخاري" قول الإمام "أحمد" وبكل أسفٍ ويقول: "الآن أذكّره"، فرحل إلى "الشّام" وأخذ عن العديد من علمائها على غرار "محمد ابن يوسف القرينيّ"، وانتقل إلى "مصر" ودرس على يد "عثمان بن صالح"... ثم سافر إلى "الجزيرة"، واستفاد من "أحمد بن عبد الملك الحرّانيّ"، كما استفاد من علماء خراسان وضواحيها، فمن "مرو" "ابن محمد بن مقاتل"، ومن "بلخ" "ابن مكي بن إبراهيم"، ومن "هراة" "ابن أحمد بن الوليد الحنفيّ" ومن "نيسابور" من "إسحاق بن راهوية"، ومن "الريّ" من "إبراهيم بن موسى"، وقد كانت أشدّ كلمات الجرح عنده "منكر الحديث".

وقد ورث عن أبيه ثروة كبيرة سخّرها في خدمة الفقراء والمحتاجين، وكان يتحاشى مجالسة الملوك والأمراء لأنّه يرى أنّ المرء لا يُمكنه أن يحافظ على دينه، فكم من رجل صالح زلت قدمه بسبب مداراة الملوك، وقد كان مُحَبَّباً لدى العامة، فكلما نزل بمكان إلا واستقبله أهلها عامتهم وخاصتهم، فيخرج سكان المدينة عن بكرة أبيهم، لما عرفوا عنه من أخلاق عالية وعلم غزير، ومن صفاته الأخرى قوة الذاكرة؛ «حيث قال "أبو بكر الكلّوذانيّ": ما رأيتُ مثل "محمد بن إسماعيل" كان يأخذ الكتاب من العلم، فيطلّع عليه اطلاعةً، فيحفظ أطراف الأحاديث من مرة واحدة.»⁽²⁾، ونظراً لهذه المكانة الرّفيعة للإمام "البخاري" فقد سمع له وحضر مجالسه العديد من التّلاميذ بل الآلاف فقد: «سمع صحيح البخاري من مؤلّفه تسعون ألف رجل.»⁽³⁾، ومن تلاميذه الذين بلغوا مكانة رفيعة «الإمام "مسلم بن الحجاج" صاحب "الصّحيح"، والإمام "أبو عبد الله النّسائيّ" صاحب "السّنن" والإمام "أبو عيسى التّرمذيّ" صاحب "الجامع"، والإمام "ابن خزيمة الفقيه" صاحب "الصّحيح»⁽⁴⁾.

(1) المرجع السابق: 95/1.

(2) المباركفوريّ، مرجع سابق: 173/1.

(3) ابن حجر العسقلانيّ، تعليق التّعليق على صحيح البخاري، تحقيق: أبي الأشبال صغير أحمد بن شاغف، دار العاصمة، الرّياض، ط1، 1416هـ، 415/5، والدّهبيّ، سير أعلام النبلاء، 416/12، والقاضي البغداديّ، طبقات الحنابلة، المحقق: محمد حامد الفقيّ، دار المعرفة للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، 274/1.

(4) المباركفوريّ، مرجع سابق، 181/1.

لقد ذكرنا آنفاً أنّ الإمام "البخاري" تعرض لتأمر من طرف أمير "بخارى" ومجموعة من مُقَرَّبِيهِ بعد أن رفض الإمام الموالاة للأمير؛ الأمر الذي جعل الأمير "خالد بن أحمد الذهلي" لا يتقبَّل هذا الرِّفْض واعتبره إهانة له ولالإمارة، ممّا أدّى به إلى تليفيق التَّهْم بالإمام، وأوعز المهمة لـ "حريث بن أبي الزرقاء" وأناس آخرين خشيةً أن يُتَّهَم الأمير مباشرة، وقد حاولوا أن يُزيلوا أثر الإمام من قلوب النَّاس، لأنّه كان قوي النَّفوذ، والتأثير في قلوب المسلمين، نظراً لغزارة علمه ورفعة خلقه، ونزاهته، فقالوا بأنّه يقول: «إنّ ألفاظ القرآن مخلوقة»، وأشاعوا هذه التَّهْمَة فاضطربت المدينة، وأوشكت الفتنة على الوقوع، فأصدر الأمير المتآمر قراراً يقضي بأن يترك الإمام المدينة خشيةً تطور الأحداث إلى الأسوأ، فقال الإمام "البخاري" حيث هم بالخروج من المدينة: «اللهم أريهم ممّا قصدوني به في أنفسهم وأولادهم وأهاليهم». (1)، ولم تمض إلا أيام قلائل إلا أُستجيبَت الدَّعوة، فجاء أمر من حاكم "خراسان" يقضي بعزل الأمير "خالد بن أحمد" حاكم "بخارى"، ودُعِيَ فحُبس إلى أن مات في سجنه، ولم يكن حال بقية المتآمرين بأفضل من حال الأمير، فهناك من رأى شراً في نفسه، ومنهم من وجده في أولاده وأمّا "الحريث بن زرقاء" فقد ابتلي في أهله.

وقد خرج الإمام "البخاري" من "بخارى" ووصل إلى "بيكند"، ولكن الإشاعة سبقته إلى "بيكند"، فانقسم النَّاس بين فريقين: فريق يُبْرئُ الإمام، وفريق يساير المفسدين، فرأى الإمام "البخاري" من غير مناسب أن يستقر في "بيكند"، وكان أهل "سمرقند" قد سمعوا بقدوم الإمام إلى "بيكند"، فطلبوا أن يُشَرِّفَهم بقدومه إليهم، ويَعِدَّ حلقات العلم، فتوجَّه إلى "سمرقند" إلا أنّه نزل بقية "خرتتك" على بعد فرسخين من "سمرقند"، ومكث عند أحد أقربائه، «ولكنه علم أن الفتنة التي أثرت في "بخارى" قد اشتعلت نيرانها في "سمرقند" أيضاً، وانقسم النَّاس إلى فريقين كما كان الحال في "بيكند"، أحدهما موافق مؤيِّد، والثَّاني مخالف معادٍ». (2)، فدعا الله قائلاً: "اللهم قد ضاقت عليّ الأرض بما رحبت فاقبضني إليك"، وبعد خلاف اتفق سكان "سمرقند" أنّ القضية لا تعدو أن تكون فريّةً مكذوبة على الإمام، فدعوه للإقامة عندهم، فقيل، وقال "غالب بن جبريل": «وتهياً للركوب ولبس حُفْيِهِ وتعمّم فلماً مشى قدر عشرين

(1) المرجع السابق: 189/1.

(2) الذهبي، مرجع سابق، 464/12.

خطوة أو نحوها إلى الدّابة ليركبها وأنا آخذ بعضُده، ورجل آخر معي يقوده إلى الدّابة قال: أرسلوني فقد ضعُفتُ، فأرسلناه فدعا بدعوات ثم اضطجع فقَفِّي ثم سال منه عرق كثير»⁽¹⁾، فكانت وفاته ليلة السّبت ليلة عيد الفطر عند صلاة العشاء، ودُفن يوم الفطر بعد صلاة الظّهر سنة ستة وخمسين ومائتين وعاش اثنين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً، وكانت حياته كلها حافلة بالعلم معمورة بالعبادة⁽²⁾، وقد اختلف النّاس؛ أين يدفنه؟ ثم اتفقوا أن يُدفن في قريته "خرتلك".

ثانياً - التعريف بالجامع الصّحيح:

لقد كانت المؤلفات تضمّ جميع أصناف الحديث من صحيح وضعيف وموضوع؛ حيث كان يرى علماء الحديث أنّه يُمكن لأيّ فقيه أو عالم أو محدّث التّمييز بين هذه الأصناف وغيرها، ولكن الأمر بدأ يعرف نوعاً من الصّعوبة نظراً لكثرة الرّواة واستطالة الأسانيد؛ الأمر الذي جعل الإمام "إسحاق بن راهويه" شيخ الإمام "البخاري" يقول: «لو جمعتهُم كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله ﷺ». ⁽³⁾، قال "البخاري": «فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصّحيح». ⁽⁴⁾، ولقد وافق ذلك ما رآه الإمام "البخاري" في منامه حيث قال: «رأيتُ النَّبِيَّ ﷺ وكأني واقف بين يديه ويُبدي مروحة أذنبها عنه، فسألْتُ بعض المعبرين فقال: أنت تدب عنه الكذب، فهو الذي حملني إخراج الجامع الصّحيح». ⁽⁵⁾، ومن الدّوافع الأخرى من تأليف الجامع الصّحيح هي موجة البدع التي ظهرت في القرنين الثّاني والثّالث الهجريين: كالخروج والتّهجم والاعتزال والإرجاء والتّشيع، وبدع مذهبيّة كالتّعصب للإمام

(1) المباركفوري، مرجع سابق، ص192.

(2) ينظر: الذهبي، مرجع سابق، 460/12، والحافظ بن الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (دط)، (دت)، 34/2، أبو العباس خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (دط)، 1398هـ، 4/191.

(3) أبو بكر كافي، منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها (من خلال الجامع الصّحيح)، شرحه: حمزة عبد الله المليباري، دار ابن حزم للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط1، 1421هـ، ص55.

(4) نفسه: الصّفحة نفسها.

(5) أبو بكر كافي، مرجع سابق، ص9.

وبدع سلوكيّة كالتّصوف المُغالي، ويقول الإمام "البخاري" حول تصنيفه لكتاب الجامع الصّحيح: «وصنّفْتُ كتابي الجامع في المسجد الحرام، وما أدخلتُ فيه حديثاً حتى استخرتُ الله تعالى وصليتُ ركعتين، وتيقنْتُ صحته.»⁽¹⁾، ويُضيف قائلاً: «وصنّفْتُ الجامع من ستمائة ألف حديث في ست عشرة سنة، وجعلته حجةً فيما بيني وبين الله.»⁽²⁾، وقد اشتمل الجامع الصّحيح على 97 كتاباً و3450 باباً مرْتبة حسب المسائل الفقهيّة والعقدية، ومن أقسام الجامع:

- كتاب بدء الوحي: وهو أوّل كتاب في الصّحيح،
- كتاب الإيمان: وذكر فيه مذهب أهل السنّة والجماعة.
- كتاب فضائل أصحاب النّبِيِّ ﷺ.
- كتاب مناقب الأنصار وقد ضمّنهما الرّدّ على الشّيعَة والخوارج.
- كتاب الاعتصام بالكتاب والسّنّة: فقد ضمّنه الحثّ على التّمسك بهما.
- كتاب التّوحيد: الرّدّ على الجهميّة وضمّنه مذهب أهل السنّة، وهو آخر كتاب في الصّحيح.

(1) المباركفوري، مرجع سابق، 335/1.

(2) نفسه: 336/1.

4- العَدول الصَّرْفِيّ عند اللّغويين العرب

أ- عند اللّغويين العرب القدماء:

عند الرّجوع إلى التّراث العربيّ القديم نجد إشارات تُشكّل بذور فكرة العَدول، فهناك العديد من النّقاد والبلاغيين الذين أدركوا أن المستوى الفنيّ لا يُمكن أن يتحقّق إلاّ بالخروج عن المألوف ومن هؤلاء النّقاد "عبد القاهر الجرجانيّ" الذي تحدّث عن جماليّات الأسلوب وما يتضمّنه من استعارة وتشبيه ومجاز وكناية وتقديم وتأخير وحذف، وإيجاز وإطناب وغيرها من مواضع البلاغة، التي نَبّه إليه القدامى على أنّ العَدول ما خرج عن المألوف، وذلك للتمييز بين اللّغة العاديّة واللّغة الفنيّة، حيث يقول "الجرجانيّ" في هذا الشّأن: «الكلام على ضربين؛ ضرب أنت تصل منه الغرض بدلالة اللفظ وحده، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، لكن يُدرك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللّغة، ثمّ تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية، الاستعارة والتّمثيل.»⁽¹⁾.

إنّ "الجرجانيّ" في كلامه السّابق يُفرّق بين الكلام العاديّ الذي تصلّ منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، والكلام الذي فيه عدول وانزياح، وهو الذي لا تصلّ منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن اللفظ يدلّك على معناه الذي يقتضيه في اللّغة، كما أشار إلى أنّ مصطلح العَدول يعني الانزياح، وأنّ المزيّة والحسن في اللفظ والنّظم، ودليل الشّعريّة في النّص، حيث يقول في هذا الصّدّد: «اعلم أنّ الكلام الفصيح ينقسم قسمين: قسم تُعزى المزيّة والحسن فيه إلى اللفظ، وقسم يُعزى ذلك فيه إلى النّظم، فالقسم الأوّل: (الكناية) و(الاستعارة)، و(التّمثيل الكائن على حد الاستعارة)، وكلّ ما كان فيه على الجملة، مجاز واتساع وعدول باللفظ على الظّاهر»⁽²⁾.

من أكثر المصطلحات التي أطلقها النّقاد والبلاغيون القدامى على الأساليب التي تخرج عن المألوف "التّوسيع" أو "الأتساع"؛ فـ "سيبويه" (ت: 180هـ) على سبيل المثال أشار إلى هذا المفهوم في العديد من المواضع، حيث يقول: «...لاتّساعهم في الكلام والإيجاز

(1) عبد القاهر الجرجانيّ، مرجع سابق، ص 262.

(2) نفسه: ص 429، 430.

والاختصار فمن ذلك أن تقول على قول السائل: كم صيد عليه، وكم غير ظرف لما ذكرت لك من الاتساع والإيجاز فيقول: صيد عليه يومان، وإنما المعني صيد عليه الوحش في يومين، لكنه اتسع واختصر.

ولذلك أيضًا وضع السائل كم غير ظرف، ومن ذلك أن نقول: كم ولد له؟ فيقول: ستون عامًا. فالمعنى ولد له الأولاد ولد له الولد ستين عامًا، لكنه اتسع وأوجز.⁽¹⁾

أمّا "ابن جنّي" فقد أظنب في الحديث عنه، فيقول: «وإنّما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة وهي: الاتساع، والتوكيد، والتشبيه فإنّ عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتّة.»⁽²⁾، واستعمل "الفرابي" (ت: 339هـ) الفعل (عدّل) عندما تكلم عن الخطيب الذي تغلب عليه الأقاويل الشعريّة، فيقول: «فيستعمل المحاكاة أزيد ممّا شأن الخطابة أن تستعمله... وإنّما هو في الحقيقة قول شعريّ قد عدل به عن طريق الخطابة إلى الشعر.»⁽³⁾

كما ورد لفظ (العدول) عند "فخر الدين الرازي" (ت: 606هـ) في تعريفه للالتفات حيث يعتبره عدولاً «عن الغيبة إلى الخطاب أو العكس.»⁽⁴⁾، كما استعمل "الزّمانّي" (ت: 386هـ) العدل بصيغة اسم المفعول (معدول)؛ حيث قال: «ومن ذلك فعّال كقوله ﷺ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: 82]، ومعدول عن غافر للمبالغة.»⁽⁵⁾، أمّا "ابن الأثير" (ت: 637هـ) فقد ذكر (العدول) في مواضع كثيرة منها قوله: «فالأديب محتاج إلى التّرادف ليجد إذا ضاق به موضع في كلامه بإيراد بعض الألفاظ سعة في العدول عنها إلى غيره ممّا هو في معناه.»⁽⁶⁾، كما استعمله "ابن سينا" (ت: 428هـ) حيث

(1) سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ، 1988م، 211/1، 212.

(2) ابن جنّي، الخصائص، تحقيق: محمد علي النّجار، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، ط3، 1987م، 444/2.

(3) عبد الله خضر حمد، أسلوبية الانزياح في شعر المعلقات، عالم الكتاب الحديث، إربد، الأردن، (دط)، 2013م، ص16.

(4) الرّازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: إبراهيم السّامرائي، دار الفكر، عمان، (دط)، 1985م، ص146.

(5) الزّمانّي، التّكت في الإعجاز، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغول سلام، دار المعارف، مصر، (دط)، 1968م، ص104.

(6) ابن الأثير، مرجع سابق، 19/1.

قال: «فإنّ العَدول عن المبتدَل إلى الكلام العالِي الطبقة، والتيّ فيها أجزاء هي نكت نادرة هي الأكثر بسبب التّزيين.»⁽¹⁾.

ب- عند اللّغويين العرب المحدثين:

إنّ ظاهرة "العَدول" تُضفي على النّصوص الأدبيّة جماليّة، فتطرب الآذان لسماعها، ويهتزّ الوجدان لتذوقها، وهذا ما تقتده النّصوص التي لا عدول فيها، بالإضافة إلى أنّ القارئ أو السّامع أو المخاطب لا يكون مجرد مستهلك للنّصوص؛ بل تستقرّه هذه النّصوص للبحث عن الصّيح الأصليّة المعدّل عنها، والأعمق من ذلك البحث عن الغاية من عدم إيراد هذه الصّيح الأصليّة، ونظرًا لكل ذلك فقد اهتمت الدّراسات الحديثة بظاهرة "العَدول" وقد اختلفت مسمياته من ناقد أو لغوي إلى آخر، ومن الدّين أطلق عليه اسم الانزياح "عبد السّلام المسديّ" الذي يقول: «ولعل قيمة مفهوم الانزياح في نظرية تحديد الأسلوب اعتمادًا على مادة الخطاب تكمن في أنّه يرمز إلى صراع بين اللّغة والإنسان، وما الانزياح عندئذ سوى احتيال الإنسان على اللّغة وعلى نفسه لسد قصوره وقصورها معًا.»⁽²⁾، فـ"المسديّ" يُعدّ أول من لفت الانتباه إلى إمكانيّة استخدام هذا المصطلح (العَدول) للمفهوم الأجنبيّ "l'écart" فيقول في هذا الصّدد: «وتكاد جُلّ التّيّارات التيّ تعتمد الخطاب أسسًا تعريفياً للأسلوب تنصب في مقياس تنظيريّ هو بمثابة العامل المشترك الموحد بينهم ويتمثل في مفهوم الانزياح.»⁽³⁾.

كما نجد كثيرًا من النّقاد والأدباء العرب المحدثين قد استخدموا كلمة العَدول، ومن هؤلاء "تمام حسان" و"حمادي صمود" و"مصطفى السّديّ" و"عبد الله صوله" و"الطّيب البكوش" و"الأزهر الزّناد"⁽⁴⁾، فـ"تمام حسان" يرى بأنّ العَدول «خروج عن أصل أو مخالفة لقاعدة ولكن هذا الخروج وتلك المخالفة اكتسبا في الاستعمال الأسلوبيّ قدرًا من الاطراد رقى

(1) أرسطو، الخطابة، ترجمة وتقديم وتعليق: عبد الرّحمن بدوي، دار الشّؤون الثقافيّة العامّة، وزارة الثّقافة والإعلام، بغداد،

(دط)، (دت)، ص 169.

(2) عبد السّلام المسديّ، مرجع سابق، ص 106.

(3) نفسه، ص 97.

(4) ينظر: عبد الله خضر حمد، مرجع سابق، ص 47، 49.

بهما إلى مرتبة الأصول التي يُقاس عليها.⁽¹⁾، ف "تمام حسان" يُعدُّ العدول خروجًا عن الأصل أو مخالفة لقاعدة ما؛ بحيث يرتقي هذا الخروج أو تلك المخالفة لدرجة أنهما قد يصلان إلى مرتبة الأصول أو القواعد التي يُقاس عليها بعد أن كان تمرّدًا وخروجًا عن المألوف والمعهود، ويعد بالتالي تفجيرًا للطاقات اللغوية والإبداع.

وهناك بعض الباحثين يستبعد مصطلح الانحراف لما يحمله من بُعد سلبيّ، ومن هؤلاء "صلاح فضل"؛ حيث يقول: «إنّ التّحول عن مصطلح الانحراف إلى الانزياح قد ارتبط بما يُخفيه الانحراف من إحياء أخلاقيّ سلبيّ». ⁽²⁾، ونتيجة للبُعد السّلبيّ الذي يعكسه مصطلح الانحراف فإنّ معظم الباحثين والمترجمين استعمل مصطلح الانزياح، وهو مصطلح كثر استعماله في الدّراسات النّقديّة العربيّة الحديثة.

إنّ ظاهرة "العدول" ليست جديدة في اللّغة العربيّة، وإنّ تعددت مسمّياتها سواء عند اللّغويين القدامى أو المحدثين، فالكل حاول أن يُبرزها من زاويته الخاصة، ويُضفي عليها صبغة جماليّة، فتصبح اللّغة أكثر حيويّة وديناميّة، الأمر الذي يجعل المتلقي يتذوق النّصوص، ويستنبط القدرات الإبداعية والجمالية الكامنة فيها؛ لأنّ النّفس توافقة إلى كل ما هو خارج عن اللّغة المألوفة ومُخالف لسقف توقعات المتلقين.

(1) تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2000م، ص77.

(2) صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، إشراف: أحمد مشاري العدواني، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (دط)، 1992م، ص63.

5- العدول الصّرفي عند اللّغويين الغربيين المعاصرين:

إنّ مصطلح العدول عند اللّغويين الغربيين ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالأسلوب، فـ"فونتانياني" (Fontanier) عندما تحدّث عن الظاهرة الأسلوبية، عزاها إلى «عبرية اللغة، إذ تسمح بالابتعاد عن الاستعمال المألوف فنُوقع في نظام اللّغة اضطراباً يصبح هو نفسه انتظاماً جديداً»⁽¹⁾، فتجنب الأساليب العادية المألوفة هو تلميح إلى مصطلح العدول، وإن لم يُذكر صراحة؛ لأنّ العدول خروج عن المألوف، وهناك من المفكرين الغربيين من سمّى العدول انزياحاً، على غرار "سبيتزر" (Spitzer) فيرى أنّ مفهوم الانزياح مقياس «لتحديد الخاصية الأسلوبية عموماً ومسباراً لتقدير كثافة عمقها ودرجة نجاعتها»⁽²⁾، أمّا "تودوروف" (Todorov) فإنّه يعتمد على الانزياح عند تنظيره وتقعيده للأسلوب فيُعرّف الانزياح على أنّه «لحن مبرر ما كان ليوجد لو أنّ اللّغة الأدبية كانت تطبيقاً كلياً للأشكال النحوية الأولى»⁽³⁾، كما حاول "تودوروف" أن يحصر مجال الانزياح محيلاً إلى "جون كوهين" (Johncohen)، فاعتبر أنّ الاستعمال يكرس اللّغة في ثلاثة أنواع من الممارسات⁽⁴⁾، وهي «المستوى النحويّ والمستوى اللانحويّ (Agrammatical) والمستوى المرفوض»⁽⁵⁾، فيعتبر المستوى اللانحويّ هو المستوى الأفضل في اللّغة لأنّه يُمكن الإنسان أو المُتحدّث أن يتصرف فيه كما يريد.

وقد حاول "ريفاتير" (Michael Riffaterre) أن يحدد الظاهرة الأسلوبية وذلك باعتمادها الانزياح والذي حاول أن يعطيه تعريفاً دقيقاً عندما اعتبره «خرقاً للقواعد حيناً، ولجوءاً إلى ما ندر من الصيغ حيناً آخر»⁽⁶⁾، ففي الحالة الأولى يشمل علم البلاغة وما يعتمده من أحكام معيارية، أمّا الحالة الثانية فيشمل اللسانيات عامة والأسلوبية خاصة، أمّا "والاك وفاران" (Wellek et varren) عند تعريفهما للأسلوب تحدثا عن المفارقات والتي

(1) عبد السلام المسدي، مرجع سابق، ص 101.

(2) نفسه: ص 102.

(3) نفسه: ص 102، 103.

(4) ينظر (4) COHEN : Structure du langage poétique ,Paris Flammarion 1966, P: 80 – j :

(5) عبد السلام المسدي، مرجع سابق، ص 103.

(6) نفسه: الصّفحة نفسها.

يُمكن مشاهدتها في التركيب الخطابيّ الأدبيّ دون غيره من الخطابات وهي مفارقات «تتطوي على انحرافات ومجاذبات بها يحصل الانطباع الجماليّ». (1)، وهذا الكلام يُطابق في مضمونه ما أشار إليه "ماروز" عام 1931م عندما عرّف الأسلوب على أنّه «اختيار الكاتب لما من شأنه أن يخرج بالعبارة عن حيادها وينقلها من درجتها الصّفر إلى خطاب يتميز بنفسه» (2).

إنّ "ميشال ريفاتير" (Michael Riffaterre) هو الذي طوّر مفهوم الانزياح تطوراً جذرياً ففي كتابه (سيميوطيقا الشعر) تناول رمزيّة للقصدية سمّاها بـ(المولد) وهي ترتبط بكل ما هو غير مألوف في لغة القصدية (3)، أمّا في قاموس "لاروس" الموسوعي Dictionnaire encyclopidique Larousse، فكلمة Encart لغة: هي حركة عدول عن الطّريق أو خط المسير، وفي الاصطلاح هي فعل الكلام الذي يبتعد عن القاعدة (4).

ومما سبق يتضح أنّ مصطلح العدول عند الغربيين يُسمّى (Ecart) وهو ترجمة لمصطلح الانزياح وإن اختلفت تسمياته وهذا الاختلاف أساسه اختلاف النّقاد في الزاوية التي ينظرون منها، وهذا المصطلح سمّاه "بول فاليري" (Pau Valéry) تجاوزاً، وسمّاه "جون كوهن" انتهاكاً و"سبيتزر" انحرافاً، ولكن كل هذا المسميات وغيرها تدلّ على اللامألوف في الأسلوب على اعتبار أنّ العدول يتمحور حول هذا الأسلوب.

(1) المرجع السابق: ص 102.

(2) نفسه: الصّفحة نفسها.

(3) ينظر: عبد الله خضر حمد، مرجع سابق، ص 13.

(4) ينظر: Dictionnaire encyclopidique Larousse, Paris – France, 1972, p464, 465.

الفصل الأول

أنماط العدول الصّرفيّ وصوره الواردة
في صحيح البخاري

المبحث الأول: العدول الفعليّ

المبحث الثاني: العدول الاسميّ

المبحث الثالث: العدول بين الفعل والاسم

المبحث الأول

العدول الفعليّ.

أولاً: عدول عن الماضي إلى المستقبل

ثانياً: عدول عن المضارع إلى الماضي

ثالثاً: عدول بين المضارع والأمر

الفصل الأول — أنماط العدول الصرفي وصوره الواردة في صحيح البخاري

سنقوم في هذا الفصل بالتطرق إلى أنواع العدول الصرفي الواردة في صحيح البخاري وسنبداً أولاً بالعدول الفعلي، ثم يليه الاسمي لنصل في الأخير إلى العدول بينهما، وسنعمل على ذكر أسباب العدول كلما سمحت الفرصة أو وجدنا تبريراً لوقوعه.

إنّ الفعل عنصر مهمّ في بناء الجملة العربيّة، والجملة تنقسم إلى اسميّة وفعليّة وكل منهما يتضمّن مُسنَدًا ومُسنَدًا إليه، ولكن ليس هذا موضوع دراستنا، وإنّما موضوعنا هو الفعل، والذي اهتم به النحاة القدامى والمحدثون على حد سواء، ومن القدامى نجد "سيبويه" الذي عرّفه بقوله: «وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبُنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع، فأما ما مضى فذهب، وسمع ومكث وحمد، وأما ما بناء لم يقع فإنّه قولك أمرًا: إذهب واقْتُل واضرب ومُخْبِرًا: يَقْتُل وَيَذْهَبُ وَيَضْرِبُ وَيُقْتَلُ وَيُضْرَبُ وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن»⁽¹⁾، فالفعل حسب رأي "سيبويه" هو مادة أُخِذت من (أحداث الأسماء) «ويريد بأحداث الأسماء المصادر»⁽²⁾، كما توصل "الزجاجي" (ت:337هـ) إلى تعريف الفعل بقوله: «والفعل ما دل على حدث وزمان ماضٍ أو مستقبل نحو قام يقوم وقعد يقعد وما أشبه ذلك»⁽³⁾، وقد اقتصر "الزجاجي" الفعل على الماضي والمستقبل، إلا أنّه يُعقّب على كلامه فيقول: «الأفعال ثلاثة فعل ماضٍ وفعل مستقبل وفعل في الحال يُسمّى الدائم فالماضي ما حَسُنَ فيه أمسٍ نحو قام وقعد... والمستقبل ما حسن فيه غدٌ كقولك: أقوم ويقوم... وأما الفعل الحال فلا فرق فيه بينه وبين المستقبل في اللفظ كقولك: زيد يقوم الآن ويقوم غدًا... وإن أردت أن تخلصه للاستقبال أدخل عليه السنين أو سوف.»⁽⁴⁾، وأما "الزمخشري" (ت:538هـ) فيعرّف الفعل بقوله: «ما دلّ على اقتران حدث بزمان.»⁽⁵⁾.

في حين يقول "ابن يعيش" (ت:643هـ): «لما كانت الأفعال مساوقة للزمان والزمان من مقومات الأفعال تُوجد عند وجوده وتنعدم عند عدمه، انقسمت بانقسام للزمان، ولما كان

(1) سيبويه، مرجع سابق، 12/1.

(2) إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه وأبنيته، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1403هـ، 1983م، ص16.

(3) الزجاجي، الجمل، تصحيح وشرح: ابن أبي شنب، جول كريونل، الجزائر، (دط)، 1926م، ص17.

(4) نفسه: ص21، 22.

(5) الزمخشري، المفصل في علم العربية، مطبعة الفهد، مصر، ط1، 1323هـ، ص243.

الزّمان ثلاثة: ماضٍ وحاضر ومستقبل، وذلك من قبل أن الأزمنة حركات الفلك فمنها حركات مضتٌ ومنها حركة لم تأتِ ومنها حركة تُفصل بين الماضيّة والآتيّة، كانت الأفعال كذلك: ماضٍ ومستقبل وحاضر...»⁽¹⁾، وأزمنة الفعل الأساسيّة هي: الماضي والمضارع والأمر وهو ما يُطلق عليه الزّمن الصّرفيّ، ووظيفته الطّبيعيّة مفردة خارج نطاق السّياق، وما يُقابلة هو الزّمن التّحويليّ والذي يدلُّ عليه السّياق، والذي يدرس الصّيغ المفردة والمركّبة مع ما يصاحبها من قرائن لفظيّة «ومن سنن العرب أن تأتي بلفظ الماضي، وهو حاضر أو مستقبل، أو بلفظ المستقبل وهو ماضٍ نحو: "أتى أمر الله" أي يأتي. "أنتم خير أمة" أي أنتم. "واتبعوا ما تتلو الشياطين" أي تلت»⁽²⁾.

فأنواع العدول الفعليّ الموجودة في صحيح البخاري هي مايلي:

1- عدول عن الماضي إلى المستقبل

2- عدول عن المضارع إلى الماضي

3- عدول بين المضارع والأمر.

أولاً- العدول عن الماضي إلى المستقبل:

الفعل الماضي وهو «الدّال على اقتران حدث بزمان قبل زمانك وهو مبني على الفتح إلا أنّه يعترضه ما يُوجب سكونه أو ضمه، فالسّكون عند الإعلال ولحوق بعض الضّمائر، والضّم مع واو الضّمير.»⁽³⁾ وهو كذلك «ما يدلُّ على حدوث شيء قبل زمن التّكلم، نحو قام وقعد، وأكل وشرب.»⁽⁴⁾، أمّا المضارع «ما دلّ على حدوث شيء في زمن التّكلم أو بعده، نحو يقرأ ويكتب، فهو صالح للحال والاستقبال، ويُعيّنه للحال "لام الابتداء" و"لا" النّافيتان نحو: قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذَهَبُوا بِهِ ﴾ (يوسف: 13)، وقوله تعالى:

(1) ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشريّ، قدّمه وضبطه: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م، 400/7.

(2) السيّوطي، مرجع سابق، 1/335.

(3) الزّمخشريّ، مرجع سابق، 1/244.

(4) أحمد الحملاويّ، شذا العرف في فن الصّرف، تحقيق: يوسف الشّيخ حمد، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، 17/1.

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (النساء: 148)، وقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (الضحى: 05)، وقوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران: 92)، ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 184) و﴿إِنْ يَصْرِكُوا اللَّهَ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ (آل عمران: 160)«(1).

ومن النماذج الموجودة لهذا النوع من العدول في صحيح البخاري -والتي هي قليلة- ما يلي:

1- حدّثنا أبو اليمام أخبرنا شعيب، حدّثنا أبو الزناد، أنّ الأعرج حدّثه، أنّه سمع أبي هريرة رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «مَنْ أَطَاعَنِي، فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي، فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ يُطِيعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِي الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي.»(2)، إنّ الرّسول صلى الله عليه وسلم قال: "من يطع الأمير"، و"من يعص الأمير" ولم يقل: "من أطاع الأمير" و"من عصى الأمير"، وقد دلّ على هذا العدول سياق الحديث من خلال قوله صلى الله عليه وسلم: "من أطاعني"، و"من عصاني".

2- حدّثنا عياش، حدّثنا عبد الأعلى، حدّثنا سعيد قال: وقال لي خليفة حدّثنا يزيد ابن زريع، حدّثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوِّيَ، وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيْسَمَعُ نِعَالَهُمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ -مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم - فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيَقَالُ: أَنْظِرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، أَبْدَلَكِ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ» قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، مَا كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ...»(3)، فالكلمة التي تضمّنت عدولاً هي الفعل في قوله: "فيراها جميعاً"، وقد عدل الرّسول صلى الله عليه وسلم عن الفعل "فراهما"، ودلّ عليه كلامه صلى الله عليه وسلم السابق: "أتاه ملكان فأقعدها".

(1) المرجع السابق: 17/1.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: الجهاد والسير، باب: يقاتل الإمام ويُنقَى به، رقم الحديث: 2957، ص 729).

(3) نفسه: (كتاب: الجنائز، باب: الميت يسمع خفق النعال، رقم الحديث: 1338، ص 322).

ثانياً- العدول عن المضارع إلى الماضي:

ويكون هذا النوع من العدول للتعبير عن الصيغ المؤكّد حصولها مستقبلاً ومن أمثلتها في صحيح البخاري ما يلي:

(1)- حدّثنا عبد الله بن يوسف، قال: أخبرنا مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها إنّ الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله! كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أحياناً يأتي مثل صلصلة الجرس، وهو أشدُّ عليّ فيفصم عني، وقد وعيتُ عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول.»⁽¹⁾، حيث قال الرسول صلى الله عليه وآله: "وقد وعيتُ عنه ما قال" بعد أن قال: "فيفصم"؛ فالجملة معطوفة، وهو عدول عن "وقد أعي ما يقول" وما يؤكّد أنّ العبارة فيها عدول العبارة اللاحقة والتي تضمّنت بدورها فعلاً مضارعاً "فيكلمني فأعي ما يقول"، فقال: «في الأول وقد وعيتُ بلفظ الماضي، وهنا فأعي بلفظ الاستقبال لأنّ الوعي حصل في الأول قبل الفصم، وفي الثاني حصل حال المكالمة، أو أنّه كان في الأول قد تلبس بالصفات الملكيّة فإذا عاد إلى حالته الجبليّة كان حافظاً لما قيل فعبر عنه بالماضي بخلاف الثاني فإنّه على حاله المعهود.»⁽²⁾؛ أي عندما عدل عن المضارع إلى الماضي فلأنّ الوعي حاصل قبل الفصم، والجملة المعطوفة جاءت متضمّنة فعلاً مضارعاً وهو حاصل وقت المكالمة.

(2)- حدّثنا مُسَدّد، قال: حدّثنا مُعْتَمِرٌ، قال: سمعتُ أنس بن مالك، قال ذكر لي أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لمعاذ بن جبل: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ.»⁽³⁾، حيث إنّ الرسول صلى الله عليه وآله قال: "مَنْ لَقِيَ" و"دَخَلَ" ولم يقل: "مَنْ يَلْقَى" و"يَدْخُلُ"؛ لأنّ لقاء الله تعالى ودخول الجنّة مازالاً لم يحصل بعد، وإنّما يحصلان يوم القيامة بعد محاسبة النّاس على أعمالهم، وما دام يوم القيامة أمراً واقعاً قطعياً لذلك جاء بصيغة الماضي بدلاً من صيغة المضارع وتحديداً المستقبل منه.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وآله، رقم الحديث: 2، ص7).

(2) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 22/1.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: العلم، باب: من خصّ بالعلم قومًا دون قوم، كراهية أن يفهموا، رقم الحديث: 129، ص45).

الفصل الأول — أنماط العدول الصرفي وصوره الواردة في صحيح البخاري

(3) - حدّثنا عمر بن حفص، حدّثنا أبي، حدّثنا الأعمشي، حدّثنا شقيق عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ.»⁽¹⁾، إذ قال صلى الله عليه وآله: "من مات" و"دخل النار" ولم يقل: "من يموت" و"يدخل النار".

(4) - حدّثنا إسحاق الواسطي، حدّثنا خالد، عن الشيباني، عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي سَفَرٍ وَهُوَ صَائِمٌ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ لِبَعْضِ الْقَوْمِ: «يَا فُلَانُ قُمْ فَاجْدُحْ لَنَا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أُمْسَيْتُ قَالَ: "إِنْزِلْ فَاجْدُحْ لَنَا..." ثُمَّ قَالَ: "إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ

هَاهُنَا، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمِ."»⁽²⁾، إذ قال: "فقد أفطر" ولم يقل: "فليفطر الصائم"، وفي هذا الكلام «قول» ابن جرّيم: "فقد أفطر لفظ خبر ومعناه الأمر أي فليفطر الصائم ولو كان المراد فقد صار مفطراً كان فطر جميع الصّوام واحداً، ولم يكن للتّرجيب في تعجيل الإفطار."⁽³⁾

(5) - حدّثنا أحمد بن يونس، حدّثنا أبو شهاب، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن أبي نر رضي الله عنه قال: كنتُ مع النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، -يعني أحداً- قال: «مَا أَحِبُّ أَنَّهُ تَحَوَّلَ لِي ذَهَبًا... يَمُكُّ عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، فَوْقَ ثَلَاثِ إِلَّا دِينَارًا أُرِصِدُهُ لِذَيْنٍ...» ثُمَّ قَالَ: «أَتَانِي جَبْرِيلُ عليه السلام، فَقَالَ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ.»⁽⁴⁾، فقد قال: "من مات" و"دخل الجنة" ولم يقل: "من يموت" و"يدخل الجنة".

(6) - حدّثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدّثنا الليث، عن سعيد المقيري عن أبيه، أنه سمع أبا سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إِذَا وُضِعَتِ الْجَنَازَةُ، وَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا، أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله، رقم الحديث: 1238، ص300).

(2) نفسه: (كتاب: الصّوم، باب: متى يفطر الصائم، رقم الحديث: 1955، ص470، 471).

(3) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 232/4.

(4) صحيح البخاري: (كتاب: الاستقراض وأداء الديون والحج والتفليس، باب: أداء الدين، رقم الحديث: 2388، ص574، 575).

الفصل الأول — أنماط العدول الصرفي وصوره الواردة في صحيح البخاري

يُسْمَعُ صَوْتُهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهُ صُعِقَ.»⁽¹⁾، إذ قال: "ولو سَمِعَهُ صُعِقَ" ولم يقل: "ولو يسمعه يُصَعَقُ".

(7) قال عثمان بن الهيثم: حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: وَكَلَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي، فَجَعَلَ يَحْنُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَصَّ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: «إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَأَقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرُبُكَ الشَّيْطَانُ حَتَّى تُصْبِحَ وَقَالَ النَّبِيُّ: صَدَقْتُكَ، وَهُوَ كَذُوبٌ، ذَاكَ شَيْطَانٌ.»⁽²⁾، فقد عدل إلى قوله: "إذا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ" بدلاً من قوله: "إذا تَأَوَّى إِلَى فِرَاشِكَ".

(8) -حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَنِيرٍ سَمِعَ أَبَا النَّضْرِ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ شُجَاعًا أَفْرَعَهُ لَهُ زَيْبَتَانِ يُطَوِّفُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَأْخُذُ بِلَهْزَمَتَيْهِ -يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ- يَقُولُ: أَنَا مَالِكٌ، أَنَا كَنْزُكَ»⁽³⁾، فقال: "أتاه الله مالاً" ولم يقل: "من لم يُؤْتِهِ اللهُ مَالاً"، إنَّ هَذَا الصَّنْفَ مِنَ الْعُدُولِ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ كَمَا شَاهَدْنَا ذَلِكَ، وَهَذَا هُوَ حَالُ الْقُرْآنِ أَيْضًا، وَمِنَ الْآيَاتِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَى هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْعُدُولِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (الفتح: 01)، يَقُولُ "الرَّمْخَشَرِيُّ" فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: «هُوَ فَتْحُ مَكَّةَ، وَقَدْ نَزَلَتْ مَرَجِعَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم عَنْ مَكَّةَ عَامَ الْحَدِيثِيَّةِ عِدَّةً لَهُ بِالْفَتْحِ، وَجِيءَ بِهِ عَلَى لَفْظِ الْمَاضِي عَلَى مَادَةِ رَبِّ الْعِزَّةِ وَسَبْحَانَهُ فِي أَخْبَارِهِ؛ لِأَنَّهَا فِي تَحَقُّقِهَا وَتَبَيُّنِهَا بِمَنْزِلَةِ الْكَائِنَةِ الْمَوْجُودَةِ، وَفِي ذَلِكَ مِنَ الْفَخَامَةِ وَالِدَّلَالَةِ عَلَى عُلُوِّ شَأْنِ الْمُخْبِرِ مَا لَا يَخْفَى»⁽⁴⁾.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الجنائز، باب: حمل الرجال الجنازة دون النساء، رقم الحديث: 1314، ص 317).

(2) نفسه: (كتاب: الوكالة، باب: إذا وُكِّلَ رَجُلًا، فَتَرَكَ الْوَكِيلَ شَيْئًا فَأَجَازَهُ الْمُوَكَّلُ فَهُوَ جَائِزٌ، وَإِنْ أَقْرَضَهُ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 2311، ص 555، 556).

(3) نفسه: (كتاب: تفسير القرآن -سورة آل عمران-، باب: ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم، بل هو شر لهم، رقم الحديث: 4565، ص 1120).

(4) الرَّمْخَشَرِيُّ، تَفْسِيرِ الْكَشَّافِ عَنْ حَقَائِقِ غَوَامِضِ التَّنْزِيلِ وَعَيُونَ الْأَقْوِيلِ فِي وَجْهِ التَّأْوِيلِ، دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ، بَيْرُوتَ، لُبْنَانَ، (دط)، (دت)، 6/2.

وطالما أنّ غالبية الأحاديث السابقة فيها إخبار عما سيأتي يوم القيامة، ففي هذا الشأن يقول "القزويني" (ت: 739هـ): «ومنه التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، نبيهاً على تحقق وقوعه وأنّ ما هو للوقوع كالواقع، كقوله: ﴿وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَاطَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (النحل: 87) ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ۗ وَكُلُّ أَتَّوهُ دَاخِرِينَ﴾ (النمل: 87)، وقوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (الأعراف: 50)... وجعل المتوقَّع الذي لا بدّ من وقوعه بمنزلة الواقع»⁽¹⁾، كما أنّ «استعمال الماضي بدلاً من المضارع إنّما يكون -كما يقول علماء البلاغة- لنكتة بلاغية، هي: تنزيل حوادث المستقبل منزلة حوادث الماضي للإشارة إلى أنّ حدوثها واقع لا محالة مثلها في تحقيق وقوعها في المستقبل مثل حوادث الماضي التي وقعت وأصبحت حقائق واقعية.»⁽²⁾، فأغلب الأحاديث التي تضمّنت عدولاً عن المضارع إلى الماضي تدلّ على وقوع هذه الأفعال مستقبلاً، لذلك جاءت بصيغ الماضي.

(1) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط2، 2004م، 85/1.

(2) عبد القادر حامد، معاني الماضي في القرآن الكريم، مجلة مجمع اللغة العربية، مطبعة التحرير، القاهرة، 1958م، 71/10.

ثالثاً: العدول بين المضارع والأمر.

المضارع والأمر بينهما علاقة كونهما يدلان على المستقبل، وقد أكد الكوفيون على أن فعل الأمر أصله مضارع، ورأوا أنه «مُعْرَبٌ مجزوم بلام محذوفة وهي لام الأمر، فإن قلت: "اذهب" فأصله "لتذهب"، وإنما حذفت اللام تخفيفاً، وما حُذِفَ تخفيفاً فهو في حكم الملفوظ.»⁽¹⁾، فهو «على طريقة المضارع للفاعل المخاطب لا يُخالف بصيغته صيغته إلا أن تنزع الزائدة فنقول: في "تضع": "ضع" وفي "تضارب" "ضارب" وفي "تُدْرَجُ" "دَحْرَجُ" ونحوها ممّا أوّله متحرك فإن سُكِّنَ زيدت-لئلا تبتدئ بساكن-همزة وصل فنقول في: "تَضْرِبُ" "اضْرِبْ" وفي: "تَنْطَلِقُ" "انْطَلِقْ..."»⁽²⁾، ومن أمثلة هذا الصنف من العدول في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة:195)، حيث قال الله ﷻ: "أنفقوا" و"أحسنوا" ولم يقل: "لتنفقوا" و"لتحسنوا"، ويدلّ عليهما الفعل المضارع الذي جاء بينهما "ولا تلقوا"، فالأفعال المعطوفة تكون متفقة زمانياً، ومن الأمثلة القليلة لهذا النوع من العدول في صحيح البخاري ماورد في الحديث الآتي:

-حدّثنا حفص بن عمر، قال: حدّثنا يزيد بن إبراهيم، قال: حدّثنا قتادة عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «اعْتَدِلُوا فِي السُّجُودِ وَلَا يَبْسُطُ زِرَاعِيهِ كَالْكَلْبِ، وَإِذَا بَرَقَ فَلَا يَبْزُقَنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ، فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ.»⁽³⁾، فقد قال ﷺ: "اعتدلوا" وأصله "لتعتدلوا"، وقد حُذِفَتِ اللام للتخفيف، وقد اعتبرناه عدولاً عن المضارع؛ لأنه معطوف عن الفعل "لا يبسط" وهو فعل مضارع، والعطف يكون بين الأفعال المتماثلة في الزمن-كما سبقت الإشارة إليه-، أو حتى الأسماء وإن لم يكن هذا موضوعنا، وللاشارة فقط فإنّ هذا الحديث يتضمّن أنواعاً أخرى من العدول وهي التي سيأتي الحديث عنها لاحقاً، ولكن مادام العدول بين المضارع والأمر لا يحتوي أمثلة أخرى أدرجنا هذا الحديث.

(1) ابن يعيش، مرجع سابق، 10/7.

(2) نفسه: الصّفحة نفسها.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: مواقيت الصلاة، باب: المصلّي يناجي ربه ﷻ، رقم الحديث: 532 ، ص 139).

المبحث الثاني

العدول الاسمي

أولاً: العدول في الجنس

ثانياً: العدول في العدد

ثالثاً: العدول بين المعرفة والنكرة

رابعاً: العدول بين الضمائر

خامساً: العدول في المصادر والمشتقات

أولاً- العدول في الجنس:

إنَّ الجنس يتضمَّن المذكَرَ والمؤنَّثَ، فالمذكَر هو «ما خلا من العلامات الثلاث التَّاء والألف والياء، في نحو: غرفة وأرض، وحُبْلَى وحمراء وهذي...ولمَّا كان المذكَر أصلاً، والمؤنَّث فرعاً عليه؛ لم يحتج المذكَر إلى علامة؛ لأنَّه يُفهم عند الإِطلاق، إذ كان الأصل، ولمَّا كان التَّأنيث ثانياً، لم يكن بُدُّ من علامة تدلُّ عليه، والدليل على أنَّ المذكَر أصل أمران: أحدهما مجيئهم باسم مذكر يُعْمُ المذكَرَ والمؤنَّثَ، وهو شيء. الثاني أنَّ المؤنَّث يفتقر إلى علامة. ولو كان أصلاً، لم يفتقر إلى علامة كالنكرة لما كانت أصلاً، لم تفتقر إلى علامة. والمعرفة لما كانت فرعاً افتقرت إلى العلامة.»(1).

ينقسم المذكَر باعتبار حقيقته إلى قسمين: «المذكَر الحقيقي: وهو الذي له أنثى من جنسه، أو هو الذي يدلُّ على ذَكَرٍ من النَّاسِ أو الحيوان، نحو: "محمد" و"رجل" و"حصان" و"جمل" والمذكَر المجازي: وهو الذي ليس له أنثى من جنسه، أو هو الذي يُعامل معاملة الذَكَر من النَّاسِ أو الحيوان، وليس منهما، نحو "ليل"، و"باب"، "علم."»(2)، أمَّا المؤنَّث فهو «ما دلَّت عليه علامة من علامات، سواء أظهرت على الكلمة نفسها نحو: فاطمة وليلى وصحراء، أم ظهرت في السِّياق، دون الكلمة نفسها نحو قامت هند، وهذه دَعْدُ، أو فيهما معاً، نحو أنتِ ليلي، أو في أحدهما دون الآخر، نحو هذا معاوية، فإنَّ هذا للمذكَر لأنَّه المشار إليه مذكر على الحقيقة وهو-أي: معاوية-مؤنَّث من النَّاحِيَةِ اللُّغويَّةِ الشَّكليَّةِ.»(3)، وقد ذكر "ابن حني" مجموعة الأسماء المؤنَّثة التي لا يجوز تذكيرها، وكذلك المذكَر الذي لا

(1) ابن يعيش، مرجع سابق، 352/3.

(2) إميل بديع يعقوب، المعجم المفصَّل في المذكَر والمؤنَّث، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ، 1994م، ص64.

(3) إسماعيل أحمد عمارة، ظاهرة التَّأنيث بين اللُّغة العربيَّة واللُّغات السَّاميَّة دراسة لغويَّة تأصيليَّة، مركز الكتاب العلمي، عمان، الأردن، ط1، 1407هـ، 1986م، ص16.

الفصل الأول — أنماط العدول الصرفي وصوره الواردة في صحيح البخاري

يجوز تأنيثه فمن الألفاظ المؤنثة «العين، الأذن، الكبد، الكرش، الفخذ، الساق...»⁽¹⁾، وفي المذكر الذي لا يجوز تأنيثه «الأشاجع، البطن، الضحى، الألف من العدد، النغم...»⁽²⁾.

وللمؤنث علامات ثلاث، هي: «الهاء التي تكون فرقاً بين المؤنث والمذكر، مثل فلان وفلانة، وقائم وقائمة، ومنها المدة الزائدة التي تراها في: "الضراء" و"الحمراء" و"الصفرَاء" وما أشبه ذلك، ومنها الياء التي تراها في: "حبلَى" و"سكرى" و"صغرى"»⁽³⁾.

وإذا اجتمع المؤنث والمذكر في عبارة واحدة فإنه «غلب المذكر على المؤنث، ونقول من ذلك: الرجل والمرأة قاما وقعدا وجلسا، ولا يجوز: قامتا وقعدتا؛ لأن المذكر يغلب على المؤنث»⁽⁴⁾، وهناك أسماء في اللغة تستثني علامات التأنيث مطلقاً، وهي «تلك الصيغ التي تُعبّر عن الأحوال الخاصة بالمؤنث، والنتيجة عن خصائص ذلك الجنس مثل حائض، وعافر وحامل، وعانس وناشز...»⁽⁵⁾، هناك بعض الأسماء التي تُذكر وتؤنث وإن اتفقت لفظاً واختلقت معنى أو اتفقت في اللفظ والمعنى ومنها "النوى" والتي بمعنى البعد وهو مؤنث كما في قول الشاعر:

فَمَا لِلنَّوَى لَا بَارِكَ اللَّهُ فِي النَّوَى وَهَمَّ لَنَا مِنْهَا كَهَمِ الْمُرَاهِنِ.

والنوى والذي هو موضوع الذي نوا الذهاب إليه وهو المؤنث، ومثاله قول الشاعر:

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرِ.

والنوى هو جمع نواة وهو مذكر كما في قول الشاعر:

(1) ابن جنّي، المذكر والمؤنث، تحقيق وتقديم: طارق نجم عبد الله، دار البيان العربي، جدة، السعودية، ط1، 1405هـ، 1985م، ص45.

(2) نفسه: ص50.

(3) الفراء، المذكر والمؤنث، تحقيق وتقديم وتعليق: رمضان عبد التّواب، مكتبة دار التّراث، القاهرة، مصر، ط1، (دت)، ص51.

(4) الأنباري، المذكر والمؤنث، تحقيق وتعليق: محمد عبد الخالق عزيمة، راجعه ووضع فهارسه: رمضان عبد التّواب، المجلس الأعلى للشؤون الاجتماعية، القاهرة، ط1، 1419هـ، 1999م، 2/278.

(5) ابن فارس، المذكر والمؤنث، تحقيق وتقديم وتعليق: رمضان عبد التّواب، القاهرة، ط1، 1969م، ص38.

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ فِي جَوْفٍ وَكُرْهَا نَوَى الْقَسْبِ يُلْقَى عِنْدَ بَعْضِ الْمَآرِبِ (1).

ومن الأسماء التي تدلّ على المذكّر والمؤنث في آنٍ واحد من القرآن الكريم لفظ الريح، ففي التّأنيث لقوله تعالى: ﴿وَلُسَيْمَانَ الرِّيحِ عَاصِفَةً﴾ (الأنبياء: 81)، والمثال على تذكرها قوله تعالى: ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ (يونس: 22).

1- العدول عن المذكّر إلى المؤنث:

ومن الشعر العربيّ القديم الذي يحتوي على هذا النوع من العدول:
قول "الأعشى" (2):

أَيَا جَارَتِي بَيْنِي فَإِنَّكَ طَائِقَهُ كَذَاكَ أُمُورُ النَّاسِ غَادٍ وَطَارِقَهُ.

وقد وقع العدول في كلمة "طارقة" فما دامت معطوفة عن "غادٍ"، وهي عائدة عن أمور الناس -وهي كلمة مذكّر- فالأولى أن يقول: "طارقاً" مثلما قال: "غادياً، ويُقال بأنه ليس كلاماً حسناً، وكذلك قول "رؤيشد بن كبير الطائي":

يَا أَيُّهَا الرَّكِيبُ الْمُزْجِي مَطِيئَتُهُ سَائِلِ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ.

حيث قال: "ما هذه الصّوت" ولم يقل: "ما هذا الصّوت".

ومن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ (المائدة: 32)، فقال: "جاءتهم" ولم يقل: "جاءهم" (3).

ومن النّماذج الموجودة في صحيح البخاري مايلي:

(1)- حدّثنا إسحاق بن نصر، قال: حدّثنا عبد الرزاق، عن محمد، عن همّام ابن منبه، عن أبي هريرة عن النّبِيِّ، قال: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاءَةً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ

(1) ينظر: ابن الأنباري، أسرار العربيّة، تحقيق: محمد حسين شمس الدّين، المجمع العلميّ العربيّ، 1438هـ، 2016م، ص591، 592.

(2) الأعشى، ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة التّموذجية، (دط)، (دت)، ص263.

(3) ينظر: ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: حسن هندراوي، ط1، 1993م، ص11.

وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا، إِلَّا أَنَّهُ آذَرَ فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَقَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ، فَخَرَجَ مُوسَى فِي إِثْرِهِ يَقُولُ: ثَوْبِي يَا حَجْرُ، حَتَّى نَظَرْتُ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى مُوسَى، فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ، وَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا. «(1)»، إذ قال: "كانت" ولم يقل: "كان"، وما يُؤكِّد بأنه عدول قوله ﷺ: يغتسلون، وفي ذلك يقول "ابن حجر العسقلاني": «كانت بنو إسرائيل أي جماعتهم وهو كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا...﴾ (الحجرات: 14)» (2)، إذن فالعدول عن "كان" إلى "كانت" تقديرًا لاسم كان محذوفًا تقديره "كانت طائفة من بني إسرائيل".

(2) - حدَّثنا يحيى بن جعفر حدَّثنا محمد بن عبد الله الأنصاري حدَّثني بن جريح قال: أخبرني عطاء عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِذَا اسْتَجَحَّ اللَّيْلُ - أَوْ كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ - فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ...» (3)، فالرسول ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ» ولم يقل: «إِنَّ الشَّيَاطِينَ يَنْتَشِرُونَ»؛ أي عدل عن صيغة المذكر إلى صيغة المؤنث.

(3) - حدَّثنا عمر بن حفص بن غياث قال: حدَّثنا أبي حدَّثنا الأعمش قال: حدَّثني سالم عن كُرَيْبٍ عن ابن عباس قال: حدَّثنا ميمونة قالت: «صَبَبْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ غُسْلًا فَأَفْرَغَ بِيَمِينِهِ عَلَى يَسَارِهِ فَعَسَلَهُمَا، ثُمَّ عَسَلَ فَرْجَهُ، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ الْأَرْضَ فَمَسَحَهَا بِالتُّرَابِ، ثُمَّ عَسَلَهَا، ثُمَّ تَمَضَّمْ وَاسْتَنْشَقَ، ثُمَّ عَسَلَ وَجْهَهُ وَأَفَاضَ عَلَى رَأْسِهِ، ثُمَّ تَحَّى فَعَسَلَ قَدَمَيْهِ، ثُمَّ أَتَى بِمِئْدِيلٍ فَلَمْ يَنْفُضْ بِهَا.» (4)، قالت: «فلم ينفض بها» فقد أُنتِ الضمير في "بها" العائد على المنديل، والمؤول بـ"الخرقة".

(4) - حدَّثنا علي بن عبد الله حدَّثنا سفيان قال: حفظناه من الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أَسْرِعُوا بِالْجَنَازَةِ، فَإِنَّ تَكَّ صَالِحَةً فَخَيْرًا تَقْدِمُونَهَا إِلَيْهِ، وَإِنْ

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الغسل، باب: من اغتسل عرياناً وحده في الخلوة، رقم الحديث: 278، ص 68).

(2) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 1/ 386.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، رقم الحديث: 3106، ص 808).

(4) نفسه: (كتاب: الغسل، باب: المضمضة والاستنشاق في الجنابة، رقم الحديث: 259، ص 74).

يَكُ سِوَى ذَلِكَ فَشَرُّ تَضَعُوهُ عَنْ رِقَابِكُمْ.»⁽¹⁾، يرى ابن مالك في شواهد التوضيح أن قوله: (تقدمونها) أُنتِ الضمير العائد على الخير، وهو مذكّر على إرادة تأويل (الخير) الذي تُقدّم إليه النفس الصالحة بالراحة⁽²⁾.

2- العدول عن المؤنث إلى المذكر:

ومن الأمثلة عن هذا النوع في الشعر العربي قول "جرير" في هجاء "الأخطل"⁽³⁾:

وَلَدَ الْأَخْيَطِلَ نِسْوَةً مِنْ تَغْلِبٍ هُنَّ الْخَبَائِثُ بِالْخَبِيثِ غَدِينَا.

إذ قال: "ولد الأخيطل نسوة" ولم يقل: "ولدت الأخيطل نسوة".

وقول "معاوية بن مالك"⁽⁴⁾:

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا.

حيث قال: "نزل السماء"، ولم يقل: "نزلت السماء" وذلك بإحلال السماء محل المطر.

ومن الآيات التي تضمنت هذا الصنف من العدول قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ...﴾ (النحل: 69)، حيث قال: "مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ" ولم يقل: "مُخْتَلِفَةٌ أَلْوَانُهُ".

ومن الأحاديث النبوية الموجودة في صحيح البخاري التي تتضمن هذا النوع من العدول

مايلي:

1- حدّثنا عبد الله بن سلمة عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ

رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ، وَإِذَا انْتَرَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ، لِتَكُنَّ الْيُمْنَى

أَوْلَهُمَا تَنْعَلُ، وَآخِرُهُمَا تُنْزَعُ.»⁽⁵⁾، إن العدول إلى المذكر في لفظتي (أولهما) و(آخرهما)،

وذلك لجذب المتلقي إلى قيمة (التيامن والتهيمن)، وهي مصادر مذكّرة وليكن ذلك في جميع

(1) نفسه: (كتاب: الجنائز، باب: السرعة بالجنائز، رقم الحديث: 1325، ص317).

(2) ينظر: جمال الدين بن مالك الأندلسي، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، تحقيق: طه محسن، مكتبة ابن تيمية، السعودية، ط1، 1413هـ، ص84.

(3) جرير، ديوان جرير بن عطية، دار بيروت للطباعة والنشر، (دط)، 1406هـ، 1986م، ص638.

(4) ابن قتيبة، أدب الكاتب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، ط4، 1963م، ص77.

(5) صحيح البخاري: (كتاب: اللباس، باب: ينزع نعله اليسرى، رقم الحديث: 5855، ص835).

الفصل الأول _____ أنماط العدول الصرفي وصوره الواردة في صحيح البخاري

أمور المسلم، كالملبس والمأكل والمشرب مخالفة للشيطان الذي يجذب التّياسر، وفي الوقت نفسه نجد نزع النّعال أو اللّباس أو دخول الخلاء يكون بالتّياسر.

(2) - يُذَكَّرُ عن ابن عمر عن النّبِيِّ ﷺ: «جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رَمِيٍّ، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصِّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي.»⁽¹⁾، حيث قال: "وَجُعِلَ الذِّلَّةُ " ولم يقل: "وَجُعِلَتِ الذِّلَّةُ".

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الجهاد والسيّر، باب: ما قيل في الرّماح، رقم الحديث: 2914، ص719).

ثانيًا - العدول في العدد:

تنقسم الأسماء في اللغة العربيّة من حيث العدد إلى ثلاثة أقسام: -مفرد-مثنى -جمع، فالمفرد «هو ما دلّ على واحد، فليس مثنى ولا جمعًا، مثل قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ...﴾ (الفتح: 29)»⁽¹⁾.

أمّا المثنى، فهو: «الاسم الدالّ على اثنين بزيادة في آخره، صالحًا للتّجريد، وعطف مثله عليه، نحو: زيدان وعمران، فإنّه يصحّ فيهما التّجريد و العطف، نحو: زيد وزيد، عمر وعمر، فإن دلّ الاسم على التثنية، بغير الزيادة نحو: شفع وزكا، فهو اسم للتثنية، وكذا إذا كان بالزيادة، ولم يصلح للتّجريد والعطف نحو: اثنان، فإنّه لا يصلح مكانه اثنان واثن، وإذا قد عرفت هذا فنقول: إعراب المثنى يكون بزيادة ألف في الرفع، وياء مفتوح ما قبلها في الجر والنصب، يليهما نون مكسورة، تسقط للإضافة»⁽²⁾، أمّا الجمع فهو «صيغة من الواحد للدلالة على العدد الزائد على الاثنين»⁽³⁾، وقد عبّ على ذلك "ابن الأنباري" (ت: 577هـ) موضحًا «والأصل فيه العطف كالتثنية، إلا أنّهم لما عدلوا عن التكرار في التثنية طلبًا للاختصار كان ذلك في الجمع أولى»⁽⁴⁾.

ومن هذه الأقسام تتشكل لنا أنواع العدول الآتية:

- العدول عن المفرد إلى المثنى.
- العدول عن المفرد إلى الجمع.
- العدول عن المثنى إلى المفرد.

(1) محمد حسن عبد الغفار، شرح المقدمة الأجروميّة في النحو <http://www.islamweb.net> ، تمت زيارة الموقع يوم 2020/02/13م.

(2) ابن النّاطم، شرح ابن النّاطم على ألفية ابن مالك، المحقق: محمد باسل عيون السّود، دار الكتاب العلميّة، ط1، 1420هـ، 2000م، 32/21.

(3) الرّمانيّ، الحدود في النحو، تحقيق: مصطفى جواد ويوسف مسكوني، طبعة حجرية حديثة، ط1، 1436هـ، 2015م، ص27.

(4) ابن الأنباري، مرجع سابق، ص46.

- العدول عن المثنى إلى الجمع.
- العدول عن الجمع إلى المفرد.
- العدول عن الجمع إلى المثنى.

1- العدول عن المفرد إلى المثنى:

لقد جرت سنة العرب على أن «تَنْسِبَ الفعل إلى اثنين وهو لأحدهما، نحو مرج البحرين، إلى قوله: "يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان" وإنما يخرجان من الملح لا "العذب".»⁽¹⁾، ومن سننهم أيضاً: «أن تأمر لواحد بلفظ أمر الاثنين؛ نحو افعل ذلك ويكون المخاطب واحداً.»⁽²⁾، ومن الأمثلة لهذا النوع من العدول في الشعر العربي القديم:

قول "الأعشى"⁽³⁾:

وَصَلِّ عَلَى حِينِ الْعَشِيَّاتِ وَالضُّحَى وَلَا تَحْمَدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاحْمِداً.

وقول "امرئ القيس"⁽⁴⁾:

خَلِيلِي مَرًّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبٍ لِنَقْضِي لُبَانَاتِ الْفُؤَادِ الْمُعَدَّبِ.

وقال كذلك في معلقته⁽⁵⁾:

فَقَا نَبْكَ مِنْ نِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسَقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ.

إن لفظتي "خليلي" و"صاحبي" تستعملان كثيراً عند الشعراء للتعبير عن المفرد رغم أنهما بصيغة المثنى، «كقول العرب: افعل ذلك، ويكون المخاطب واحداً، وكان الفراء يرى في أصل ذلك أن الرّفقة عند العرب أدنى ما تكون ثلاثة نفر، فيجري كلام الواحد على صاحبيه، ولذلك كان شعراؤهم أكثر الناس قولاً: يا صاحبي، ويا خليلي.»⁽⁶⁾.

(1) السيوطي، مرجع سابق، 334/1.

(2) نفسه: 335/1.

(3) الأعشى، مرجع سابق، ص 137.

(4) امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، 1984م، ص 41.

(5) المرجع نفسه: ص 8.

(6) مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، (دط)، (دت)، 150/1.

الفصل الأول — أنماط العدول الصرفي وصوره الواردة في صحيح البخاري

ومن الأمثلة عن العدول من المفرد إلى المثنى -والتي هي قليلة في صحيح البخاري- مايلي:

1- حدّثنا قتيبة قال: حدّثنا إسماعيل بن جعفر عن حميد عن أنسٍ أنّ النَّبِيَّ ﷺ رأى نُخَامَةً في القِبلة فشَقَّ ذلك عليه حتّى رُئِيَ في وجهه، فقام فحكّه بيده فقال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ- أَوْ إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ- فَلَا يَبْزُقَنَّ قِبَلَ الْقِبْلَةِ، وَلَكِنْ عَنِ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَهُ قَدَمَيْهِ». ثمَّ أَخَذَ طَرْفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ: "أَوْ يَفْعَلُ هَكَذَا".⁽¹⁾، وفي هذا الحديث عدول عن كلمة "قدمه" إلى كلمة "قدميه"، وهذا ما يتضح من خلال عديد الأحاديث النبوية التي تُؤكِّد على إفراد الكلمة لا تثنيها، ومن هذه الأحاديث:

أ- حدّثنا موسى بن اسماعيل قال: أخبرنا إبراهيم بن سعيد أخبرنا ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن أنّ أبا هريرة وأبا سعيد حدثاه أنّ رسول الله ﷺ رأى نخامة في جدار المسجد فتناول حصاة فحكّها فقال: «إِذَا تَنَحَّمْ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَحَّمَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ وَلَا عَنِ يَمِينِهِ، وَلْيَبْصُقْ عَنِ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَهُ قَدَمَيْهِ الْيُسْرَى». ⁽²⁾.

ب- حدّثنا حفص بن عمر قال: أخبرني قتادة قال: سمعتُ أنسًا قال: قال النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَنْفِلَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا عَنِ يَمِينِهِ، وَلَكِنْ عَنِ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتِ رِجْلَيْهِ». ⁽³⁾.

ج- حدّثنا آدم قال: حدّثنا شعبة قال: حدّثنا قتادة قال: سمعتُ أنس بن مالك قال: قال النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلَا يَبْزُقَنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا عَنِ يَمِينِهِ، وَلَكِنْ عَنِ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ». ⁽⁴⁾.

فهذه الأحاديث جميعها توضح أنّ بزقَ المسلم أثناء الصلاة يجب أن يكون على يساره أو تحت قدمه اليسرى لا تحت قدمه اليمنى أو أمامه.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الصلاة، باب: حكّ البزاق باليد من المسجد، رقم الحديث: 405، ص111).

(2) نفسه: (كتاب: الصلاة، باب: حكّ المخاط بالحصى في المسجد وقال ابن عباس: إذا وطئت على قدرٍ رطبٍ، فاغسله وإن كان يابسًا فلا، رقم الحديث: 408، ص112).

(3) نفسه: (كتاب: الصلاة، باب: لا يبصق عن يمينه في الصلاة، رقم الحديث: 412، ص112).

(4) نفسه: (كتاب: الصلاة، باب: ليبزق عن يساره، أو تحت قدمه اليسرى، رقم الحديث: 413، ص112).

2- العدول عن المفرد إلى الجمع:

من سنن العرب أن تنسب «إلى الجماعة وهو لأحدهم؛ نحو: "وإذا قتلتم نفسًا فادركتم فيها" والقاتل واحد.»⁽¹⁾.

قال "عمر بن أبي ربيعة"⁽²⁾:

كَمْ قَدْ ذَكَرْتُكَ لَوْ أُجْزِيَ بِذِكْرِكُمْ يَا أَشْبَهَ النَّاسِ كُلِّ النَّاسِ بِالْقَمَرِ.

فقد قال: "بذركم" بعد أن قال: "قد ذكرتُك"، فهو عدول عن المفرد المؤنث إلى الجمع.

ومن الأحاديث الموجودة في صحيح البخاري، والتي تتضمن هذا الصنف من أصناف العدول الآتي:

(1)- حدّثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب عن الزهري، قال: أخبرني سعيد بن المسيّب وعطاء بن يزيد الليثي، أنّ أبا هريرة رضي الله عنه أخبرهما: أنّ الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة، قال: «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك، يحشر الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبّع، فمنهم من يتبّع الشمس، ومنهم من يتبّع القمر، ومنهم من يتبّع الطواغيت.»⁽³⁾، حيث قال: "طواغيت" ولم يقل: "طاغوت" مثلما هو الحال عليه في كلمتي "الشمس" و"القمر" المعطوفة عليهما كلمة الطواغيت إلا أنّ العدول في فيها يعود في الأساس إلى كون الطواغيت متعددة، أمّا الشمس والقمر فهما وحيدتان في هذا الكون ونستحضر هنا تفسير "مصطفى متولي الشعراوي" لكلمتي "الظلمات" و"النور" في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ (البقرة: 257)، فالسجدة قال: "ظلمات" و"النور" ولم يقل: "ظلمات" و"أنوار" أو ظلمة" و"نور"، فيقول "الشعراوي": «إنك لم تَعِ الحقيقة جيداً... ففي الدنيا ظلمات كثيرة...»

(1) السيوطي، مرجع سابق، 334/1.

(2) عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، المحقق: فايز محمد، دار الكتاب العربي، ط2، 1416هـ، 1996م، ص179.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: صفة الصلاة، باب: فضل السجود، رقم الحديث: 806، ص171).

الفصل الأول — أنماط العدول الصرفي وصوره الواردة في صحيح البخاري

ولكن ليس هناك أنوار... هناك نور واحد هو نور الله سبحانه وتعالى نور الحق... ولذلك لا يستخدم الله ﷻ إلا كلمة نور... لأنّ النور هو نور الحق... ولا نور غيره... لكن نفس هوى... والهوى ظلمة... ظلمة هذا غير ظلمة ذلك... ومن هنا فإنّ الله سبحانه وتعالى يخرجنا من ظلمات كثيرة إلى نور واحد... وهو نور... هو طريقه... هو الحق...»⁽¹⁾.

(2) - حدّثنا عبد الله بن يوسف، قال: حدثنا مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ...»⁽²⁾، إذ قال: "يتعاقبون فيكم ملائكة" ولم يقل: "يتعاقب فيكم ملائكة"، وفي هذا الصدد يقول "القرطبي": «الواو في قوله: "يتعاقبون" علامة الفاعل المذكر المجموع على لغة "بلحارث" وهم القائلون: "أكلوني البراغيث"، ومنه قول الشاعر: "بحوران يعصرن السليل أقرابه"، وهي لغة فاشية وعليها حمل "الأخفش" (ت: 211هـ) قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ (الأنبياء: 03)، واحتج لذلك بما رواه "البخاري" من وجه آخر عن "أبي هريرة" بلفظ إنّ لله ملائكة يتعاقبون فيكم: "ملائكة بالليل وملائكة بالنهار"»⁽³⁾.

(3) - حدّثنا إسماعيل بن أبي أويس قال: حدّثني مالك، عن عبد الله بن دينار مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عَمَلًا، فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلْتُ الْيَهُودُ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ عَمِلْتُ النَّصَارَى عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ أَنْتُمْ الَّذِينَ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، فَعَضِبْتُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقْلَى عَطَاءً! قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا، فَقَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مِنْ أَشَاءُ...»⁽⁴⁾، في هذا الحديث ورد عدول في كلمة

(1) مصطفى متولي شعراوي، معجزة القرآن الكريم، دار العودة، بيروت، لبنان، (دط)، 1985م، ص 58، 59.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر، رقم الحديث: 555، ص 143).

(3) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 2/42.

(4) صحيح البخاري: (كتاب: الإجارة، باب: الإجارة إلى صلاة العصر، رقم الحديث: 2269، ص 541).

"مغرب"، فلم يقل: "مغرب" وذلك لأنّ مغرب الشّمس يختلف من بلد لآخر ومن منطقة لأخرى، ففي بلد ما يكون عندهم الغروب، وفي بلد آخر يكون لديهم الشّروق، في غيرهما يكون اللّيل وهكذا... وكلمة مشارق مذكورة في القرآن الكريم، وهذا ما يدلّ مرة أخرى على جواز نطقها بصيغة الجمع، فيقول الله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ (المعارج: 40).

3- العدول عن المثني إلى المفرد:

مما تعارفت عليه العرب قولهم: «رأيت عمراً وزيداً، وسلّمتُ عليه، أي عليهما، قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (التّوبة: 34)، وتقدير: ولا تتفقونهما.»⁽¹⁾، ومن سننهم أيضاً أن ينسبوا «إلى أحد اثنين وهو لهما، نحو ﴿...وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ...﴾ (التّوبة: 62).»⁽²⁾، حيث قال الله تعالى: "أحقّ أن يرضوه" ولم يقل: "أحقّ أن يرضوهما"، لأنّ الآية تحتوي على مثني وهما الله ورسوله، ولكن قد يكون المقصود: "يرضوه"، فالعرب خالطت الواحد بلفظ اثنين. ﷺ في رضا الرّسول ﷺ فرضا الله، ﷺ على الله.

ومن الأمثلة القليلة عن هذا العدول في صحيح البخاري ما يلي:

- حدّثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا عيسى بن يونس عن ثور، عن ابن معدان، عن المقدم ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَأَنْ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ.»⁽³⁾، فقال: "من عمل يده" ولم يقل: "من عمل يديه"؛ لأنّ الإنسان لديه يدان.

(1) الثّعالبي، فقه اللّغة وأسرار العربيّة، ضبطه وعلّق عليه وقدمه ووضع فهرسه: ياسين الأيوبي، المكتبة العصريّة، صيدا، لبنان، ط2، 1420هـ، 2000م، ص361.

(2) السيوطي، مرجع سابق، ص334.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: البيوع، باب: كسب الرّجل وعمله بيده، رقم الحديث: 2072، ص499).

4- العدول عن المثنى إلى الجمع:

يجوز أن تتكلم عن المثنى بصيغة الجمع «وهو أن يكون الشَّيْئَانِ كل واحد منهما بعض شيء مفرد من صاحبه، وذلك قولك: ما أحسن رؤوسهما وأحسن عواليهما. وقال عز وجل: ﴿إِنْ تَوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا...﴾ (التَّحْرِيم:4)، ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا...﴾ (المائدة:38)». (1)

وقد كان العرب يطلقون على المثنى صيغة الجمع، كما في قولهم: «امرأة ذات أورك ومآكم، وهما وركان.» (2).

ومن أمثلة هذا النوع في صحيح البخاري ما يأتي:

1- حدَّثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب، عن الزَّهْرِيِّ، قال: أخبرني سعيد بن المسيب، أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يقول: «يَتْرُكُونَ الْمَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ لَا يَغْشَاهَا إِلَّا الْعَوَانُ- يُرِيدُ عَوَافِي السَّبَاعِ وَالطَّيْرِ-وَآخِرُ مَنْ يُحْشِرُ؛ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ يُرِيدَانِ الْمَدِينَةَ، يَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا فَيَجِدَانِهَا وَحَشًّا، حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ خَرَّا عَلَى وُجُوهِهِمَا.» (3)، إذ قال: "وجوههما" ولم يقل: "وجهيهما".

2- حدَّثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزَّهْرِيِّ، قال: أخبرنا علي بن الحسين رضي الله عنهما أن صفية زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة، ثم قامت تنقلب، فقام النبي صلى الله عليه وسلم معها يقلبها، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مر رجلان من الأنصار، فسَلَّمَا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: «عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّمَا هِيَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيْيٍّ» فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَكَبَّرَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَبْلَغَ

(1) سيوييه، مرجع سابق، 622/3.

(2) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، (دط)، (دت)، 247/6.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: فضائل المدينة، باب: من رغب عن المدينة، رقم الحديث: 1874، ص451).

الدَّم، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا.»⁽¹⁾، فعدل عن قول: "قلبيكما" إلى قوله: "قلوبكما".

(3) - حدّثنا أبو الوليد، حدّثنا شعبة، قال: قال عبد الملك بن مسبرة أخبرني، قال: سَمِعْتُ النَّزَالَ بْنَ سَبْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ خَلْفَهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ ﷺ، فَقَالَ: «مَلَائِكُمَا مُحْسِنٌ. قَالَ شُعْبَةُ: أَظُنُّهُ قَالَ: "لَا تَخْتَلَفُوا فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ إِخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا."»⁽²⁾، إذ قال: "لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم ولم يقل: "لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم..."، وسبب عدول رسول الله ﷺ عن المُخَاطَبِينَ إِلَى المُخَاطَبِينَ لِأَنَّ الْحَدِيثَ عِبَارَةٌ عَنِ نَصِيحَةٍ وَمَوْعِظَةٍ لِجَمِيعِ الصَّحَابَةِ ﷺ وَمِنْ ثَمَّةَ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ.

(4) - حدّثنا إسحاق بن نصر، أخبرنا عبد الرزاق، عن محمد، عن همام، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: «إِشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي إِشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي إِشْتَرَى الْعَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا إِشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ، وَلَمْ أَبْتَغِ مِنْكَ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الْأَرْضُ: إِنَّمَا بَعْتُكَ الْأَرْضَ، وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ، وَقَالَ الْآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ، قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ، وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ، وَتَصَدَّقَا.»⁽³⁾، حيث قال: "أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسهما" ولم يقل: "أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على نفسيهما"، ويقول "ابن حجر العسقلاني": «هكذا وقع بصيغة الجمع وكان الإنكاح والنفاق وبصيغة التثنية في النفسين وفي التصديق، وكأن السر في ذلك أن الزوجين كانا محجورين وإنكاحهما لأبد فيه مع وليهما من غيرهما كالشاهدين، وكذلك الإنفاق قد يحتاج فيه إلى المعين كالوكيل وأما تثنية النفسين فالإشارة إلى اختصاص الزوجين بذلك.»⁽⁴⁾.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الاعتكاف، باب: هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد، رقم الحديث: 2035، ص 489).

(2) نفسه: (كتاب: الخصومات، باب: ما يُذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود، رقم الحديث: 2410، ص 581).

(3) نفسه: (كتاب: أحايث الأنبياء، باب: حديث الغار، رقم الحديث: 3472، ص 860، 861).

(4) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 6/600.

(5) - حدّثنا محمد بن بشار، حدّثنا عُندر، حدّثنا شعبة عن الحكم، سمعتُ ابن أبي ليلي قال: حدّثنا علي: أنّ فاطمة عليها السلام شكّت مما تلقى من أثر الرّحا، فأتى النبي ﷺ سبّي، فانطلقت، فلم تجده، فوجدت عائشة، فأخبرتها، فلما جاء النبي ﷺ أخبرته بمجيء فاطمة، فجاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبتُ لأقوم فقال: "على مكانكما" ففعد بيّننا حتّى وجدتُ برّد قدميه على صدري، وقال: «ألا أعلمكما خيراً ممّا سألتُماني إذا أخذتما مضاجعكما تُكبّرا أربعاً وثلاثين، وتُسبّحاً ثلاثاً وثلاثين وتحمداً ثلاثاً وثلاثين فهو خيراً لكم من خادمٍ». (1)، فقال: "مضاجعكما" ولم يقل: "مضجعيكما".

(6) - حدّثنا محمد بن العلاء، حدّثنا أبو أسامة، عن برّيد بن عبد الله عن أبي بريدة، عن أبي موسى ﷺ قال: كنتُ عند النبي ﷺ: وهو نازل بالجعرانة بين مكّة والمدينة ومعه بلال، فأتى النبي ﷺ أعرابي، فقال: «ألا تُنجز لي ما وعدتني؟ فقال: له أبشّر» فقال: قد أكثرت عليّ من أبشّر، فأقبل على أبي موسى وبلال كهنيّة الغضبان، فقال: ردّ البشري، فأقبل أنتما قال: قبلنا، ثمّ دعا بقذح فيه ماء، فغسل يديه ووجهه فيه ومجّ فيه، ثمّ قال: "اشربا منه، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا" فأخذا القدح ففعلوا. (2)، فقد قال: "وجوهكما" و"نحوركما" ولم يقل: "وجهيكما" و"نحريكما".

5- العدول عن الجمع إلى المفرد:

من سنن العرب «نكّر الواحد والمراد الجمع، كقولهم للجماعة، ضيف، وعد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضِيفِي فَلَا تَقْضُحُونَ﴾ (الحجر: 68)، وقال: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ (الحج: 05)، وكذلك صفة الجمع بصفة الواحد؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحريم: 04)، وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا...﴾ (المائدة: 06). (3)، حيث قال: "ضيفي"، "طفلاً"، "ظهيراً"، "جنباً" ولم يقل: "ضيفي"، "أطفالاً"، "ظهيراً"، "أجنباً".

(1) صحيح البخاري: (كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي، رقم الحديث: 3705، ص913).

(2) نفسه: (كتاب: المغازي، باب: غزوة الطائف، رقم الحديث: 4328، ص1058).

(3) السيوطي، مرجع سابق، 333/1.

ومن الأمثلة لهذا النوع من العدول في الشعر العربي قول "العباس بن مرداس" (1):

فَقُلْنَا أَسْلِمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ فَقَدْ بَرِئْتُ مِنَ الْإِحْنِ الصُّدُورِ.

ومن الأمثلة على هذا النوع من العدول في صحيح البخاري ما يأتي ذكره:

(1) - حدّثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب عن الزهريّ قال: أخبرني سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثيّ أنّ أبا هريرة رضي الله عنه أخبرهما: أنّ النّاس قالوا يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحب؟ قالوا: لا يا رسول الله: قال: «فهل تمارون في الشمس ليس دونه سحب؟ قالوا: لا. قال: فإنكم ترونه كذلك، يحشر النّاس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبّع... ويبقى رجل بين الجنّة والنّار وهو آخر أهل النّار دخولاً الجنّة، مقلّب بوجهه قبل النّار، فيقول: يارب، اصرف وجهي عن النّار، قد قشّبتني ريحها، وأحرقني ذكاؤها، فيقول: هل عسيت إن فعل ذلك بك إن تسأل غير ذلك؟ فيقول: لا وعزتك، فيعطي الله ما يشاء من عهد وميثاق، فيصرف الله وجهه عن النّار، فإذا أقبل به على الجنّة رأى بهجتها سكّت ما شاء الله أن يسكّت، ثم قال: يارب، قدمني عند باب الجنّة، فيقول الله له: أليس قد أعطيت العهود والميثاق، أن لا تسأل عند الذي كنت سألت؟...» (2)، حيث قال: "الميثاق" ولم يقل: "المواثيق" خاصة وأنها معطوفة على كلمة "العهود" وهي بدورها جمع.

(2) - حدّثنا مسلم، حدّثنا شعبة، حدّثنا عبد الرحمن بن الأصبهاني، عن ذكوان، عن أبي سعيد رضي الله عنه أنّ النّساء قلن للنبيّ صلى الله عليه وآله: اجعل لنا يوماً، فوعظهن، وقال: «أيّما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا حجاباً من النّار.» (3)، إذ قال: "الولد" ولم يقل: "الأولاد" إذ عبّر بقوله: "ولد" «ليتناول الواحد فصاعداً وإن كان حديث الباب قد قيّد بثلاثة أو اثنين، وكلنا وقع في بعض

(1) العباس بن مرداس، ديوان العباس بن مرداس السلمي، جمعه وحقّقه: يحي الجبوري، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، دار الجمهوريّة، بغداد، (دط)، 1388هـ، 1968م، ص52.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: صفة الصلاة، باب: فضل السجود، رقم الحديث: 806، ص197، 198).

(3) نفسه: (كتاب: الجنائز، باب: فضل من مات له ولد فاحتسب وقال الله عز وجل: «وَبَشِّرِ الصّابِرِينَ» (البقرة: 155)، رقم الحديث: 1249، ص303).

الفصل الأول — أنماط العدول الصرفي وصوره الواردة في صحيح البخاري

طرقه ذَكَرَ الواحد ففي حديث جابر بن سمرة مرفوعاً "من دفن ثلاثة فصبر واحتسب وجبت له الجنة"، فقالت أم أيمن: أو اثنين؟ فقال: أو اثنين. فقالت وواحد فسكت ثم قال وواحد. (1).

(3) - حدّثنا بشر بن محمد، أخبرنا عبد الله، أخبرنا معمر، عن همّام، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله نحوه يعني: «لَوْلَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمَ، وَلَوْلَا حَوَاءُ لَمْ تَخُنْ أَنْتَى زَوْجَهَا». (2)، فالنبي صلى الله عليه وآله قال: "لم يخنز" ولم يقل: "لم يخنزوا"، ومعلوم أن بني إسرائيل في سنوات تيههم (الأربعين سنة) في صحراء سيناء أنزل الله عليهم المنّ والسّلوى؛ مصداقاً لقوله صلى الله عليه وآله: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ...﴾ (البقرة: 57)، فالمنّ هو فاكهة، والسّلوى طائر يميل إلى الحمرة، وطُلب منهم ألا يدخروا، وإتّما يأكلوا قدر الحاجة، ولكنهم عصوا أمر رسولهم موسى صلى الله عليه وآله، ومن ورائه أمر الله تعالى، ففسد الطّعام المُدخّر، فلولا عصيانهم وتخزينهم لما فسد الطّعام، ولولا ما قامت به أمنا حواء -عندما طلبت من سيدنا آدم أن يأكلا من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عن أكلها- لما خانَت الزوجات أزواجهن.

(4) - حدّثني عمر بن حفص بن غياث، حدّثنا أبي، حدّثنا الأعمش، حدّثنا أبو صالح، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ...» (3)، حيث قال صلى الله عليه وآله: "كلهم قد رآه" ولم يقل: "كلهم قد رأوه".

6- العدول عن الجمع إلى المثنى:

ذكر "ابن فارس": «أنّ من سنن العرب أن تُذكَر جماعة وجماعة أو جماعة وواحدًا ثم تُخبر عنهما بلفظ الاثنين يقول "الأسود":

(1) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 142/3.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: الأنبياء، باب: خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم الحديث: 3330، ص 819).

(3) نفسه: (كتاب: تفسير القرآن -سورة كهيعص-، باب: قوله: «وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ» (مريم: 39)، رقم الحديث: 4730، ص 1178، 1179).

إِنَّ الْمَنِيَّةَ وَالْحُنُوفَ كِلَاهُمَا يُوفِي الْمَخَارِمَ يَرْقُبَانِ سَوَادِي.

ويقول آخر:

أَلَمْ يُخْزِنِكَ أَنَّ حِبَالَ فَيْسٍ وَتَغْلِبَ قَدْتَبَايِنَاتَا انْقِطَاعًا.

وقد جاء مثله في القرآن قول الله تبارك اسمه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا^ص وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء: 30)، فالسَّمَوَاتِ جمع والأرض مفرد، وتمَّ الإخبار عنهما بالمتنى. (1).

ومن صور هذا النوع في صحيح البخاري نمثل له بالحديث بالآتي:

- حدَّثنا مسدد قال: حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم أخبرنا أبو حيَّان التَّمِيمِي عن أبي زُرْعَةَ عن أبي هريرة قال: كان النَّبِيُّ ﷺ بارزًا يومًا للنَّاسِ، فأتاه رجلٌ فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمانُ أن تُؤْمِنَ باللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ. قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلامُ أن تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ، وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ. قال: ما الإحسان؟ قال: أن تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. قال: متى السَّاعَةُ؟ قال: ما الْمَسْئُورُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. وَسَأَخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الْأُمَةُ رَبَّتَهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاةُ الْإِبِلِ الْبُهْمِ فِي الْبُنْيَانِ، فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ. ثُمَّ تَلَى النَّبِيُّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ (لقمان: 34)، ثُمَّ أَدْبَرَ، فَقَالَ: رُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا. فَقَالَ: هَذَا جَبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الْإِيمَانِ. (2)،

إنَّ الرَّسُولَ ﷺ قد عدل عن الجمع إلى المتنى، وذلك في حديثه عن السَّاعَةِ وَأَشْرَاطِهَا، ولكن عند ذِكْرِ أَشْرَاطِهَا ذَكَرَ الْمَتْنِي بقوله: "إذا ولدت الأمة ربَّتها"، و"تطاول رعاة الإبل البهم"، فهما شرطان، «فاحتاج إلى أن يقول أخبر عن الجمع باثنين؛ لأنَّهما أقله كما عليه جمع.» (3).

ونلاحظ قلة هذا النمط.

(1) ابن فارس، مرجع سابق، ص 218، 219.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النَّبِيِّ ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم السَّاعَةِ، رقم الحديث: 50، ص 23).

(3) القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2002م، 63/1.

ثالثاً - العدول بين المعرفة والنكرة:

ينقسم الاسم في اللغة العربيّة إلى قسمين، وهما النكرة والمعرفة.

فالنكرة هي: «الاسم الذي لا يدلّ على معين ويُقابله الاسم المعرّف.»⁽¹⁾، فالاسم النكرة هو «الأصل لأنّه لا يحتاج إلى قرينة على خلاف المعرفة.»⁽²⁾، ومن علامات الاسم النكرة «أنّه يقبل دخول حرف الجر "رُبَّ" وكذلك دخول "ال" التّعريف عليه أو أن يدلّ على ما يقابل "ال".»⁽³⁾، إذن فيمكن للاسم النكرة أن يصبح معرفة إذا دخلت عليه "رُبَّ" أو "ال" التّعريف، وكذلك إذا كان «منادى مقصود وهو اسم نكرة قصد تعيينه بالنداء.»⁽⁴⁾، فالنكرة «أصل المعرفة لاندرج كل معرفة تحتها من غير عكس.»⁽⁵⁾، فهي «ما وُضِعَ لشيء لا بعينه كرجل وفرس.»⁽⁶⁾، أمّا المعرفة فهي «ما وُضِعَ ليدلّ على شيء بعينه وهي المضمّرات والإعلام، والمبهمات وما عرّف باللام والمضاف إلى أحدهما.»⁽⁷⁾، وأقسام المعرفة هي ملخصة في البيت الآتي:

وغيره معرفة كهُم وذي وهند وابني والغلام والذي⁽⁸⁾.

فأقسامها هي الضمائر وأسماء الإشارة والعلم والمضاف والمعرّف بالألف واللام واسم الموصول.

(1) مصطفى الغلاييني، جامع الدّورس العربيّة، المكتبة العصريّة، صيدا، لبنان، ط36، 1419هـ، 1999م، 147/1.

(2) محمد أسعد النّادري، نحو اللّغة العربيّة، صيدا، لبنان، ط2، 1418هـ، 1997م، ص130.

(3) محمد عيد، نحو المصنّف، مكتبة الشباب، القاهرة، ط1، 1975م، ص206.

(4) عبّاس حسن، النّحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط3، 1966م، 206/1.

(5) عبد الله بن أحمد الفاكهي، شرح كتاب الحدود في النّحو، تحقيق: المتولي رمضان الدّميري، مكتبة وهبة، ط2، 1993، ص64.

(6) الشّريف الجرجاني، مرجع سابق، ص198.

(7) نفسه: ص179.

(8) ابن مالك، ألفيّة ابن مالك، تحقيق: عبد الفتاح الصعيديّ، حسين يوسف موسى، دار الكتب المصريّة، ط3، 1431هـ، ص12.

1- العدول عن المعرفة إلى النكرة:

لقد ذكرنا آنفاً أنّ النكرة هي الأصل وعند العدول عن المعرفة إلى النكرة فقد أُعيد الفرع إلى أصله، ومن الأمثلة على ذلك في القرآن لكريم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكَتُظِرُّ نَفْسُ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر: 18)، فهناك عدول عن الكلمتين: "النفس" و"الغد" إلى الكلمتين: "نفس" و"غد"، فالأولى لتعميم اللفظ والثانية لتعظيمه.

ومن النماذج لهذا النوع من العدول في صحيح البخاري مايلي:

(1)- حدّثني قتيبة بن سعيد، قال: حدّثنا الليث بن سعد، قال: حدّثنا نافع مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر: أن رجلاً قام في المسجد فقال: يا رسول الله من أين تأمرنا أنا نُهلّ؟ فقال رسول الله ﷺ: «يَهْلُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ ذِي الْحَلِيفَةِ، وَيَهْلُ أَهْلُ الشَّامِ مِنَ الْجَحْفَةِ، وَيَهْلُ أَهْلُ نَجْدٍ مِنْ قَرْنٍ.»⁽¹⁾، حيث قال: "من قرن"؛ وهي كلمة نكرة معطوفة عن كلمتين معرفتين: "ذي الحليفة" و"الجحفة"، و"ذو الحليفة" تُسمى "أبيار علي" حالياً، وهو ميقات الإحرام لأهل "المدينة"، وهو أبعد المواقيت المكانية عن بيت الله الحرام، ويقع الميقات (ذو الحليفة) في وادٍ يُسمّى وادي العقيق، وأمّا "الجحفة" فهو مَوْضِعٌ بين "مكة" و"المدينة"، وهو ميقات الإحرام لأهل "الشّام"، وأمّا "قرن المنازل" فهو يُسمّى حالياً السيل الكبير، وموقعه شمال مدينة "الطائف" ويبعد عنها بـ55كلم، ويبعد عن "مكة المكرمة" بـ75كلم.

(2)- حدّثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، أنّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ بِلَالًا يُؤَدِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا، حَتَّى يُنَادِيَ ابْنُ أَبِي مَكْنُومٍ.»⁽²⁾، حيث قال: "بليلاً" ولم يقل: "بالليل".

(3)- حدّثنا حامد بن عمر، حدّثنا حمّاد بن زيد عن أيوب، عن محمد، عن أم عطية قالت: توفيت إحدى بنات النبي ﷺ، فخرج النبي ﷺ فقال: «اغسلنها ثلاثاً، أو خمساً أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك بماءٍ وسدرٍ، واجعلن في الآخرة كافوراً، أو شيئاً من كافور، فإذا فرغتن

(1) صحيح البخاري: (كتاب: العلم، باب: ذكر العلم والفُتيا في المسجد، رقم الحديث: 133، ص46).

(2) نفسه: (كتاب: الأذان، باب: أذان الأعمى إذا كان له من يُخبره، رقم الحديث: 617، ص157).

فَأَذِنِّي»⁽¹⁾، فقد قال: "من كافر" ولم يقل: "من الكافر"؛ خاصة وأن كلمة "كافر" ذكرت من قبل.

(4) - حدّثنا محمد بن المثنى، حدّثنا يحيى، حدّثنا شعبة، قال: حدّثني عون بن أبي جُحَيْفَةَ، عن أبيه، عن البراء بن عازب، عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله وقد وجبت الشمس، فسمعتُ صوتًا، فقال صلى الله عليه وآله: «يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا»⁽²⁾، إذ قال: "يهود" ولم يقل: "اليهود"، وفي هذا الحديث عدول آخر في كلمة "تُعَذَّبُ" إذ لم يقل: "يُعَذَّبُ"، وذلك بتقدير الكلام: "تُعَذَّبُ طائفة من اليهود"، وهو ما سبق ذكره، فهو عدول عن المذكر إلى المؤنث.

(5) - حدّثنا سعد بن حفص، حدّثنا شيبان، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، عن كريب، عن ابن عباس، قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «أَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَقُولُ حِينَ يَأْتِي أَهْلَهُ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبِي الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَارَزَقَتَنَا، ثُمَّ قَدَّرَ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ أَوْقُصِي وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا»⁽³⁾، لقد قال: "لم يضره شيطان أبداً" ولم يقل: "لم يضره الشيطان أبداً".

(6) - حدّثني عبد الله بن أبي الأسود، حدّثنا الفضل بن العلاء، حدّثنا إسماعيل بن أمية، عن يحيى ابن محمد بن عبد الله بن صيفي، أنه سمع أبا معبد مولى ابن العباس يقول: سمعتُ ابن عباس يقول: لما بعث النبي صلى الله عليه وآله معاذًا بن جبل إلى نحو أهل اليمن، قال له: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ عَلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلُّوا؛ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقْرَأُوا بِذَلِكَ؛ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»⁽⁴⁾، حيث قال: "زكاة" ولم يقل: "الزكاة"؛ لأنها معطوفة على خمس صلوات، وخمس صلوات جاءت مُعَرِّفةً بالإضافة، كما نجد في

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الجنائز، باب: يجعل الكافر في آخره، رقم الحديث: 1258، ص 305).

(2) نفسه: (كتاب: الدعوات، باب: التَّعَوُّذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، رقم الحديث: 1375، ص 332).

(3) نفسه: (كتاب: النكاح، باب: ما يقول الرجل إذا أتى أهله، رقم الحديث: 5165، ص 1316، 1317).

(4) نفسه: (كتاب: التوحيد، باب: ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وآله أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، رقم الحديث: 7372، ص 1820).

هذا الحديث عدولاً آخر في قوله: "تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم"، وهو عدول عن عبارة: "تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم" وهو من نوع العدول عن الجمع إلى المفرد.

2- العدول عن النكرة إلى المعرفة:

ومن أمثلة هذا النوع في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي لِيَحْزُنِّيَ أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ (يوسف: 13)، فقد جاء لفظ الذئب معرفة، وليس المقصود ذئباً محدداً.

ومن صور هذا العدول في صحيح البخاري - والتي هي قليلة - مايلي:

- حدّثنا مسدد، حدّثني يحيى، عن عبيد الله، قال: حدّثني نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ وحدّثني محمد بن صباح، حدّثنا إسماعيل بن زكرياء، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ حَقٌّ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِالْمَعْصِيَةِ، فَإِذَا أُمرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»⁽¹⁾، إذ قال: "ما لم يؤمر بالمعصية" ولم يقل: "ما لم يؤمر بمعصية" وفي تفسير ذلك «زاد في رواية "الكشميهي"، ما لم يأمر بمعصية على الإطلاق محمول عليه كما هو نص الحديث»⁽²⁾، والمقصود بذلك أي معصية كانت لذلك جاءت نكرة.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الجهاد والسير باب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، رقم الحديث: 2955، ص729).

(2) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 6/135.

رابعاً- العدول بين الضمائر:

العدول بين الضمائر يُقصد به أن يكون الكلام بصيغة الغائب وهو موجه إلى المُخَاطَب، أو بطريقة معاكسة، أو يكون بصيغة، المخاطَب والمقصود به المتكلم، وغيرها من الاحتمالات المتعلقة بالضمائر (تكلم-خِطَاب-غيبية)، لذلك فالعرب «تُخَاطَبُ الشاهد ثم تُحوَّلُ الخِطَابُ إلى الغائب وذلك كقول "النابغة"⁽¹⁾:

يَا دَارُ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ، فَالْسِّنْدِ أَقُوْتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ.

فالتعبير عن المعنى يكون بطريق «من الطَّرُقِ الثَّلَاثَةِ أعني المتكلم والمُخَاطَبُ والغيبية بعد التعبير عنه بطريق آخر منها.»⁽²⁾، وقد يكون الخِطَابُ مخالفاً لما سبق، وهو جعله (الخطاب) للشاهد وهو في الأصل للغائب، كقول "الهذلي"⁽³⁾:

يَا لَهْفَ نَفْسِي كَانَ جَدَّةُ خَالِدِ وَبِيَاضُ وَجْهِكَ لِلتَّرَابِ الْأَعْفْرِ.

قول "شداد بن معاوية"⁽⁴⁾:

مَنْ يَكُ سَائِلاً عَنِّي فإني وَجْرُوةٌ لَا تَرُودُ وَلَا تُعَارُ.

قال "الأعشى"⁽⁵⁾:

وَإِنَّ إِمْرَأً أَسْرَى إِلَيْكَ، وَدُونَهُ فَيَا فِ تَنُوفَاتُ، وَبِيَدَاءِ خَيْفُ

لَمَحْفُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبِي لِصَوْتِهِ وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمُعَانَ مُوَفَّقُ.

(1) النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، المحقق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، ط3، 1416هـ، 1996م، ص18.

(2) علي صدر الدين بن معصوم المدني، أنوار الزبيح في أنواع البديع، المحقق: شاعر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف، العراق، ط1، 1389هـ، 1969م، 362/1.

(3) الشَّريف المرتضى، أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1373هـ، 1954م، 234/2.

(4) معمر بن المثنى، شرح نقائض جرير والفرزدق، تحقيق: محمد إبراهيم حور، وليد محمود خالص، المجمع الثقافي، أبوظبي الإمارات، ط2، 1998م، 264/1.

(5) الأعشى، مرجع سابق، ص223.

ومن الأمثلة عن هذا العدول في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿لَتَسْتُلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ^ع﴾ (الرعد: 30)، حيث قال: "وهم يكفرون بالرحمن" ولم يقل: "وهم يكفرون بنا".

وانطلاقاً من أنواع الضمائر الثلاث (تكلم-خطاب-غيبة) تتشكل الأصناف الآتية للعدول:

- العدول عن التَّكَلُّمِ إِلَى الْخِطَابِ.
- العدول عن التَّكَلُّمِ إِلَى الْغَيْبَةِ.
- العدول عن الْخِطَابِ إِلَى التَّكَلُّمِ.
- العدول عن الْخِطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ.
- العدول عن الْغَيْبَةِ إِلَى التَّكَلُّمِ.
- العدول عن الْغَيْبَةِ إِلَى الْخِطَابِ.

ونمثل لهذه الأنواع من المدونة:

1- العدول عن التَّكَلُّمِ إِلَى الْخِطَابِ:

هذا النوع من العدول قليل في صحيح البخاري، ومن أمثله النموذج الآتي:

- حدّثنا إبراهيم بن المنذر، حدّثنا أبو ضمرة، حدّثنا موسى بن عقبة، عن نافع، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ يَمْشُونَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوْوُوا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَأَنْحَطَّتْ عَلَى فَمِّ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَأَنْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَنْظَرُوا أَعْمَالًا عَمَلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ، فَادْعُوا اللَّهَ بِهَا لَعَلَّهُ يُفَرِّجَهَا عَنْكُمْ، قَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَلِي صَبِيَّةٌ صِغَارٌ كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيْ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ بَنِي، وَإِنِّي اسْتَأْخَرْتُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا نَامًا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَفُئِمْتُ عِنْدَ رُؤُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ

الفصل الأول — أنماط العدول الصرفي وصوره الواردة في صحيح البخاري

أَوْ قِظَهُمَا...»⁽¹⁾، فالرّسول ﷺ قال: "انظروا أعمالاً عملتموها" و"فادعوا لعله يفرّجها عنكم" ولم يقل: "لننظر أعمالاً عملناها" و"لندع الله لعله يفرّجها عنا" لأنّهم هم المعنيون بقضيّة انغلاق الغار وانفراجها، كما نجد في هذا الحديث عدولين آخرين: الأول في نفس العبارة وهو عدول عن المضارع إلى الأمر، فقال: "انظروا" بدلاً من: "لتنظروا" وفي قوله: "فقمّت عند رؤوسهما" وهو عدول عن المثني إلى الجمع إذ لم يقل: "رأسيهما".

إنّ العدول عن التّكلم إلى الخطاب قليل في اللّغة العربيّة شأنه في ذلك شأن الحديث النبويّ الشريف، ومثاله في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِّسُلْمٍ لِّرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ (الأنعام: 71-72)، حيث عدل عن ضمير المتكلم في الأفعال: "أقيموا"، "آتوه"، "تحشرون"، وكان سياق الكلام يستوجب أن يقول: "نقيم"، "نتقيه"، "نحشر" وذلك لتقدم قوله: "لنسلم".

2- العدول عن التّكلم إلى الغيبة:

وهو عدول عن أحد ضمائر المتكلم: "أنا"، "نحن" إلى أحد ضمائر الغائب: "هو"، "هي"، "هما"، "هما"، "هم"، "هن"، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْرٍ مِّمَقَاتٍ رَبِّهِ ۚ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ﴾ (الأعراف: 142)، إذ قال: ميقات ربه" ولم يقل: "ميقاتنا"، ومن الأمثلة القليلة لهذا الصّنف من العدول في صحيح البخاري:

(1) - حدّثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا عبد الواحد، حدّثنا الشّيباني، حدّثنا محمد بن أبي المجالدة، قال: بعثني عبد الله بن شداد، وأبو برة إلى عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما، فقالا: سلّه، هل كان أصحاب النبيّ ﷺ في عهد النبيّ ﷺ يُلفون في الحنطة؟... فسألته، فقال: «كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يُسَلْفُونَ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَمْ نَسْأَلْهُمْ: أَلَهُمْ حَرْتُ أَمْ

(1) صحيح البخاري: (كتاب: المزارعة، باب: إذا زرع بمال قومٍ بغير إذنهم، وكان في ذلك صلاح لهم، رقم الحديث: 2333، ص 561، 562).

الفصل الأول — أنماط العدول الصرفي وصوره الواردة في صحيح البخاري

لا؟»⁽¹⁾، حيث قال: "كان أصحاب النبي ﷺ يُلفون على عهد النبي ﷺ"، ولم يقل: "كنا أصحاب النبي ﷺ نلف على عهد النبي ﷺ"، فهو عدول عن المتكلمين إلى الغائبين.

(2) - حدّثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدّثنا الليث، عن سعيد المقيري عن أبيه، أن ه سَمِعَ أبا سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا وُضِعَتِ الْجَنَازَةُ، وَأَحْتَمَلَهَا الرَّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا، أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا يُسْمَعُ صَوْتُهَا كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهُ صُعِقَ.»⁽²⁾، لقد سبقت دراسة هذا الحديث في العدول عن المضارع إلى الماضي؛ إلا أنه احتوى على عدول آخر وذلك في قوله: "يا ويلها أين تذهبون بها" بدلاً من قوله: "يا ويلى أين تذهبون بي"، وذلك عند حديثه ﷺ على النفس غير الصالحة، وتحسرها على ما آلت إليه، وهذه الجملة معطوفة عن الجملة التي تتحدث عن مصير النفس الصالحة وما قالتها عندما وُضِعَتْ على الأكتاف: "قدموني"، فالعدول عن التّكلم إلى الغائب توبيخ للنفس الخبيثة .

3- العدول عن الخطاب إلى التّكلم:

وهو انصراف عن المُخاطَب إلى المتكلم وهو قليل شأنه في ذلك شأن التّوعين السابقين، ومن أمثله في القرآن الكريم قوله الله ﷻ على لسان سيدنا شعيب عليه السلام مخاطباً قومه: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: 90]، فالخطاب كان صريحاً في قوله: "استغفروا"، "توبوا" ثم عدل عن الخطاب إلى التّكلم فقال سيدنا شعيب - عليه السلام -: "ربي" ولم يقل: "ربكم"، وهو ما أكّدت عليه الآية اللاحقة في قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ بعد أن قال: ﴿قَالَ يَاقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظَهْرِي﴾ [هود: 92].

ومن أمثله في الحديث الشريف:

(1) صحيح البخاري: (كتاب: السّلم، باب: السّلم إلى من ليس عنده أصل، رقم الحديث: 2244، ص 535).

(2) نفسه: (كتاب: الجنائز، باب: حمل الرّجال الجنائز دون النّساء، رقم الحديث: 1314، ص 317).

— حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَفِيرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي اللَّيْثُ قَالَ: حَدَّثَنِي عَقِيلٌ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الزَّبْيَعِ الْأَنْصَارِيُّ، أَنَّ عَتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ — وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ — مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ — أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَنْكَرْتُ بَصْرِي وَأَنَا أُصَلِّي لِقَوْمِي فَإِذَا كَانَتْ الْأَمْطَارُ سَالَ الْوَادِي الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، لَمْ أُسْتَطِعْ أَنْ آتِيَ مَسْجِدَهُمْ فَأُصَلِّيَ بِهِمْ، وَوَدِدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَّكَ تَأْتِنِي فَنُصَلِّيَ فِي بَيْتِي، فَاتَّخَذَهُ مُصَلَّى، قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَأَفْعَلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» قَالَ عَتْبَانُ: فَعَدَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ، فَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَذْنَتْ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى دَخَلَ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ: "أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟" قَالَ: فَأَشْرَفْتُ لَهُ إِلَى نَاحِيَةٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَكَبَّرَ، فَقُمْنَا فَصَفَّأْنَا فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، قَالَ وَحَسِبْنَا عَلَى خَزِيرَةٍ صَنَعْنَا لَهُ، قَالَ: قَالَ فَأَبَى فِي الْبَيْتِ، رِجَالٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ ذُوو عَدَدٍ، فَاجْتَمَعُوا، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَيْنَ مَالِكُ ابْنِ الدُّخَيْشَنِ أَوْ ابْنِ الدُّخَيْشَنِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ لَا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تَقُلْ ذَلِكَ، أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ" قَالَ: فَإِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنُصِيحَتَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ.»⁽¹⁾، حيث قال: "إِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنُصِيحَتَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ" ولم يقل: "إِنَّا نَرَى وَجْهَهُ وَنُصِيحَتَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ".

4- العدول عن الخطاب إلى الغيبة:

إِنَّ الْعَرَبَ قَدْ تُخَاطَبُ الشَّاهِدَ فَتُظْهِرُ لَهُ مُخَاطَبَةَ الْغَائِبِ.

قال "خُفَافُ بْنُ نَدْبَةَ السَّلْمِيِّ"⁽²⁾:

أَقُولُ لَهُ وَالرَّمْحُ يَأْطُرُ مِثْلَهُ تَأْمَلُ خُفَافًا أَنِّي أَنَا ذَلِكَا
فَإِنْ تَكُ خَيْلِي قَدْ أُصِيبَ صَمِيمُهَا فَعَمْدًا عَلَى عَيْنِ تَيْمَمْتُ مَالِكَا.

ومن أمثلة العدول عن الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ^ص حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَاحِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الصلاة، باب: المساجد في البيوت، رقم الحديث: 425، ص 115).

(2) خُفَافُ بْنُ نَدْبَةَ، شعر خُفَافُ بْنُ نَدْبَةَ السَّلْمِيِّ، جمعه وحقَّقه: نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد، (دط)، 1967م، ص 64، 66.

عَاصِفٌ ﴿يونس: 22﴾؛ حيث خاطبهم الله ﷺ بقوله: "كنتم"، ثم تغيّر الأسلوب إلى الغيبة: "وجرين بهم"، ومن أمثلة هذا النوع في صحيح البخاري ما يلي:

(1) - حدّثنا محمد بن عبد الرّحيم، قال: حدّثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا حميدُ الطويل، عن أنس ابن مالك: أن رسول الله ﷺ سقط على فرسه فجَحِشَتْ ساقه أو كَتَفُهُ، وآلى من نسائه شهراً، فجلس في مشربة له درجتها من جذوع، فأتاه أصحابه يعودونه، فصلّى بهم جالساً وهم قيام، فلما سلّم قال: «إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِنْ صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا.»⁽¹⁾، فقد قال: "لِيُؤْتَمَّ بِهِ" ولم يقل: "لتأتموا به"؛ أي جعل الفعل مبنياً للمجهول مع ضمير الغائب المفرد بدلاً من جماعة الصحابة المخاطبين، وهذا لجعل الكلام صالحاً لأيّ إمام.

(2) - حدّثنا حفص بن عمر، قال: حدّثنا يزيد بن إبراهيم، قال: حدّثنا قتادة، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ: «اعْتَدِلُوا فِي السُّجُودِ، وَلَا يَبْسُطُ ذِرَاعَيْهِ كَالْكَلْبِ، وَإِذَا بَرَقَ فَلَا يَبْرِقَنَّ بَيْنَ يَدَيْهِ.»⁽²⁾، هذا الحديث سبق وأن تناولناه أثناء الحديث عن العدول من المضارع إلى الأمر، وفيه كذلك عدول في قوله: "ولا يبسط" ولم يقل: "ولا تبسطوا" لأنه سبق بـ"اعتدلوا"، وفيه أيضاً عدول عن الجمع إلى المفرد لأنّ "اعتدلوا" جمع المخاطبين، ولكن "لا يبسط" جاء بصيغة المفرد.

(3) - حدّثنا آدم بن أبي أياس، حدّثنا شعبة، حدّثنا واصل الأحذب، قال: سمعتُ المعرور بن سويد قال: رأيتُ أبا ذر القفاريّ ﷺ وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألناه عن ذلك، فقال: إنّي ساببتُ رجلاً، فشكاني إلى النبي ﷺ، فقال لي النبي ﷺ: "أَعْيَرْتَهُ بِأَمِّهِ؟" ثم قال: «إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَانِكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنَّ كَلْفَتُمْوَهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَأَعْيَنُوهُمْ.»⁽³⁾، حيث قال: "ولا تكلفوهم" و"فإن كلفوهم" ولم يقل: "ولا يكلفوهم" و"فإن كلفوهم"

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الصلاة، باب: الصلاة في السطوح والمنبر والخشب، رقم الحديث: 378، ص 106).

(2) نفسه: (كتاب: مواقيت الصلاة، باب: المصلّي يناجي ربه ﷻ، رقم الحديث: 532، ص 139).

(3) نفسه: (كتاب: العتق، باب: قول النبي ﷺ: «العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون»، رقم الحديث: 2545، ص 616).

و"فليعينوهم"، وفيه أيضًا عدول عن المفرد إلى الجمع في العبارة نفسها، وعدول في "يده" والأولى "يديه"، وهو عدول عن المثني.

(4) قال الليث: حدثني يونس عن ابن شهاب قال عروة: قالت عائشة رضي الله عنها "إن بريرة دخلت عنها تستعينها في كتابتها وعليها خمسة أوراق نُجِمَتْ عليها في خمس سنين، فقالت لها عائشة: ألا ونُفِسْتُ فيها: أَرَأَيْتِ إِنْ عَدَدْتُ لِهَمْ عِدَّةً وَاحِدَةً، أُبَيْعُكَ أَهْلَكَ فَأَعْتَقَكَ، فَيَكُونُ لِوَأْوِكَ لِي؟ فَذَهَبْتُ بِرِيرَةَ إِلَى أَهْلِهَا، فَعَرَضْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: لَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَنَا الْوَلَاءُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِشْتَرِيهَا، فَأَعْتَقِيهَا، فَإِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ.»⁽¹⁾، حيث قال: "فإنما الولاء لمن أعتق" ولم يقل: "فإنما الولاء لمن أعتقت"، لأن الرسول ﷺ كان يُخَاطَبُ عائشة رضي الله عنها، ولكنه غير الكلام بقوله: "أعتق"؛ أي العدول من ضمير المُخَاطَبِ إلى ضمير الغائب، وهذا لتعميم الكلام، وجعله ينطبق على كل مسلم يملك عبدًا أو أمة.

5- العدول عن الغيبة إلى التكلّم:

هذا النوع قليل الورد في صحيح البخاري شأنه في ذلك شأن بعض الأنواع السابقة، وسنذكر حديثًا واحدًا وهو:

- حدثني عبد الله بن أبي شيبه، عن أبي أحمد، عن سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة قال النبي ﷺ: «أَرَأَاهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَشْتَمُنِي ابْنُ آدَمَ، وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتَمُنِي، وَيُكَذِّبُنِي، وَمَا يَنْبَغِي لَهُ، أَمَّا شَتْمُهُ فَقَوْلُهُ: إِنَّ لِي وَلَدًا، وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ: فَقَوْلُهُ: لَيْسَ يُعِيدُنِي كَمَا بَدَأَنِي.»⁽²⁾، فقال: "فقوله إن لي ولدًا" ولم يقل: "فقوله إن له ولدًا"؛ لأن الله تعالى يتكلم عن ذاته لذلك عدل في كلامه عن الغائب إلى المتكلم ومن أمثلة هذا النوع في القرآن الكريم قوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى رِبَاكَ وَمَدَّ الظِّلِّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ

(1) صحيح البخاري: (كتاب: المُكَاتَب، باب: المُكَاتَب، ونجومه في كل سنة نجم، رقم الحديث: 2560، ص 790).

(2) نفسه: (كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في قول الله تعالى: «وهو الذي يبدأ الخلق ثم يُعيده وهو أهون عليه» (الزوم: 27)، رقم الحديث: 3193، ص 1271).

دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ (الفرقان: 45-46)، فقد قال: "جعلنا"، و"قبضنا" بعد أن قال: "مدّ"، "شاء".

6- العدول عن الغيبة إلى الخطاب:

ومن أمثلة ذلك في صحيح البخاري مايلي:

(1)- حدّثنا عبد الله بن يوسف، قال: أخبرنا مالك، عن أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عَقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عَقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْجَلَّتْ عَقْدَةٌ، فَإِنِ تَوَضَّأَ انْجَلَّتْ عَقْدَةٌ، فَإِنِ صَلَّى انْجَلَّتْ عَقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ.»⁽¹⁾، إذ قال: "عليك ليل طويل فارقد" ولم يقل: "عليه ليل طويل فليرقد"، وفيه عدول عن المضارع على الأمر فقال: "فارقد" ولم يقل: "فليرقد".

(2)- حدّثنا إسماعيل قال: حدّثني مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عُذِبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّهِ أَعْلَمُ: لَا أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلَا سَقَيْتِهَا حَيْثُ حَبَسْتِهَا، وَلَا أَنْتِ أُرْسَلْتِهَا فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ.»⁽²⁾، فقد عدل إلى قوله: "لا أنتِ أطعمتها ولا سقيتها حيث حبستها، ولا أنتِ أرسلتها" بدلاً من قوله: "لا هي أطعمتها ولا سقتها حين حبستها، ولا هي أرسلتها"، ومن أمثلة هذا النوع في كتاب الله قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ (الفاحة: 2-5)، حيث عدل من أسلوب الغيبة في قوله: "الحمد لله رب العالمين" إلى أسلوب الخطاب في قوله: "إياك نعبد وإياك نستعين".

(1) صحيح البخاري: (كتاب: التّهجد، باب: عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يُصلِّ بالليل، رقم الحديث: 1142، ص 276، 277).

(2) نفسه: (كتاب: الشرب والمساقاة، باب: فضل سقي الماء، رقم الحديث: 2365، ص 569).

خامساً- العدول في المصادر والمشتقات:

يقول "السيوطي" من سنن العرب «أن تأتي بالمفعول بلفظ الفاعل؛ نحو: سرّ كاتم، أي: مكتوم، وماء دافق، أي مدفوق، وعيشة راضية، أي مرضى بها، وحرماً آمناً، أي مأموناً فيه. وبالفاعل بلفظ المفعول؛ نحو عيش مغبون، أي غابن، ذكره "ابن السكيت"». (1).

على الدّارس-قبل الحديث عن العدول بين المصادر والمشتقات-أن يبحث على معرفة المقصود بكل منهما، والإلمام بكل حيثياتهما لأنّه لا يُعقل أن يُدرس العدول فيهما دون معرفة العلاقة الدلالية بينهما، وسنبداً أولاً بمعرفة المصادر على اعتبار أنّها أصل كل المشتقات؛ فالمصدر هو: «اسم دال بالأصالة على معنى قائم بفاعل أو صادر عنه حقيقة أو مجازاً، أو واقع على مفعول.

-هو {اسم دال بالأصالة}: بفتح الهمزة، أي بالوضع

-{على معنى}- هو الحدث-

-{قائم بفاعل}: كفرح زيد فرحاً، وحسن زيد حسناً

-{أو على معنى صادر عنه}: كقعد زيد قعوداً، وضرب بكر ضرباً، ثم ذلك المعنى الصّادر، إمّا:

{حقيقة}-كما مثلنا-، {أو مجازاً}: كمرض زيد مرضاً، ومات بشر موتاً، فإنّ صدورهما عن المريض والميت مجازاً

-{أو}: على معنى

-{واقع على مفعول}. (2).

مكونات المصدر:

قد يشتمل المصدر على «حروف الفعل بمساواة كقولك توضأ توضحاً، أو بزيادة عليه كأعلم إعلاماً ودحرج دحرجة. وقلت لفظاً وتقديرًا واحترازًا من فِعال مصدر فاعل كقتال فإنّه

(1) السيوطي، مرجع سابق، 335/1.

(2) عبد الله بن أحمد الفاكهي، مرجع سابق، ص 183.

الفصل الأول — أنماط العدول الصرفي وصوره الواردة في صحيح البخاري

مصدر مع خلوه من المدّة الفاصلة بين فاء فعله وعينه، لأنها حُذفت لفظاً واكتفى بتقديرها بعد الكسرة، وقد تثبت فيقال: قيتال. وقلت دون عوض احترازاً من عدة، فإنه مصدر وعد مع خلوه من الواو، لأنّ التاء في آخره عوض منها، فكأنّها باقية، وكذا تعليم مصدر علم مع خلوه من التضعيف، ولكن جعلنا التاء في أوله عوضاً من التضعيف، فكأنّه باقٍ؛ ولذلك جيء بمصدر مضعفاً ككذب كذاباً، استغنى عن التاء ونسب التعويض إلى تاء تعليم، لأنّ ياءه مساوية لألف إكرام وإسماع واستخراج ونحوها. (1)

فيقول "ابن مالك" (2):

فَعْلٌ قِيَاسٌ مَصْدَرِ الْمُعْدَى مِنْ ذِي ثَلَاثَةِ كَرَدٍّ رَدًّا
وَفِعْلٌ اللَّازِمِ بَأْبُهُ فَعْلٌ كَفَرِحٌ وَكَجَوَى وَكَشَلَلٍ
وَفِعْلٌ اللَّازِمِ مِثْلُ قَعْدَا لَهُ فَعُولٌ بِاطِرَادٍ كَغَدَا.

ومن أسماء المصدر عند علماء اللّغة القدامى ما يلي:

- الأحداث حسب تسمية "سيبويه" و"ابن يعيش" و"ابن جني".
- أحداث الأسماء بتسمية "سيبويه".
- اسم الحدث بتسمية "ابن سيده"، و"ابن الحاجب".
- اسم الحدّثان، حسب تسمية "سيبويه"، "الزّمخشري"، "ابن يعيش"، "ابن مالك".
- الحدث بتسمية "سيبويه"، "ابن جني" و"ابن يعيش".
- الحدث الجاري على الفعل تسمية قديمة.
- الفعل: بتسمية "سيبويه"، "الفراء"، "ابن يعيش".
- اسم الفعل: بتسمية "المبرد" و"ابن عصفور".

(1) ابن مالك، شرح تسهيل الفوائد، المحقق: عبد الرحمن السّيد، محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط1،

1410هـ، 1990م، 122/3.

(2) نفسه، ص40.

- الاسم الفعلِيّ: بتسميّة المستشرقين.

- المثال: بتسميّة أوائل النّحاة.

- اسم المعنى: بتسميّة "ابن يعيش" و"الرضي" و"المرادي" و"السيوطي".

- المصدر الحقيقيّ-المصدر العام-المعاني: بتسميّة "ابن بابشاذ"، و"ابن يعيش".

- الاسم: تسميّة "ابن مالك".

وأنواعه هي المصدر الصّريح، المصدر الأصليّ، المصدر الميميّ، المصدر الصناعيّ، المصدر المؤول...

المصدر الميميّ: «هو مصدر يدل على ما يدلّ عليه المصدر الصّريح، غير أنّه يبدأ بميم زائدة، مثل: "شَرِبَ مَشْرَب"، "أَكَلَ مَأْكَل".»⁽¹⁾.

المصدر الصناعيّ: «مصدر يُصاغ بزيادة ياء مشددة وتاء مربوطة على الاسم ليبدّل عليه المصدر، مثل: الوطنية الإسلامية.»⁽²⁾.

المصدر الدّال على المرة: «هو اسم يصاغ للدّلالة على أن الفعل حدث مرة واحدة.»⁽³⁾. ويُصاغ على النّحو التّاليّ:

من الثّلاثيّ على وزن "فَعْلَة" مثل جلس جَلَسَة.

ومن غير الثّلاثيّ على وزن مصدره العاديّ (الصّريح بزيادة تاء مثل انطلق انطلاقة).

المصدر الدّال على الهيئة: وهو اسم يُصاغ للدّلالة على هيئة حدوث الفعل ويصاغ من الثّلاثيّ على وزن فِعْلَة مثل: جلس جِلْسَة، ويُصاغ من غير الثّلاثيّ بالأتان بالمصدر بزيادة تاء على مصدره أو بغير زيادة، ثم نُضيفه إلى ما بعده مثل استقبلنا الضّيوف استقبال الحفاوة، انطلق المتسابق انطلاقة الصقر.

(1) فخر الدين قباوة، تصريف الأسماء والأفعال، مكتبة المعارف، بيروت، ط2، 1408هـ، 1988م، ص145.

(2) نفسه: ص147.

(3) نفسه: ص142.

الفصل الأول — أنماط العدول الصرفي وصوره الواردة في صحيح البخاري

المصدر المؤول: هو تركيب يتكون من حرف المصدر يليه جملة اسمية أو فعلية، ويُعرب المصدر المؤول حسب موقعه في الجملة، والحروف المصدرية التي تتصدر تركيب المصدر المؤول هي: **أَنْ وَأَنَّ وَلَوْ وَكَيْ وَمَا، "وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرَ لَكُمْ"**، وتأويل صياكم خير لكم.

وأما الاشتقاق فقد قيل عنه بأنه: «أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها، لِيُدلَّ بالتَّأنيَّة على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلافاً حروفاً أو هيئة، كضارب من ضرب، وَحَذِرٌ "من حَذَرَ"»⁽¹⁾.

يقول "ابن فارس": «أجمع أهل اللغة -إلا من شذ عنهم- أَنَّ للغة العرب قياساً، وَأَنَّ العرب تشق بعض الكلام من بعض، وَأَنَّ اسم الجن مشتق من الاجتئان. وَأَنَّ الجيم والنون تدلان أبداً على السّتر تقول العرب للدّرع: جُنَّةٌ وأجنة الليل، وهذا جنين، أي هو في بطن أمه أو مقبور.»⁽²⁾.

ويقول "ابن عصفور" عن المشتق: «يُقَال للفرع الذي صيغ من الأصل، لأنَّكَ تطلب معنى الأصل في الفرع، فكأنَّكَ تشق الفرع، للتخرج منه الأصل، وكانَّ الأصل مدفون فيه.»⁽³⁾، ومعنى هذا أَنَّ هناك أصلاً مشتقاً منه، فرعاً مشتقاً، وهذه المسألة فيها خلاف بين البصريين والكوفيين ولكن ليس هذا موضوعنا وإتّما موضوعنا المصادر والمشتقات والعدول فيهما أو بينهما ف «الأصل في الاشتقاق أن يكون من المصادر.»⁽⁴⁾، كما أَنَّ «التّصريف أعمّ من الاشتقاق.»⁽⁵⁾.

(1) محمد الصّديق حسن خان، العلم الخفّاق من علم الأشتقاق، ضبطه وعلّق عليه: أحمد عبد الفتاح تمام، مؤسسة الكتب النّقافيّة، ط1، 1433هـ، 2012م، ص24.

(2) ابن فارس، مرجع سابق، ص66، 67.

(3) ابن عصفور الإشبيلي، الممتع في التّصريف، تحقيق: فخر الدّين قباوة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ، 1987م، 44/1.

(4) السيوطي، مرجع سابق، 350/1.

(5) محمد الصّديق حسن خان، مرجع سابق، ص30.

إلا أنّ قضية الاشتقاق في حد ذاتها اختلف فيها فهناك من يقول: «بعض الكلام مشتق وبعضه غير مشتق.»⁽¹⁾، كـ"سيبويه" و"الخليل" و"أبي عمر بن العلاء" و"أبي الخطاب" و"عيسى ابن عمرو الأصمعي" و«زعمت طائفة من متأخري أهل اللغة أنّ الكلام كله مشتق، وليس هؤلاء الأولين ولا يقوم بأعيانهم مشهورين.»⁽²⁾، ومن هؤلاء "أبو إسحاق إبراهيم بن السريّ الزجاج".

أمّا الصنف الأخير فيذهب إلى القول: «أنّ الكلام كله أصل وليس منه شيء اشتق من غيره.»⁽³⁾، إلا أنّ هذا الصنف الأخير ليس هناك أحد من أهل اللغة والأعلام المشهورين يُؤكّد عليه.

أنواع الاشتقاق:

1- الاشتقاق الصّغير: «وهو انتزاع كلمة من أخرى بتغير في الصّيغة مع تشابه بينهما في المعنى واتفق في الأحرف الأصلية وفي ترتيبها. كاشتقاق ضارب ومضروب ومضرب وتضارب من ضرب.»⁽⁴⁾.

2- الاشتقاق الكبير: وهو انتزاع كلمة من أخرى بتغيير في ترتيب في بعض أخرجها مع تشابه بينهما في المعنى واتفق في الأحرف. ويُقابل هذا النوع من الاشتقاق ما يُدعى بالقلب اللّغويّ تمييزاً له عن القلب الصّرفيّ القائم على إبدال حرف العلة وأكثر ما يكون ذلك في الكلمات الثلاثيّة وتقالبيها، كجذب وجبذ، وحمد ومدح، وشجّ رأسه وجشّه⁽⁵⁾.

(1) الزجاجي، اشتقاق أسماء الله، تحقيق: عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ، 1986، ص277.

(2) نفسه: ص278.

(3) نفسه: ص279.

(4) فؤاد حنا طرزي، الاشتقاق، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2005م، ص26، 27.

(5) نفسه: ص27.

3- الاشتقاق الأكبر: «هو أخذ كلمة من أخرى بتغيير بعض أحرفها، مع تشابه بينهما في المعنى واتفاق في الأحرف الثابتة وفي مخارج الأحرف المغيرة أو في صفاتها أو فيهما معاً. ويُقابل هذا ما يُدعى بالإبدال اللغوي كثلث وثلثم، وجثا وجذا، والرّجز والرّجس.»⁽¹⁾

4- الاشتقاق الكُبار: وهو أخذ كلمة من كلمتين أو أكثر مع تناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى.

ويُقابل هذا النوع من الاشتقاق ما ندعوه بالنّحت، كالبسملة من باسم الله، والحمدلة من الحمد لله⁽²⁾.

كل نوع من الأنواع السابقة للاشتقاق له اسم أو اسمان آخران، فالاشتقاق الصّغير يُدعى عند بعض اللّغويين بالأصغر، أمّا الكبير فيُسمى بالأكبر أو الأكبر الكبير أو الكُبار. والكُبار هو نوع حديث أضافه عبد الله أمين فأصبحت أنواع الاشتقاق أربعة⁽³⁾.

الاشتقاق الذي نعنيه بالدراسة هو الاشتقاق الأصغر لأنّ أغلب المشتقات ناتجة أو حاصلة عنه ك «اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأفعال التفضيل وظرفي الزمان والمكان والآلة.»⁽⁴⁾، والاشتقاق الذي سنتناوله بالدراسة هو الموجود في اللّغة العربيّة وليس دخيلاً عنها، فمما «ينبغي أن يحذر كل الحذر أن يشتق من لغة العرب شيء من لغة العجم... فيكون بمنزلة من ادّعى أن الطير ولد الحوت.»⁽⁵⁾.

فالعدول في المشتقات يجب أن يكون كل من المعدول عنه والمعدول من لغة العرب كالعدول عن اسم المفعول إلى اسم الفاعل أو العكس أو بقية المشتقات الأخرى كالصفة المشبهة وصيغة المبالغة أو حتى بين المصادر وهذا كله سنتناوله لاحقاً بالدراسة.

(1) المرجع السابق: الصّفحة نفسها.

(2) نفسه: ص 27.

(3) ينظر: عبد الله أمين، الاشتقاق، لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة، (دط)، 1956م، ص 1، 2.

(4) محمد الصّديق حسن خان، مرجع سابق، ص 20.

(5) السيوطي، مرجع سابق، 301/1.

1- العدول عن المصدر:

يُعَدُّ المصدر أصل المشتقات والعدول عنه إلى أحد هذه المشتقات موجود في اللغة العربيّة؛ إلا أنّ ما يعنينا من ذلك العدول الموجود في صحيح البخاري، وقد وجدنا المشتقات والمصادر أو أسماء المصادر التي عدل عنها المصدر مايلي:

أ- العدول عن المصدر إلى المصدر:

(1)- قال الليث: حدّثني يونس عن ابن شهاب، قال عروة: قالت عائشة رضي الله عنها إنّ بريرة دخلت عليها تستعينها في كتابتها وعليها خمسة أوراق نُجِمَّتْ عليها في خمس سنين، فقالت لها عائشة-ونُفِسَتْ فيها-: «أَرَأَيْتِ إِنْ عَدَدْتُ لَهُمْ عِدَّةً وَاحِدَةً، أَيْبِيعُكَ أَهْلُكَ فَأَعْتَقُكَ، فَيَكُونُ وَلَاؤُكَ لِي؟ فَذَهَبْتُ بَرِيرَةَ إِلَى أَهْلِهَا، فَعَرَضْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالُوا: لَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَنَا الْوَلَاءُ، قَالَتْ: عَائِشَةُ: فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِشْتَرَيْهَا، فَأَعْتَقِيهَا، فَإِنَّ الْوَلَاءَ لِمَنْ أَعْتَقَ"، ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا بَالُ رِجَالٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَمَنْ إِشْتَرَطَ شُرُوطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَهُوَ بَاطِلٌ، شَرَطَ اللَّهُ أَحَقُّ وَأَوْثَقُ".⁽¹⁾، حيث قال: "شروط" ولم يقل: "اشتراطات"؛ لأنّ الفعل الذي ذُكر قبله يشترطون، فلو كان الفعل يشترطون لكان المفعول المطلق شروطاً أنسب للمقام، وفي هذا الحديث عدولان آخران؛ الأول من المُخَاطَبِ إلى الغائب في قوله: "فإنّما الولاء لمن أعتق"، ولم يقل: "فإنّما الولاء لمن أعتقت"، والثاني عدول عن المؤنث إلى المذكّر في العبارة ذاتها.

(2)- حدّثنا أبو اليمان، حدّثنا شعيب، عن الزّهري، حدّثنا عامر بن سعد بن أبي وقاص أنّه سَمِعَ أسامة بن زيد يُحَدِّثُ سعدًا: أنّ رسول الله ﷺ ذَكَرَ الْوَجْعَ فَقَالَ: «رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ عَذَبَ بِهِ بَعْضُ الْأُمَمِ، ثُمَّ بَقِيَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ، فَيَذْهَبُ الْمَرَّةَ، وَيَأْتِي الْأُخْرَى؛ فَمَنْ سَمِعَ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا يَقْدِمَنَّ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ بِأَرْضٍ وَقَعَ بِهَا فَلَا يَخْرُجُ فِرَارًا مِنْهُ».⁽²⁾، فقد قال: "رجز أو عذاب عذب به" ولم يقل: "رجز أو تعذيب عذب به"؛ لأنّ الفعل الذي ذُكر في الحديث: "عذب" وليس "عذب".

(1) صحيح البخاري: (كتاب: المُكَاتِبِ، باب: المُكَاتِبِ، ونجومه في كلّ سنة نجم، رقم الحديث: 2560، ص 620).

(2) نفسه: (كتاب: الحيل، باب: ما يكره من الاحتيال في الفرار من الطاعون، رقم الحديث: 6974، ص 1727).

ب- العدول عن المصدر إلى اسم المصدر:

(1)- حدّثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن ابن شهاب، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتدّ بي، فقلت: «إني قد بلغ بي من الوجع، وأنا ذو مالٍ، ولا يرثني إلا ابنةٌ، أفأتصدّقُ بثُلثي مالي؟ قال: "لا"، فقلتُ: بالشطْر؟ فقال: "لا" ثم قال: "الثُلثُ والثُلثُ كثيرٌ" أو "كثيرٌ إنك أن تذرَ ورثتكَ أغنياءَ خيرٌ من أن تذرهمُ عالةً يتكفّفونَ النَّاسَ، وإنك لتنفقَ نفقةً تبتغي بها وجهَ الله، إلا أُجرتَ بها.»⁽¹⁾ فقال: "إنك تنفق نفقة" ولم يقل: "إنك تنفق إنفاقاً؛ لأنّ الفعل "تنفق" مصدره "إنفاق"، وأمّا "نفقة" فهي "اسم مصدر".

(2)- حدّثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن ابن شهاب، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ ناساً من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم متى نفد حتى نفد ما عنده، فقال: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ لِعَفْوِ اللَّهِ، وَمَنْ يَسْتَعِنِ بِعَفْوِ اللَّهِ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ.»⁽²⁾ لقد قال: "وما أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا" ولم يقل: "وما أُعْطِيَ أَحَدٌ إِعْطَاءً" فعدل عن المصدر إلى اسم المصدر.

2- العدول إلى المصدر:

العدول عن المصدر سواء عن المشتقات أو المصادر نسبة وجوده في اللغة العربية كبيرة، وفي ذلك يقول "ابن مالك"⁽³⁾:

وَنَعْتُوا بِمَصْدَرٍ كَثِيرًا فَالْتَزَمُوا الْإِفْرَادَ وَالتَّنْكِيرَ.

ويقول "سيبويه": «وقد يجيء المصدر على المفعول، وذلك قولك: لَبِنٌ حَلْبٌ، إنّما تريد مَحْلُوبٌ وكقولهم: الخَلْقُ إنّما يريدون المخلوق. ويقولون للدرهم: صَرَبُ الأمير، وإنّما يريدون مضروب الأمير، ويقع على الفاعل، وذلك قولك يوم غَمٍّ، ورجل نَوْمٍ، إنّما تريد النَّائم والغام،

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الجنائز، باب: رثاء النبي صلى الله عليه وسلم سعد ابن خولة، رقم الحديث: 1295، ص313).

(2) نفسه: (كتاب: الزكاة، باب: الاستعطاف عن المسألة، رقم الحديث: 1469، ص358).

(3) ابن مالك، مرجع سابق، ص45.

وتقول: ماءٌ صَرَى، إنّما تريد صرّ خفيف إذا تغير في الصّرع. وهو صَرَى. فنقول هذا اللّبن صَرَى وصَرٍ.»⁽¹⁾، ومن الشواهد الشعريّة في هذا الخصوص قول "الخنساء"⁽²⁾:

تَرْتَعُ مَارْتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ.

حيث قالت: " إقبالاً وإدباراً" ولم تقل: "مُقْبَلَةٌ مُدْبِرَةٌ".

فالعدول عن أحد المشتقات إلى المصدر أكيد أنّ هناك غاية من ورائه، وإلا لُدْكَرَتْ الصّيغة الأصليّة، وقد وضّح ذلك "ابن جنّي" في قوله: «إنّما انصرفت العرب عنه في بعض الأحوال إلى أن وُصِفَتْ بالمصدر لأمرين أحدهم صناعيّ والآخر معنويّ، أمّا الصّناعيّ فليزيدك أنسا بشبه المصدر بالصّفة التي أفعته موقعها، وأمّا المعنويّ فلأنّه إذا وُصِفَ بالمصدر صار الموصوف كأنّه في الحقيقة مخلوق من ذلك الفعل، وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إياه...، فقولك إذا هذا رجل دَنَفٌ بكسر النون أقوى إعراباً لأنّه هو الصّفة المحضة غير المتجوّزة، وقولك رجل دَنَفٌ أقوى معنى لما ذكرناه من كونه كأنّه مخلوق من ذات الفعل وهذا معنى لا نجده ولا نتمكن منه مع الصّفة الصّريحة.»⁽³⁾، وهذا دون أن نغفل الطّابع الجماليّ والجرس الموسيقيّ الذي يحدثه صوت المصدر على الأذن.

ومن أهم أصناف العدول إلى المصدر ما يلي:

أ- العدول عن اسم الفاعل إلى المصدر:

من الأحاديث التي تتضمّن عدولاً عن اسم الفاعل إلى المصدر ما يلي:

- حدّثنا عبدان، عن عبد الله، عن إبراهيم بن طهمان، قال: حدّثني الحسين المكنّب، عن ابن بريدة، عن عمران بن حصّين رضي الله عنه قال: «كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ فَقَالَ: "صَلِّ قَائِمًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ".»⁽⁴⁾، إذ قال: "فإن لم تستطع

(1) سيوييه، مرجع سابق، 43/4.

(2) الخنساء، ديوان الخنساء، اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1425هـ، 2004م، ص46.

(3) ابن جنّي، مرجع سابق، 259/3، 260.

(4) صحيح البخاري: (كتاب: تقصير الصّلاة، باب: إذا لم يُطِقْ قاعداً صلى على جنبٍ، رقم الحديث: 1117، ص270، 271).

فعلى جنّب" ولم يقل: "فإن لم تستطع فعلى جانب"؛ لأنّ الذي قبلها "فقائماً" و"فقاعداً"، وهي أسماء فاعل.

ب- العدول عن اسم المفعول إلى المصدر:

من النّماذج لهذا العدول في صحيح البخاري مايلي:

(1)- حدّثنا علي بن عبد الله، حدّثني حربي يحيى بن سعيد، حدّثنا فضيل بن غزوات حدّثنا عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ خطب النّاس يوم النّحر، فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، قَالَ: "فِي أَيِّ بَلَدٍ هَذَا؟" قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: "فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا"، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ قَالَ: "فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ، عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا".»⁽¹⁾، فقد قال: "عليكم حرام" ولم يقل: "عليكم مُحَرَّمَة".

(2)- حدّثنا محمد بن بشار حدّثنا عُندر، حدّثنا شعبة، عن عاصم قال سَمِعْتُ أبا عثمان قال: سَمِعْتُ سَعِيدًا، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَبَا بَكْرَةَ، وَكَانَ تَسْوَرُ حِصْنَ الطَّائِفِ فِي أَنَسٍ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَغْلُمُ، فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ.»⁽²⁾، فقال: "فالجنة عليه حرام" ولم يقل: "فالجنة عليه محرمة".

3- العدول بين المشتقات:

أ- العدول إلى اسم الفاعل:

قبل التّطرق إلى الصّيغ المتضمّنة لهذا العدول في صحيح البخاري علينا معرفة اسم الفاعل، حيث يقول "ابن الحاجب" (ت: 646هـ): «ما اشتق من فعل لمن قام به بمعنى الحدوث وقوله: لمن قام به يخرج اسم المفعول، فإنّه ليس قائماً به، وإنّما هو واقع عليه، وقوله: بمعنى الحدوث يخرج الصّفة المشبهة فإنّها تدلّ على الثّبوت.»⁽³⁾، ويُصاغ اسم الفاعل من الفعل الثلاثي على وزن فاعل مثل كتب ← كاتب، خرج ← خارج، وإذا كان

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الحجّ، باب: الخطبة أيام منى، رقم الحديث: 1739، ص419).

(2) نفسه: (كتاب: المغازي، باب: غزوة الطائف، رقم الحديث: 4326، ص1058).

(3) ابن الحاجب، أمالي ابن الحاجب، تحقيق: هادي حسن الحموي، مكتبة المنار، الرّقاء، الأردن، ط1، 1405هـ، 1985م 47/3.

الفصل الأول — أنماط العدول الصرفي وصوره الواردة في صحيح البخاري

الفعل أجوف نُقلت عينه إلى همزة مثل: مال — مائل، باع — بائع، ويُصاغ من الفعل غير الثلاثي على وزنه مضارعه المبني للمعلوم بقلب حرف المضارعة ميما مضمومة وكسر ما قبل الآخر مثل، انقطع- ينقطع- مُنقطع، قدم- يقدم- مُقدم، استخرج - يستخرج - مُستخرج.

♣ العدول عن اسم المفعول إلى اسم الفاعل: ومن هذه الصيغ:

(1)- حدّثنا عبد الله بن يوسف، حدّثنا الليث، حدّثنا سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال النبي ﷺ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.»⁽¹⁾، حيث قال: "أكثرهم تابعًا" ولم يقل: "أكثرهم متبوعًا".

(2)- حدّثنا يحيى بن بكير قال: حدّثنا الليث، عن يونس عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «فَرَجَ عَن سَفِّ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءٍ زَمَزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِيٍّ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي...»⁽²⁾، فهو يقول: "مُمتلئ" ولم يقل: "مُمتلأ أو مملوء"، فهو عدول عن صيغة اسم المفعول إلى صيغة اسم الفاعل.

♣ العدول عن صيغة المبالغة إلى اسم الفاعل:

- حدّثنا أبو الوليد، حدّثنا شعبة، عن سليمان الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله، وعن ثابت، عن أنس، عن النبي ﷺ، قال: «لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ أَحَدُهُمَا، يُنْصَبُ، وَقَالَ الْآخَرُ، يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُعْرَفُ بِهِ.»⁽³⁾، ففي حديث الرسول ﷺ عدول عن صيغة المبالغة "غدير" إلى صيغة اسم الفاعل "غادر".

(1) صحيح البخاري: (كتاب: فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي، وأول ما نزل، رقم الحديث: 4981، ص1273).

(2) نفسه: (كتاب: الصلاة، باب: كيف فرضت الصلاة في الإسراء، رقم الحديث: 349، ص98).

(3) نفسه: (كتاب: الجزية، باب: إثم الغادر للبر والفاجر، رقم الحديث: 3186، ص787، 788).

ب- العدول إلى اسم المفعول:

قبل التطرق للأحاديث التي تتضمن هذا النوع من العدول علينا معرفة مفهوم اسم المفعول، فهو «ما اشتق من فعل وقع عليه، وصيغته من الثلاثي على وزن مفعول "كمضروب" ومن غيره على صيغة المضارع بميم مضمونة وفتح ما قبل الآخر كمُخْرَج.»⁽¹⁾، وهناك أنواع لهذا العدول وهي:

♣ العدول عن اسم الفاعل إلى اسم المفعول:

- حدّثنا قتيبة، حدّثنا عبد الواحد، عن عمار بن القعقاع بن شبرمة، حدّثنا عبد الرحمن بن أبي نعيم، قال: سَمِعْتُ أبا سعيد الخُدْرِيّ، يقول: «بَعَثَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْيَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ... فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاشِزُ الْجَبْهَةِ، كَثُّ اللَّحْيَةِ، مَخْلُوقَ الرَّأْسِ مُشَمَّرٌ الْإِزَارِ...»⁽²⁾، ففي الحديث عدول في الكلمتين: "مخلوق" و"مُشَمَّر" عن الكلمتين: "حالق" و"مُشَمَّر"، وهو عدول عن صيغتي اسم الفاعل إلى اسم المفعول.

♣ العدول عن الصفة المشبهة إلى اسم المفعول:

- أخبرنا عهد عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَّ وَأَنْتَكَسَ وَإِذَا شَبِكَ فَلَا أَنْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخَذَ بِعُنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَشَعَّتْ رَأْسُهُ مُغْبَرَةً قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ.»⁽³⁾، حيث قال: "مُغْبَرَةً قَدَمَاهُ" ولم يقل: "غبراء قدماه": لأنّ ما قبله أشعت.

(1) ابن الحاجب، الكافية في علم النحو والشافية في علمي التصريف والخط، تحقيق: صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1431هـ، 2010م، ص203.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: المغازي، باب: بعث علي بن أبي طالب عليه السلام، وخالد بن الوليد ﷺ، إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم الحديث: 4351، ص1064).

(3) نفسه: (كتاب: الرقاق، باب: ما يُنقى من فتنة المال، رقم الحديث: 6435، ص712).

ج- العدول إلى الصفة المشبهة:

الصفة المشبهة هي: وصف يُؤخذ من الفعل اللازم يدلّ على معنى ثابت في الوصف مثل سَمِيرَ حَسَنَ الْكَلَامِ جَمِيلَ الْوَجْهِ طَوِيلَ الْقَامَةِ أَسْوَدَ الشَّعْرِ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

أَوْلَادُ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرُ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضَلِ
بَيْضُ الْوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ شَمُّ الْأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ.

♣ أنواع الصفة المشبهة:

فالصفة المشبهة ثلاثة أنواع قياسية وهي:

«- أولها وأكثرها "الأصيل"، وهو المشتق الذي يصاغ أول أمره من مصدر الفعل الثلاثي، اللازم، المتصرف؛ ليدلّ على ثبوت صفة لصاحبها ثبوتاً عاماً... ولهذا النوع أوزان وصيغ كثيرة خاصة به...»

- ثانيها: الملحق بالأصيل من غير تأويل، ويلى الأول في الكثرة؛ وهو: "المشتق الذي يكون على الوزن الخاص باسم الفاعل أو اسم المفعول من غير أن يدلّ دلالتها على المعنى الحادث وصاحبه، وإنما يدلّ -بقرينة- على أنّ المعنى ثابت لصاحبه ثبوتاً عاماً"، وحكم هذا النوع أنه قياسي، وأنه بمنزلة الصفة المشبهة؛ فله اسمها، ودلالاتها، وأحكامها المختلفة، دون أوزنها؛ لأنه يظلّ على صيغته الخاصة باسم الفاعل أو اسم المفعول، ويُلَازِمُ وزنه السابق...

- ثالثها وأقلها: الجامد المؤول بالمشتق، وهو: "الاسم الجامد الذي يدلّ دلالة الصفة المشبهة مع قبول التأويل بالمشتق" وحكمه: أنه قياسي يظلّ على لفظه الجامد القابل للتأويل، ويُؤدّي معناها، ويعمل عملها دون أن تتغير صيغته.»⁽¹⁾.

(1) عباس حسن، مرجع سابق، 3/284.

♣ أوزانها:

-أَفْعَل (مؤنثه: فعلاء): إذا دل على عيب أو حُسن في خلقته أو على لون مثل: أعرج، أصلع، أعور، أحمر، ومؤنثها: عرجاء، صلعاء، حوراء حمراء، وجمعها على وزن (فُعْلٌ) عُرْجٌ، صُلْعٌ، حُوْرٌ، حُمْرٌ.

- فَعْلَان (مؤنثه: فَعْلَى): ما دل على امتلاء أو خلو مثل: عطشان، ضمان، جوعان، رِيَان، شعبان، ومؤنثها عطشى، ضمأى، جوعى، رِيَا، شبعى.

- وإذا كان الفعل لازماً من باب (كَرَمٌ) فأكثر ما تكون صيغته على وزن (فَعِيل) مثل كريم، شريف.

-هناك أوزان أخرى: (فُعَال) مثل: شُجَاع، (فَعَال) مثل: جَبَان، (فُعْلٌ) مثل: صُلْبٌ، (فَعْلٌ) مثل: حَسَنٌ، (فَعْلٌ) مثل: شَهْمٌ، (فَعْلٌ) مثل: مَلْحٌ، (فَعْلٌ) مثل: نَجِسٌ⁽¹⁾.

هناك نوع واحد للعدول إلى الصفة المشبهة في صحيح البخاري وهو:

♣ العدول عن اسم الفاعل إلى الصفة المشبهة:

-حدَّثنا إسحاق قال، حدَّثنا يعقوب بن إبراهيم، قال حدَّثنا ابن أخي ابن شهاب، عن عمه، قال أخبرني حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن أبا هريرة قال: «بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْحَجَّةِ فِي مُؤَدِّينَ يَوْمَ النَّحْرِ نُؤَدِّنُ بِمِئَى أَنْ لَا يَحْجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ.»⁽²⁾، حيث قال: "عريانا" ولم يقل: "عارٍ"، وهناك حديث آخر تضمَّن نفس المفردة "عُرْيَانٌ"، والتي بدورها حلت محل المفردة "عارٍ" وهو:

- عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَخْتِي فِي ثَوْبِهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَعْنِيكَ عَمَّا تَرَى قَالَ: بَلَى وَعَزَّتْكَ وَلَكِنْ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ.»⁽³⁾.

(1) ينظر: عبد الله بن يوسف اليقوب، مرجع سابق، ص158.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: الصلاة، باب: ما يُسْتَر من العورة، رقم الحديث: 369، ص103).

(3) نفسه: (كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: «وَأَيُّوبُ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» (الأنبياء:83)، رقم الحديث: 3391، ص78).

♣ العدول عن اسم المفعول إلى الصفة المشبهة:

- حدّثنا أبو النّعمان حدّثنا حماد عن أيّوب عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَعْتَقَ نَصِيبًا فِي مَمْلُوكٍ أَوْ شِرْكَاءَ فِي عَبْدٍ فَكَانَ لَهُ مِنَ الْمَالِ مَا يَبْلُغُ قِيمَتَهُ بِقِيمَةِ الْعَدْلِ فَهُوَ عَتِيقٌ. قَالَ نَافِعٌ: وَإِلَّا فَقَدْ عَتَقَ مِنْهُ مَا عَتَقَ. قَالَ أَيُّوبُ: لَا أَدْرِي أَيُّ شَيْءٍ، قَالَ نَافِعٌ: أَوْ شَيْءٍ فِي الْحَدِيثِ.»⁽¹⁾، حيث قال الرسول ﷺ: "فهو عتيق" ولم يقل: "فهو معتوق"، ففي الجملة عدول عن صيغة اسم مفعول إلى الصفة المشبهة.

د- العدول إلى صيغ المبالغة:

صيغ المبالغة هي أحد المشتقات ويُقصد بها التّكثير والمبالغة باسم الفاعل الثلاثي فيتحول إلى الصيغ الآتية:

1- فَعَالٌ: كغَفَّارٌ وتَوَّابٌ مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (النساء: 16).

2- مِفْعَالٌ: كمِغْطَاءٌ ومِقْدَامٌ مثل قوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ (نوح: 11).

3- فَعُولٌ: كضُرُوبٌ وشُكُورٌ مثل قوله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: 72).

4- فَعِيلٌ: كعَلِيمٌ ورحِيمٌ مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: 58).

5- فَعِلٌ: كقَيْظٌ وقَطِنٌ مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا إِلَهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (الزخرف: 58)⁽²⁾.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: العتق، باب: كراهية التّطاول على الرقيق، وقوله عبدي أو أمّتي، رقم الحديث: 2553، ص611).

(2) ينظر: بدر الدين المرادي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط1، 1428هـ، 2008م، 853/2.

♣ العدول عن اسم الفاعل إلى صيغ المبالغة:

(1)- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَفِيَانُ، قَالَ حَدَّثَنَا عَمْرُو، قَالَ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا الْبَكَّالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى لَيْسَ بِمُوسَى بْنِ إِسْرَائِيلَ، إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرَ، فَقَالَ كَذَبَ عَدُو اللَّهِ، حَدَّثَنَا أَبِي بْنُ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خُطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِذَا لَمْ يَزِدَّ الْعِلْمَ لِلَّهِ.»⁽¹⁾، فقد عدل عن "مُخَاطِبٍ" إلى "خطيب".

(2)- حَدَّثَنَا صَدَقَةُ بْنُ الْفَضْلِ، أَخْبَرَنَا ابْنُ عِيْنَةَ، حَدَّثَنَا زِيَادٌ -هُوَ ابْنُ عِلَاقَةَ- أَنَّهُ سَمِعَ الْمَغِيرَةَ يَقُولُ: «قَامَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ قَالَ: "أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا.»⁽²⁾، فالنَّبِيُّ ﷺ قال: "أفلا أكون عبدًا شكورًا" ولم يقل: "أفلا أكون عبدًا شاكراً".

هـ- العدول إلى اسم التفضيل:

اسم التفضيل هو أحد المشتقات، وقبل الشروع في الأحاديث النبوية التي تحتوي على عدة مشتقات عدل عنها إلى اسم التفضيل يجب أن نعرض على تعريف اسم التفضيل، فهو «اسم دل على تفضيل شيء على شيء وهو عند النحاة اسم مشتق من المصدر موضوع لذات ما قام به دل ذلك المصدر أو وقع عليه موصوف بزيادة على غيره في أصل مدلول ذلك المصدر مثل: "أفضل" و"أكرم" و"ألوم" و"أشهر". والفرق بينه وبين صيغة المبالغة أن مدلوله ذات موصوف بزيادة على غيره بخلاف مدلول صيغة المبالغة فإنه ذات موصوف بزيادة الفعل كيميّة أو كميّة وليس هناك زيادته على الغير أي ليس الغير ملحوظاً فيه.»⁽³⁾.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: العلم، باب: ما يُسْتَحَبُّ للعالم إذا سُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَيَكِلُ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ، رقم الحديث: 122، ص42، 43).

(2) نفسه: (كتاب: تفسير القرآن-سورة الفتح-، باب: «لِيَعْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، وَبُتِمَ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا» (الفتح: 2)، رقم الحديث: 4836، ص1221).

(3) القاضي عبد النبي الأحمد بكري، دستور العلماء: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرب عباراته الفارسيّة: حسن هاني فحص، دار الكتب العلميّة، لبنان، بيروت، ط1، 1421هـ، 2002م، 68/1.

❖ العدول عن اسم الفاعل إلى اسم التفضيل:

- حدّثنا عبد العزيز بن عبد الله حدّثنا سليمان، عن موسى بن عتبة، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ قال: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لَنْ يُدْخَلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَيَّ اللَّهُ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»⁽¹⁾، فقد قال الرسول ﷺ: "أدومها" ولم يقل: "الدائم".

❖ العدول عن اسم المفعول إلى اسم التفضيل:

- حدّثنا عمر بن حفص بن غياث، حدّثنا أبي، حدّثنا الأعمش، عن شقيق، عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، وَمَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ»⁽²⁾، فالرسول ﷺ عدل عن صيغة اسم المفعول "محبوب" إلى صيغة اسم التفضيل "أحب".

❖ العدول عن صيغ المبالغة إلى اسم التفضيل:

- حدّثنا أبو معمر، حدّثنا عبد الوارث عن أيوب عن عبد الله بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى، قَالَ: فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ، فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ»⁽³⁾، إن الرسول ﷺ عدل عن صيغة "حقيق" إلى صيغة "أحق".

هذا باختصار أغلب أنواع العدول الاسمي التي وردت في صحيح البخاري.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل رقم الحديث: 6467، ص1609).

(2) نفسه: (كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: «وَيُحَذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ» (آل عمران: 28)، رقم الحديث: 7403، ص1827).

(3) نفسه: (كتاب: الصوم، باب: صيام يوم عاشوراء، رقم الحديث: 2004، ص480).

المبحث الثالث

العدول بين الفعل والاسم.

أولاً: العدول عن الفعل إلى الاسم

ثانياً: العدول عن الاسم إلى الفعل

أولاً- العدول عن الفعل إلى الاسم:

إنَّ العدول عن الفعل إلى الاسم يدلُّ على ثبات وقوعه، وإكساب الفعل صبغة الاستمرارية؛ لأنَّ الأسماء (كالمصادر والمشتقات) هي عبارة عن أحداث مجردة من الزمن وما عدول الرسول ﷺ إليها إلا لأغراض وغايات تصب في عملها في اتجاه الديمومة، فالرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، ومن أنواع العدول التي تضمَّنها صحيح البخاري- وإن كانت قليلة- ما يلي:

1- العدول عن الفعل إلى المصدر:

- حدَّثنا أبو عوانة، عن المغيرة، عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو وقال: أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةَ ذَاتِ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنْتَهُ، فَيَسْأَلُ عَنْ بَعْلِهَا، فَتَقُولُ نَعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَوْ يَطَأُ لَنَا فِرَاشًا، وَلَمْ يَفْتَشْ لَنَا كَنْفًا مِنْذُ أَتَيْنَاهُ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ، ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَلْقِنِي بِهِ فَالْقَيْنْتُهُ بَعْدُ، فَقَالَ كَيْفَ تَصُومُ؟ قَالَ: كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: «وَكَيْفَ تَحْتَمُّ؟» قَالَ: «كُلَّ لَيْلَةٍ قَالَ: "صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ، وَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ" قَالَ: قُلْتُ: أَطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: "صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْجُمُعَةِ"، قُلْتُ: أَطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: "صُمْ، أَفْضَلُ الصَّوْمِ صَوْمُ دَاوُدَ، صِيَامُ يَوْمٍ وَإِفْطَارُ يَوْمٍ، وَأَقْرَأُ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً"، فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.»⁽¹⁾، فالرسول ﷺ يقول: "صيام يوم وإفطار يوم" ولم يقل: "يصوم يوماً ويفطر يوماً".

2- العدول عن الفعل إلى اسم الفاعل:

- حدَّثنا يحيى بن بُكَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عَقِيلٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، كَانَ يَخْلُو بَغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي دَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ... فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا، لَيْتَنِي

(1) صحيح البخاري: (كتاب: فضائل القرآن، باب: في كم يقرأ القرآن؟، رقم الحديث: 5052، ص 1288، 1289).

الفصل الأول — أنماط العدول الصرفي وصوره الواردة في صحيح البخاري

أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ قَالَ نَعَمْ.»⁽¹⁾، فقد قال النبي ﷺ: "أَمْخْرِجِي؟" ولم يقل: "أَيُخْرِجُونِي؟".

ثانياً- العدول عن الاسم إلى الفعل:

إذا كان العدول عن الفعل إلى الاسم يدلّ على الثبات فإنّ العدول عن الاسم إلى الفعل عكس ذلك؛ بمعنى أنّه يدلّ على الحدوث والتّجدد، فالفعل حدث طارئ يأتي مرة بعد الأخرى أو يحدث مرة دون أن يتكرر، أو يدوم فترة محددة طالّت أم قصُرَتْ، مع ارتباطه بزمن معين، وقد عملنا على جمع الأحاديث النبويّة التي اشتملت هذا النوع من العدول، والذي كان أكثر نسبياً مقارنة بالعدول السّابق؛ إلا أنّ جميعها (العدول عن الاسم إلى الفعل أو العكس) تظل قليلة مقارنة بالعدول الذي ذكرناه في المبحثين السّابقين وأنواع العدول هي كالاتي:

1- العدول عن المصدر إلى الفعل:

(1)- حدّثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزّهريّ، قال: قال أبو إدريس عائذ الله بن عبد الله أنّ عبادة بن الصامت رضي الله عنه وكان شهد بدرًا وهو أحد النّقباء ليلة العقبة، إنّ رسول الله ﷺ وحوله عصابة من أصحابه: «بأيُعوني على أن لا تُشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأثوا ببهتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف، فمن وفّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدّنيا، فهو كفارة له، ومن أصاب منكم من ذلك شيئًا ثمّ سنّره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه.»⁽²⁾، قال: "فعوقب في الدّنيا" ولم يقل: "فعاقبه".

(2)- حدّثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدّثنا عباد- هو ابن عباد- عن أبي حمرة، عن ابن عباس قال: قدّم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ فقالوا: «إنّا من هذا الحيّ من ربيعة، ولسنّا نصل إليك إلا في الشهر الحرام، فمُرنا بشيءٍ نأخذُه عنك، ونَدعو إليه من وراننا، فقال: "أمركم بأربعٍ وأنهاكم عن أربع: الإيمان بالله ثمّ فسرها لهم: "شهادة أن لا إله إلا الله، وآتي رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدّوا إليّ خمس ما غنمتم وأنهي عن

(1) صحيح البخاري: (كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى الرسول ﷺ؟، رقم الحديث: 3، ص7، 8).

(2) نفسه: (كتاب: الإيمان، باب: علامة الإيمان خُب الأنصار، رقم الحديث: 18، ص14، 15).

(3) - حدّثنا محمد بن يوسف، قال: حدّثنا سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن ورّاد كاتب المغيرة قال أُملى عليّا المغيرة بن شعبة في كتاب إلى معاوية أنّ النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كلّ شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، لا ينفع ذا الجد منك الجد. »⁽¹⁾، حيث قال: "لا ينفع ذا الجد" ولم يقل: "لا نافع ذا الجد".

3- العدول عن اسم المفعول إلى الفعل:

(1) - حدّثنا بن بكير، عن الليث، عن عبد العزيز بن أبي سلمة، عن عبد الله بن الفضل، عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما يهودي يعرض سلعته، أعطي بها شيئاً كرهه، فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر، فسمعه رجل من الأنصار، فقام فطم وجهه... فغضب النبي ﷺ، حتى رُئي وجهه، ثم قال: « لا تفضّلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور، فيصعق من في السموات ومن في الأرض، إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أوّل من بعث، فإذا موسى أخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور، أم بعث قبلي. »⁽²⁾، إذ قال ﷺ: "بعث" و"حوسب" ولم يقل: "مبعوث" و"محاسب".

(2) - حدّثنا إسماعيل، قال: حدّثني مالك، عن هشام بن عروة، عن امرأته فاطمة عن جدّتها أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: « أتيت عائشة زوج النبي ﷺ حين خسفت الشمس، فإذا الناس قيام يصلون، وإذا هي قائمة تُصلي، فقلت: ما للناس؟ فأشارت بيدها نحو السماء، وقالت سبحان الله! فقلت: آية؟ فأشارت أي: نعم، فقامت حتى تجلاني العشي، وجعلت أضب فوق رأسي ماءً، فلما انصرف رسول الله ﷺ حمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: "ما من أوحى إليّ أنكم تكفنون في القبور مثل - أو قريب - من فتنة الدجال". »⁽³⁾، إذ قال: "أنكم تكفنون" ولم يقل: "أنكم مكفنون".

هذه أشهر أصناف العدول التي تضمّنها صحيح البخاري والنماذج عن كل صنف.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الأذان، باب: الذّكر بعد الصّلاة، رقم الحديث: 844، ص 206).

(2) نفسه: (كتاب: الوصايا، باب: قول الله تعالى: «وَإِنَّ يُوُسَّ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ» (الصفّات: 139)، رقم الحديث: 3414، ص 845).

(3) نفسه: (كتاب: الوضوء، باب: من لم يتوضأ إلا من العشي والمثقل، رقم الحديث: 154، ص 58).

ملاحظة:

هناك أحاديث نبوية وردت بروايات مختلفة؛ فهناك رواية يكون فيها عدول وبقية الروايات الأخرى لا عدول فيها وقد حاولنا ذكر بعضها، وهذا لإثراء المعرفة من إبراز الحكمة النبوية من جهة ثانية، ومن هذه الأحاديث:

الحديث الأول:

* الرواية الأولى: حدّثنا محمد بن كثير، عن سفيان، حدّثنا يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن علقمة بن وقاص الليثي، قال: سمعتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الأعمال بالنية، ولأمرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه.»⁽¹⁾

* الرواية الثانية: حدّثنا يحيى بن قزعة، حدّثنا مالك، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن علقمة بن وقاص، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «العمل بالنية، وإنما لأمرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله؛ فهجرته إلى الله ورسوله...»⁽²⁾

* الرواية الثالثة: حدّثنا الحميديّ عبد الله بن الزبير، قال " حدّثنا سفيان، قال: حدّثنا يحيى بن سعيد الأنصاري، قال: أخبرني محمد بن إبراهيم التيمي، أنه سمع علقمة بن وقاص الليثي يقول: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل أمرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه.»⁽³⁾

(1) صحيح البخاري: (كتاب: العتق، باب: ، باب: الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه، ولا عتاقة إلا لوجه الله، رقم الحديث: 2529، ص612).

(2) نفسه: (كتاب: النكاح، باب: هاجر أو عمل خيراً لتزويج امرأة فله ما نوى، رقم الحديث: 5070، ص1293).

(3) نفسه: (كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، رقم الحديث: 1، ص7).

لقد تعددت الروايات في كلمتي (العمل- النية)؛ فهناك ما تضمنت الجمع مقابلة الجمع، وذلك لأن كل عمل نيته، فالنية تتنوع كما تتنوع الأعمال، كالقصد من العمل وجه الله، أو السعي وراء ملذات الحياة وشهواتها، وقد وردت أغلب الروايات بإفراد النية، لأن محلها القلب، أما الأعمال فهي متعلقة بالظواهر وهي متعدّدة، فناسبها الجمع، كما أن النية ترجع إلى الإخلاص لله تعالى (1).

الحديث الثاني:

* **الرواية الأولى:** حدّثنا أصبغ، قال: أخبرني عمرو عن عبد الرحمن بن القاسم حدّثه، عن أبيه، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يُخبر عن النبي ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَخْسَفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا، فَصَلُّوا.» (2).

* **الرواية الثانية:** حدّثنا عبد الله بن محمد، قال: حدّثنا هاشم بن القاسم، قال: حدّثنا شيبان أبو معاوية، عن زياد بن علاقة، عن المغيرة بن شعبة قال: «كَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ النَّاسُ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ بِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ؛ فَصَلُّوا وَادْعُوا اللَّهَ."» (3).

* **الرواية الثالثة:** حدّثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدّثنا حماد بن زيد، عن يونس، عن الحسن، عن أبي بكرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ.» (4).

* **الرواية الرابعة:** وقال أبو عبد الله، ولم يُذكر عبد الوارث وشعبة وخالد بن عبد الله وحماد بن سلمة، عن يونس: «يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهَا عِبَادَهُ.» (5).

(1) ينظر: ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 18/1.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: الكسوف، باب: الصلاة في كسوف الشمس، رقم الحديث: 1042، ص253).

(3) نفسه: (كتاب: الكسوف، باب: الصلاة في كسوف الشمس، رقم الحديث: 1043، ص253).

(4) نفسه: (كتاب: الكسوف، باب: قول النبي ﷺ: «يُخَوِّفُ اللَّهُ عِبَادَهُ بِالْكَسُوفِ»، وقال أبو موسى: عن النبي ﷺ، رقم

الحديث: 1048، ص255).

(5) نفسه: (الكتاب والباب والحديث والصفحة نفسها).

* الرواية الخامسة: وتابعه موسى، عن مبارك، عن الحسن، قال: أخبرني أبو بكر، عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ.»⁽¹⁾.

لقد ورد الاختلاف في آخر الأحاديث، وبالتحديد في عبارة "إذا رأيتموها" والتي ترجع عن الآية و"الكشميهني" "رأيتموهما" بالثنية، وكذا في رواية "الإسماعيلي" والمعنى إذا رأيت كل منهما لاستحالة وقوع ذلك فيهما معاً في حالة واحدة عادة، وإن كان ذلك جائزاً في القدرة الإلهية، ووقع في رواية "ابن منذر" "حتى ينجلي كسوف أيهما انكسف" وهو أصرح في المراد⁽²⁾.

الحديث الثالث:

* الرواية الأولى: حدّثنا قتيبة بن سعيد، حدّثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عراك ابن مالك حدّثه، أنّ عروة أخبره عن عائشة رضي الله عنها أنّ قريشاً كانت تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيامه حتى فرض رمضان، وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ شَاءَ فَلْيَصُمْهُ، وَمَنْ شَاءَ أَفْطَر.»⁽³⁾.

* الرواية الثانية: حدّثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن ابن شهاب، عن حميد بن عبد الرحمن، أنّه سمع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما يوم عاشوراء عام حج على المنبر يقول: يا أهل المدينة، أين علمائكم؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هَذَا يَوْمٌ عَاشُورَاءَ وَلَمْ يَكْتَبِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ وَأَنَا صَائِمٌ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيَصُمْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَفْطِر.»⁽⁴⁾.

* الرواية الثالثة: حدّثنا عبد الله بن محمد، حدّثنا ابن عيينة، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها كان عاشوراء يصام قبل رمضان، فلما نزل رمضان، قال: «مَنْ شَاءَ صَامَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ.»⁽⁵⁾.

(1) صحيح البخاري: (الكتاب والباب والحديث والصفحة نفسها).

(2) ينظر: ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 2/ 614.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: الصّوم، باب: وجوب صوم رمضان، رقم الحديث: 1893، ص456).

(4) نفسه: (كتاب: الصّوم، باب: صيام يوم عاشوراء، رقم الحديث: 2003، ص480).

(5) نفسه: (كتاب: تفسير القرآن - سورة البقرة -، باب: «يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (البقرة:183)، رقم الحديث: 4502، ص1103).

الفصل الأول — أنماط العدول الصرفي وصوره الواردة في صحيح البخاري

* **الرواية الرابعة:** حدّثنا مسدد، حدّثنا يحيى، عن عبيد الله قال: أخبرني نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان عاشوراء يصومه أهل الجاهليّة فلما نزل رمضان، قال: «مَنْ شَاءَ صَامَهُ، وَمَنْ شَاءَ لَمْ يَصُمْهُ.»⁽¹⁾.

إنّ الاختلاف في الروايات الأربعة في فعل الصيام والإفطار فهناك ما ورد في كلا الجملتين ماضيًا، والأخرى في كلاهما مضارع والأخرتان متعاكسان أحد مضارع والآخر ماضٍ ف "صام" "أفطر"، يدلّ على ما كان عليه من صيام أو إفطار ليوم عاشوراء قبل فرض صيام رمضان، أمّا "فليصم" و"فليفطر"، فيدلّ على قضية صيام عاشوراء بعد فرض صيام رمضان، أمّا "فليصم" و"أفطر" أو "صام" و"فليفطر" فيدلّ على ما قبل وبعد فرض صيام رمضان في عبارة واحدة، فالماضي يدلّ على القبليّة، أمّا المضارع فيدلّ على البعديّة.

الحديث الرابع:

* **الرواية الأولى:** حدّثنا عبد الله بن محمد حدّثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن همام، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «هَلَكَ كِسْرَى، ثُمَّ لَا يَكُونُ كِسْرَى بَعْدَهُ وَقَيْصَرٌ لَيَهْلِكَنَّ ثُمَّ لَا يَكُونُ قَيْصَرٌ بَعْدَهُ، وَلَنْتُفَسَمَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.»⁽²⁾.

* **الرواية الثانية:** حدّثنا إسحاق سمع جريراً، عن عبد الملك، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَنْتُفَقَنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.»⁽³⁾.

فالعَدول ورد في كلمة "كنوزها" ثم عاد صلى الله عليه وآله ليقول "كنوزهما"، فالمقصود بالمتنى الفرس والروم، أمّا المفرد فيُقصد به أحدهما.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: مناقب الأنصار، باب: أيام الجاهلية، رقم الحديث: 3831، ص 1103).

(2) نفسه: (كتاب: الجهد والسير، باب: الحرب خدعة، رقم الحديث: 3027، ص 745).

(3) نفسه: (كتاب: فروض الخمس، باب: قول النبي صلى الله عليه وآله: «أُجِلَّتْ لَكُمْ الْغَنَائِمُ»، رقم الحديث: 3121، ص 768).

خلاصة الفصل:

يُمكننا الخروج بالنقاط الآتية:

- 1- ما يُمكن استخلاصه حول حياة الإمام البخاري "رحمه الله" هو أنّ العلماء أكثر الناس ابتلاءً في هذه الدنيا بعد الأنبياء فهُم ورثتهم في العلم، وعلى قدر الإيمان يكون الابتلاء.
- 2- رغم الاختلاف الظاهر حول مفهوم العدول الصرفي عند العلماء العرب القدامى منهم والمحدثين من جهة، وعند العرب والغرب من جهة ثانية، فإنهم يتفقون في جوهر المصطلح، والذي يعني بالأساس جعل صيغة ما مكان صيغة أخرى.
- 3- لا يُمكن بحال من الأحوال إنكار أو التقليل من جمالية الحديث النبوي الشريف، ولكن احتواءه على عدول صرفي بأبعاده المختلفة (فنية - دلالية - تداولية) أكسبه حلة جديدة وجمالية فائقة يصعب على الإنسان معرفة كنهها.
- 4- إنّ نسب الأحاديث النبوية الموجودة في صحيح البخاري والمتضمنة للعدول الصرفي متباينة في العدد من نوع لآخر، وحتى داخل النوع الواحد، ففي العدول الفعلي كثيرة، وبدرجة أقل العدول الاسمي، وضئيلة في العدول بينهما.
- 5- إنّ اختلاف الروايات في الحديث الواحد وما ينجم عنه من عدول صرفي ينم على عبقرية الرسول ﷺ، فهذا الاختلاف ناتج عن غايات متعددة لا يُمكن معرفتها إلا بالتعمق في الحديث النبوي، ومعرفة الظروف التي قيل فيها.

الفصل الثّاني

الدّلالة الإيقاعيّة للعدول.

المبحث الأول: العدول الصّرفيّ ذو الأثر الإيقاعي المحض

المبحث الثّاني: العدول الصّرفيّ الذي يجمع بين الدّلالة

والإيقاع

المبحث الثّالث: ارتباط الدّلالة بالإيقاع في الصور البديعيّة

في الخطاب النّبويّ من خلال صحيح البخاري

بعد الانتهاء من الفصل الأول والذي حوى أنواع العدول المختلفة نشرع في الفصل الثاني والذي يتضمن العدول الصّرفيّ ذا الأثر الإيقاعيّ، وأيضًا الجمع بين الدلالة والإيقاع، وارتباطهما ببعضهما من خلال الصّور البديعيّة في الخطاب النبويّ، فالإيقاع «ليس مجرد الوزن الخليليّ أو غيره من الأوزان وهو ليس حلية يُستغنى عنها؛ إذ لا غنى للوجدان أن يُعبّر عن نفسه من خلال الإيقاع الصّوتيّ، وتأثير الإيقاع أسبق إلى نفس المتلقي من الجملة الغنائيّة؛ ولهذا اعتمده الكُهان في الجاهليّة لمعرفة مدى تأثيره على نفس المتلقي وميله نحوه، وساعدهم في ذلك أنّ حروف اللّغة العربيّة تقيّ بالمخارج الصّوتية على تقسيمات الموسيقى، وفيها التّناسب المتدرّج بين الحروف المتقاربة في النطق، وفيها الارتباط بين الوزن والمعنى.»⁽¹⁾، فالإيقاع هو تلك الموسيقى التي يُحدثها توالي الأصوات بطريقة منسجمة وهذا من خصائص اللّغة العربيّة، وما دام الإيقاع له ارتباط بالأصوات؛ وهذه الأصوات «يُعبّر بها كل قوم عن أغراضهم.»⁽²⁾.

مصطلح علم الأصوات ليس غريبًا عن اللّغة العربيّة بل هو أصيل في هذه اللّغة، وقد قال عنه "ابن جنّي": «ولكن هذا القبيل من العلم، أعني (علم الأصوات) والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صفة الأصوات والأنغام.»⁽³⁾، ف"ابن جنّي" ربط علم الأصوات بالنّغم الصّوتي والإيقاع الموسيقي، وهذه الدلالة الاصطلاحية والتي تُسمّى بـ (Phonemes)، فكان "ابن جنّي" سبأً إليها، حيث قسّم الأصوات إلى أقسام لم يزد عليها علم الأصوات الحديث أي شيء خاصة بعض الخصائص المتعلقة بالحروف كالحذف والترخيم، والإعلال والإبدال والإشمام والإدغام.

إنّ الصّوت يُحدِثُ «موسيقى حلوة رائعة تنساب في الكلمة الحديثيّة.»⁽⁴⁾، فمنبع هذا الإحساس بالحلاوة والعذوبة هو حماية للأصوات، والجمال والإحساس به أمر تتوق إليه

(1) محمد علوان سالمان، الإيقاع في شعر الحداثة (دراسة تطبيقية على دواوين: فاروق شوشة، إبراهيم أبو سنّة، حسن طلب، رفعت سلامة)، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، (دط)، 2004م، ص27.

(2) ابن جنّي، مرجع سابق، 33/1.

(3) نفسه، 10/1.

(4) محمد صباغ، الحديث النبويّ، مصطلحه، بلاغته، كتبه، تحقيق: محمد ناصر الدّين الألبانيّ، المكتب الإسلاميّ، بيروت، ط4، 1401هـ، 1981م، ص90.

النفس البشريّة، والإحساس بالجمال ليس حكراً على البشر؛ بل حتّى الذات الإلهيّة تحبه وتُحبّب فيه؛ حيث يقول الرسول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»⁽¹⁾، فالجمال هو «ما يُثير فينا إحساساً بالانتظام والتناغم، والكمال، وقد يكون ذلك في مشهد من مشاهد الطّبيعة، أو في أثر فنيّ من صنّع الإنسان، وإنّا لنعجّز على الإتيان بتحديد واضح لماهية الجمال؛ لأنّه في واقعه إحساس داخليّ يتولّد فينا عند رؤية أثر تتلاقى فيه عناصر متعددة ومتنوعة ومختلفة باختلاف الأذواق، ومعرفة الجمال ليست خاضعة للعقل ومعاييره؛ بل هي اكناه انفعاليّ»⁽²⁾.

طالما أنّ للإيقاع أثراً على السّامع من خلال تناغم الأصوات وانسجامها، فإنّ اللّغويين القدامى كانوا يربطون بينه وبين الشّعْر والوزن، فلهذين الأخيرين «إيقاع يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبه واعتدال أجزائه، فإذا اجتمع الفهم مع صحة وزن الشّعْر صحة المعنى وعذوبة اللفظ»⁽³⁾، فالإيقاع يقوم على أساس صوتيّ، وهذا ما ذهب إليه "الأخفش"، والذي لم يكتف بذكر هذه العلاقة فحسب؛ بل ذكر أنّ الحروف في العربيّة لا تخلو أن تكون ساكنة أو متحرّكة، فالساكنة هي موقوفة في حين المتحرّكة هي إمّا مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة، ويقول في هذا الخصوص: «أقلّ الأصوات في تأليفها الحركة، وأطول فيها الحرف الساكن لأنّ الحركة لا تكون إلا في الحرف، ولا تكون حرفاً، والمُتحرّك أطول من الساكن لأنّه حرف وحركة»⁽⁴⁾، فمن خلال حديث "الأخفش" يتضح أنّ للحركات في العربيّة دوراً كبيراً من خلال تحديد طبيعة الصوت، وما ينجم عنه من إحداث أثر وإيقاع موسيقيّ، ولم يحصر "الأخفش" كلامه في الحروف داخل الإطار الشّعريّ؛ لأنّ الإيقاع لم يَعدْ مختصّاً بالشّعْر فقط، وهذا ما أكّد عليه "محمود السّعديّ" حين اعتبر الإيقاع مشتركاً بين الشّعْر

(1) مسلم، صحيح مسلم (كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانها، رقم الحديث: 147، 93/1)، راجعه: هيثم خليفة الطعيّمي، المكتبة العصريّة، بيروت، ط1، 1422هـ، 2001.

(2) جبور عبد النور، المعجم الأدبيّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984م، ص85.

(3) ابن طباطبا، عيار الشّعْر، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر مانع، دار العلوم بالرياض، ط1، 1405هـ، 1985م، ص53.

(4) سيّد البحراويّ، دراسات أدبيّة، العروض وإيقاع الشّعْر العربيّ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط1، 1993م، ص18.

والنثر، ودعا إلى ضرورة المقابلة والتقديم والتأخير وطريقة ترتيب الكلمات كل هذه الأشياء لها علاقة وطيدة بخلق الإيقاع الثري للنص الأدبي⁽¹⁾.

لقد عرفت اللغة العربية الانسجام الإيقاعي في تركيب أصواتها، فهناك قواعد يراعيها المتكلم عند النطق، ففي اللغة العربية الفصحى لا يجوز بل لا يمكن الابتداء بالسكان، أو الوقوف على متحرك، أو النقاء ساكنين نظراً لثقل النطق بهما، أو توالي أكثر من ثلاث متحركات بحركة واحدة، وقد نبه الدارسون إلى أهمية التآلف الصوتي وجعلوه شرطاً لفصاحة الكلمة، «فانسجام الحروف وتآلف مخارجها شرطان لتحقيق سهولة النطق وعضوبته وسلامة اللفظ وجزالته وفخامته»⁽²⁾، فـ«حاجة المنطق إلى الحلاوة والطلاوة كحاجته إلى الجزالة والفخامة»⁽³⁾، ولضمان ذلك يجب أن يكون «اللفظ سليماً من التكلف بعيداً عن الصبغة بريئاً من التعقد»⁽⁴⁾.

إنّ الإنسان يميل إلى تذوق الكلام الذي يتضمّن إيقاعاً، فتراه يتوق إلى قراءة وحفظ النصوص الشعرية، أو النصوص النثرية التي تحتوي إيقاعاً أكثر من بقية النصوص النثرية العادية التي لا إيقاع فيها، فيصبح يملك أدناً موسيقية وذاكرة استرجاع لا يُستهان بها، فالمقاطع المسجوعة تُمكنه من توقع المقاطع التي تعقبها، والتي تنتهي جميعها بمقاطع صوتية متماثلة، والتي نسميها بـ"القافية"، ومعلوم أنّ اللغة العربية تمتاز بميزات خاصة لا تُضاهيها أي لغة في العالم كاتساع قاموسها اللغوي، واشتمالها على العديد من الأسماء والأفعال والحروف والمشتقات تعجز بقية اللغات الأخرى عن إيجاد ترجمة مطابقة لها تمام المطابقة، وهذا السر الذي جعل معجزة رسولنا الكريم "القرآن الكريم" نابغاً من روح هذه اللغة، فترجمته لا تُعتبر قرآناً لما يُفقد الألفاظ معانيها الأساسية، وبهذه اللغة الخالدة جاءت البلاغة النبوية مُحكمة التصميم رائعة السياقة، وهذا دون مزيدة أو تحيز؛ بل هي حقيقة أقرها الأعداء قبل الأصدقاء، وهو كلام «كلما زدته فكراً زادك معنى، وتفسيره قريب، قريب كالروح

(1) ينظر: محمد علوان سالم، مرجع سابق، ص 23، 24.

(2) الجاحظ، مرجع سابق، 67/1.

(3) نفسه: 14/1.

(4) نفسه: 106/1.

في جسمها البشريّ ولكنّه بعيد بعيد كالرّوح في سرّها الإلهيّ، فهو معك على قدر ما أنت معه، إن وقفت على حدث وقف، وإن مددت مدّ، وما أدّيت به تأدّى.»⁽¹⁾

وهذا ليس غريباً عن الرّسول ﷺ فهو قبل كل شيء نبيّ جاء بمعجزة دحض بها فُصحاء وبلغاء قومه؛ لأنّهم كانوا أرباب فصاحة وبيان، ومعروف أنّ الله ﷻ يؤدّد كل نبيّ بمعجزة تفوق ما يتميز به قومه وعشيرته، وقد هيّأه لذلك بأن بعثه في قريش والتي تُعتبر أفصح القبائل العربيّة، وأخواله من "بني زهرة"، وقد رضع وترعرع في "بني سعد بن بكر"، وخالط في حياته بطون قريش والأنصار، وقد اعترف "أبو بكر الصديق" بفصاحة النّبيّ ﷺ إذ قال له مرة: "لقد طُفْتُ في العرب وسمعتُ فصحاءهم، فما سمعتُ أفصح منك؛ فمن أدّبك؟ (أي علّمك) قال: «أدّبني ربّي فأحسن تأديبي.»⁽²⁾، فالله ﷻ اختار رسوله من بين خلقه ليحمل رسالة هي أثقل الرّسالات وأعظمها وأسمأها؛ بل وأعجزها، ولم يكن الرّسول ﷺ مُتصّباً للغة قريش، فقد كان رحيماً مع جميع القبائل العربيّة، ورحمته بالخلق ذكرها الله ﷻ في كتابه العزيز بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٧﴾ (الأنبياء: 107)، كما أنّه «عُلمّ السنة العرب، فكان يُخاطب كل أمة منها بلسانها، ويُحاورها بلغتها، ويُباريها في منزع بلاغتها.»⁽³⁾

مادام الرّسول ﷺ جاء للنّاس كافة؛ حيث يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ: 28)، فحريّ به أن يُخاطب جميعهم بما يفهمونه؛ بل ويُباري الفطاحلة والأقحاح منهم حتّى يُفهم الجاحدين منهم، ويردّ كيد الحاسدين له، والتّاكرين لدعوته، إلا أنّ بلاغة الأسلوب وجمالية الألفاظ لا تكون بكثرة الكلام، وإنّما بقلته وتحقيق المعنى المراد منه وقد «روى "الأصمعيّ" وابن الأعرابيّ عن رجالهما: أنّ رسول الله ﷺ قال: "إِنَّا مَعَشَرُ الْأَنْبِيَاءِ بِكَاءٍ"، فقال ناس: البُكوء =

(1) مصطفى صادق الرّافعيّ، وحي القلم، راجعه واعتنى به: درويش الجويديّ، المكتبة العصريّة للطباعة والنّشر، صيدا، لبنان، ط1، (دت)، ص8.

(2) مصطفى صادق الرّافعيّ، إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط8، 1425هـ، 2005م، ص196.

(3) محمود فجال، مرجع سابق، ص16، 17.

القلة، وأصل ذلك من اللبن، فقد جعل صفة الأنبياء قلة الكلام، ولم يجعله من إيثار الصمت.⁽¹⁾، فكلام الرسول ﷺ كله حكم مُستمدّة من الشريعة الإسلامية السمحة، فهي تربية للصحابة ﷺ، وللمسلمين اللاحقين بهم إلى يوم الدين، فألفاظه ﷺ تنم عن معاني لها مدلولات قد تُفهم من الوهلة الأولى، وقد لا تُفهم إلا بعد تفحص وإمعان وتدقيق، وقد لا تُفهم بتاتاً إلى حين يأتي جيل آخر ويفهمها بعد زمن طويل.

إنّ المعاني التي تحملها الألفاظ لها دلالات معينة، وقبل الخوض في علاقة وارتباط الدلالة بالإيقاع يجب معرفة الدلالة، فماذا يُقصد بها؟

إنّ علم الدلالة هو: «دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى» أو "ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى" أو "ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى".⁽²⁾، فالدلالة لها علاقة وطيدة بالمعنى، والجمالية أساسها ومنطلقها في كثير من الحالات الإيقاع وانسجام الأصوات وتناغمها وما يُضفي عن الكلام استحساناً وأكثر جاذبية كون هذا الإيقاع داخل إطار العدول؛ كالعدول الصّرفي الذي هو موضوع دراستنا، وهذا العدول أكيد أنّ له مدلولاتٍ؛ خاصة إذا تعلق الأمر بحديث المصطفى ﷺ، فلنأخذ على سبيل الذكر لا الحصر حديث الرسول ﷺ: «مَأْمَنُ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتِجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحْسِنُونَ فِيهَا مِنْ جَذَعَاءَ».⁽³⁾، فمن خلال هذا الحديث نلمس العديد من الحكم ومدلولات مع سياقته في شكل إيقاعي تناغمي خاصة في الجمل "يهودانه" و"ينصرانه" و"يمجسانه"، وما يُستفاد من هذا الحديث هو عدم ذكر جملة "يُسْلِمَانِهِ"، وهذا دليل قاطع على أنّ المرء إذا ترك على فطرته الأولى يبقى مسلماً لذلك لم تُذكر، فالإسلام هو دين الفطرة السليمة، بالإضافة إلى ذلك أنّ للوالدين دوراً كبيراً في التأثير على مستقبل ابنهما، فالعائلة اليهودية أو النصرانية أو المجوسية تُؤثر على ديانة الأبناء؛ بل تُغيّر الديانة

(1) مصطفى صادق الرافعي، مرجع سابق، ص 207.

(2) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مكتبة لسان العرب، القاهرة، ط5، 1998م، ص 11.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يُصلّى عليه، وهل يُعرض على الصبي الإسلام، رقم الحديث: 1358، ص 327، 328).

الصّححة المَجْبُول عليها الإنسان (الإسلام) إلى ديانة أخرى، و«من أهم مظاهر النّظام الإيقاعيّ تلك الحركة النّاجمة عن النّسق التّركيبيّ للجملة، ذلك أنّ النّسق الذي يقوم على نظام خاص، يضبط حركة العناصر ويؤجّدها، أو يُوجِد بينها تدرجات موحية أو توازنات أو تقابلات... وكل تنظيم فيه بالتّأكيد روح جماليّة فنيّة.»⁽¹⁾، ولكل نص أدبيّ مميزات وخصائص تجعل إيقاعه وموسيقاه تطرب الأذان وتلامس المشاعر والوجدان، «وموسيقى الحديث النّبويّ ينطلق من:

- حروف الكلمة الواحدة التي تُكوّن الموسيقى الدّاخلية للكلمة.

- ومن الكلمة مجتمعة في جملة تكون الموسيقى الدّاخلية.

- ومن الجمل للحديث، التي تكون موسيقى الكلام.»⁽²⁾.

فاختيار الكلمات ذات الإيقاع الموسيقيّ المنسجم من شأنه أن يزيد في جماليّة الكلمة، وهذا دون إغفال انسجام أصوات الحروف، وما يُحدِثه من إيقاع لا يُمكن إنكاره، وعندما نحقق انسجام وإيقاع بين حروف الكلمة وأصواتها، نصل إلى مرحلة أخرى وهي انسجام الجمل والعبارات، وهذا ما نرجوه من الإيقاع لأنّنا لا نتكلم أصواتاً أو حروفاً معزولة، وإنّما يصدر عنا كلام مسترسل، وكلّما توفرت فيه جماليّة الإيقاع، كلما ضمنا إنصافاً وانتباهاً من طرف السّامعين.

وهناك حديث آخر يُبيّن ما للفظ من تأثير على المعنى والدّلالة وهو قوله ﷺ: «وَيْحَكَ يَا أَنْشَجَةَ، رُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالقَوَارِيرِ.»⁽³⁾، والمقصود بالقوارير في هذا الحديث النّساء، فلو قال ﷺ: "سَوْقًا بالنّساء" أو "رفقاً بالنّساء" لوصلت الفكرة، ولكن ليس بنفس العمق والدّلالة لكلمة القوارير، فالقوارير هي الأواني من الفخار، وتشبيه النّساء بالقوارير راجع لضعفهن وسهولة

(1) ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجماليّة للإيقاع البلاغيّ في العصر العباسيّ، دار القلم العربيّ، ط1، 1418هـ، 1997م، ص16.

(2) محمد صباغ، مرجع سابق، ص91.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: الأدب، باب: ما يجوز من الشّعْر والرّجز والخُداء وما يُكره منه، رقم الحديث: 6149، ص1537).

كسرهن وعدم جبر هذا الكسر، كما أنّ النّساء في حُسنهن كلمعان القوارير عند عرضهن للبيع.

إنّ الإيقاع الموسيقيّ للنصوص الأدبيّة لها منابع يُمكن أن نقسمها إلى قسمين:

أولاً: «الموسيقى النّابعة من تآلف أصوات الحروف في اللفظة الواحدة، والحروف أصوات متفاوتة الجرس، يقرع بعضها بعضاً حين تجتمع في اللفظ، وينتج عن تناغم قرعها سلّم موسيقيّ.»⁽¹⁾، «يوحي إلى الأذهان بمعنى فوق المعنى الذي تدلّ عليه الألفاظ.»⁽²⁾.

ثانياً: «الموسيقى النّابعة من تآلف مجموعات الموسيقى اللفظيّة حين ينظمها التّركيب في الفقرات والجمل، فالألفاظ المفردة تقرع الألفاظ المجاورة لها سابقاً ولاحقاً، وينجم عن تناسق تقارعها سلالم موسيقيّة جميلة.»⁽³⁾، فالألفاظ المفردة أو المركّبة - بتآلفها - نشأ تناغم صوتيّ لا تتمّ جماليّته إلا بتناسق أصوات الألفاظ ودلالاتها، فالكلمة «تحمل إلى جانب جرسها ووقعها في الأذن وحركة اللّسان بها إحياء بالمعنى وظلال وموسيقى، وما يُسمّيه علماء الصّوتيات بـ (الأنوموتوبيا) ويَعْنُونَ به موافقة صوت الكلمة لما هو مقصود منها.»⁽⁴⁾، فالألفاظ لها دور كبير في إنشاء الدّلالة من خلال ما يُثيره بعضها من إحياء وتخيل في ذهن السّامع، فقد تُثير اللفظة إلى جانب دلالتها العُرفيّة دلالات جانيّة يكون لها وقع كبير في نفس المتلقي، منفردة أو متألّفة مع الألفاظ الأخرى⁽⁵⁾، والدّلالات الصّوتيّة

(1) ميشال عاصي، الفن والأدب، بحث في الجماليّات والأنواع الأدبيّة، دار الأندلس للطباعة والنّشر، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ص122.

(2) طه حسين، أحمد أمين، عبد الوهاب عزّام، محمد عوض، التّوجيه الأدبيّ، المطبعة الأميريّة، القاهرة، (دط)، 1945م، ص132.

(3) ميشال عاصي، مرجع سابق، ص122.

(4) توفيق علي الفيل، الفصاحة مفهومها وبما تتحقّق، حوليات كلية الأدب، جامعة الكويت، الرّسالة السّابعة والعشرين، ج6، 1985م، ص17.

(5) ينظر: نعمة رحيم العزاويّ، النّقد اللّغويّ عند العرب حتّى نهاية القرن السّابع الهجريّ، دار الحرية للطباعة، بغداد، (دط)، 1978م، ص231.

للألفاظ قديمة في اللغة العربية وهي ليست وليدة العصر الحاضر و«إن لم يحددوا للإفصاح عنها كالتّي تستخدمها في عصر الحاضر.»⁽¹⁾

إنّ جماليّة الإيقاع وموسيقى النّص في الحديث النّبويّ من خلال صحيح البخاري ينحصر في ثلاثة أقسام وهي: الجناس والتكرار والسّجع.

أ- الجناس: في تعريفه يقول "علي جارم" و"مصطفى أمين": «الجناس أن تتشابه اللفظتان في النطق ويختلفان في المعنى.»⁽²⁾، وقال "محمد عبد المنعم خفاجي" و"عبد العزيز شرف": «الجناس هو تشابه اللفظتين في النطق واختلافهما في المعنى.»⁽³⁾، ويُسميه بعضهم التّجنيس، و"للأصمعيّ" كتاب سمّاه "الأجناس" و"لأبي عبيد القاسم بن سلام" (ت: 224هـ) كتاب هو "الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى" ذكر فيه الألفاظ المتّفقة في الشّكل والمختلفة في المعنى⁽⁴⁾، والجناس يُعتبر ثاني فن من فنون البديع عند "ابن المعتز" (ت: 296هـ) الذي عرّفه بقوله: «هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام.»⁽⁵⁾، وقد عرّفه "السكاكي" (ت: 626هـ) بقوله: هو تشابه الكلمتين في اللفظ، كما عرّفه "الخطيب القزويني" (ت: 682هـ) بقوله: الجناس بين اللفظتين هو تشابههما في اللفظ⁽⁶⁾، وعرّفه "العلوي" بقوله: «هو تفصيل من التّجانس وهو التّماتل، وإتّما سُمي هذا النوع جناسًا لأنّ التّجنس الكامل أن تكون اللفظة تصلح لمعنيين مختلفين، فالمعنى الذي تدلّ عليه هذه اللفظة هو بعينها تدلّ على المعنى الآخر من غير مخالف بينهما.»⁽⁷⁾، وقد تحدّث "علي الجندي" عن الجناس بقوله: «يُقال الجناس إلى ثلاثة أسباب:

(1) أحمد أحمد بدوي، أسس النّقد اللّغويّ عند العرب، دار نهضة مصر للطباعة والنّشر، القاهرة، (دط)، 1979م، ص455.

(2) علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، دار المعارف، ط15، 1964م، ص264.

(3) محمد عبد المنعم خفاجي، عبدالعزيز شرف، نحو بلاغة جديدة، مكتبة غريب، (دط)، 1980م، ص160.

(4) ينظر: أحمد مطلوب، فنون بلاغية البيان والبديع، دار البحوث العلميّة، الكويت، ط1، 1395هـ، 1975م، ص223.

(5) نفسه: ص222.

(6) ينظر: نفسه: ص224.

(7) أحمد شمس الدّين، المعجم المفصّل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1،

1413هـ، 1971م، ص466.

- 1- تناسب الألفاظ في الصورة كلها أو بعضها، وهو مما يطمئن إليه الذوق ويرتاح له.
 - 2- التجاوب الموسيقي الصادر من تماثل الكلمات تماثلاً كاملاً أو ناقصاً فيطرب الأذن، ويوافق النفس، يهز أوتار القلوب.
 - 3- التلاعب الأخاذ الذي يلجأ إليه المجنس لاختلاب الأذهان واختداع الأفكار. (1).
- وأنواع الجناس اللفظي:

أ- الجناس التام: ويقسم إلى أقسام وهي المماثل، المستوفي المركب.

ب- الجناس غير التام: وينقسم بدوره إلى أقسام وهي: المطلق والمذيل والمطرّف والمضارع، وهذا النوع من أنواع المحسنات البديعية واحتوته العديد من الأحاديث النبوية الشريفة، ومنها قوله ﷺ لـ "جعفر بن أبي طالب" رضي الله عنه: «أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي». (2)، وسنتطرق للعديد من الأحاديث النبوية المتضمنة للجناس الذي فيه عدول، وذلك في المباحث القادمة.

ب- السجع: إنّ صناعة تأليف الألفاظ تنقسم إلى ثمانية أقسام، هي السجع ويختص بالكلام المنثور، والتّصريح، ويختص بالكلام المنظوم، وهو داخل في باب السجع؛ لأنه في الكلام المنظوم كالسجع في الكلام المنثور والتّجنيس أو الجناس، وهو يضمّ القسمين (نثراً وشعراً)، والتّرصيع، وهو بدوره يضمّ الشعر والنثر، ولزوم ما لا يلزم، وهو يضمّ القسمين كذلك، والموازنة؛ وتختص بالكلام المنثور، واختلاف صيغ الألفاظ وهو يضمّ القسمين أيضاً، وتكرير الحروف وهو يضمّ القسمين بدوره وهو نوع من أنواع التكرار الذي سيأتي الحديث عليه لاحقاً.

السجع هو: تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد، وهناك من ذمّه واعتبره أنواع الزخرفة اللفظية (المصطنعة)، إلا أننا نتحفظ على هذا الرأي؛ فلو كان مذموماً لَمَا وجدنا القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف قد تضمنا هذا القسم من المحسنات البديعية، فهناك سور كاملة تردّ مسجوعة كسورة "الرحمن"، و"القمر"، ولم يخل ذلك بالمعنى

(1) أحمد مطلوب، مرجع سابق، ص 236.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: الصلح، باب: كيف يُكتَبُ هذا ما صالح فلان بن فلان، وفلان بن فلان، وإن لم يُنسبْه إلى قبيلته أو نسبه، رقم الحديث: 2699، ص 659).

العام للسورة، ومن السور الأخرى أيضاً سورة "طه"، فيقول ﷺ: ﴿طه ١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ السِّرُّ وَالْخَفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿طه: 1-8﴾.

ومن الأمثلة عن السجع في الحديث النبوي قوله ﷺ: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.»⁽¹⁾، وهذا ما يُؤكِّد على عدم نهي الرسول ﷺ عن قول السجع، ولكنه نهى عن سجع الكهان، وقد عدل الله تعالى ورسوله الكريم عن العديد من الصيغ المألوفة والمعروفة إلى صيغ أخرى تضمَّنت سجعاً، لتناسبها مع الكلام والسياق الذي وردت فيه الآيات والأحاديث، كقوله ﷺ عندما كان يرقى "الحسن والحسين" ولدي "فاطمة" عليهما السلام: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ.»⁽²⁾.

ولو كان السجع انتهاء الفواصل على حرف واحد كافٍ، لكان بإمكان أي شخص كالأديب أو حتى الإنسان العادي أن يُؤلف سجعاً، ولكن يجب أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حادة طنانة ترنانه لا غثة ولا باردة والمقصود بالغثة باردة أي أن صاحبها يصرف نظره إلى السجع نفسه من غير نظر إلى مفردات الألفاظ المسجوعة.⁽³⁾

ج- التكرار: لقد سبق وأن ذكرنا أن التكرار هو أحد أنواع صناعة تأليف الألفاظ، والتكرار في الاصطلاح هو: «تكرار الكلمة أو اللفظ أكثر من مرة في سياق واحد إمّا للتوكيد أو لزيادة التنبية أو التهويل أو للتعظيم أو للتلذذ بذكر المكرر.»⁽⁴⁾، «وأكثر ما يقع في

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الجهاد والسير، باب: الخيل معقود في نواصيها الخير على يوم القيامة، رقم الحديث: 2850، ص705).

(2) نفسه: (كتاب: الطب، باب: الرقى بالقرآن والمعوذات، رقم الحديث: 3371، ص832).

(3) ينظر: ابن الأثير، مرجع سابق، 1/193.

(4) ابن معصوم، مرجع سابق، 34/5، 35.

الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل.»⁽¹⁾، ويحدث التكرار بأن «يأتي المتكلم بلفظ ثم يُعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفاً، أو يأتي بمعنى ثم يُعيده، وهذا من شرط اتفاق المعنى الأول والثاني، فإن كان مُتحد الألفاظ والمعاني فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النفس، وكذلك إذا كان المعنى مُتحدًا وإن كان اللفظان متفقين والمعنى مختلفاً فالفائدة في الاتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين.»⁽²⁾، فهو- التكرار - «تقنية معقدة تحتاج إلى تأمل طويل يضمن رصد حركيتها وتحليلها.»⁽³⁾.

والتكرار أنواع وهي:

1- تكرار الصوت: ويُقصد به تكرار الحرف وتكراره يُحدث نوعاً من الإيقاع والموسيقى، ومن الحروف المكررة حرف الهمزة الذي نجده في قوله ﷺ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرْقُ أَفْنِدَةٌ وَأَلْيَنُ قُلُوبًا.»⁽⁴⁾.

2- تكرار اللفظة: هذا النوع من التكرار ورد وبشكل كبير في الحديث النبوي كقوله ﷺ: «لَمَعَاذِ ابْنِ جَبَلٍ» عندما كان يصلي العشاء مع الجماعة ثم ينصرف فيصلي بأهله العشاء بـ"سورة البقرة": «فَتَّانُ فَتَّانٌ أَوْ قَالَ: "فَاتِنَا فَاتِنَا" وَأَمْرَهُ بِسُورَتَيْنِ مِنْ أَوْسَطِ الْمَقْصِلِ...»⁽⁵⁾.

3- تكرار الجملة: إذا كان لتكرار الكلمة، أو العبارة أثر في الإيقاع، فالجملة بدورها لها أثر في موسيقى النص؛ لأنها عبارة عن كلماتٍ أو عباراتٍ متألّفة، مع بعضها بعضاً، والجملة قد تكون اسمية، كما يمكن أن تكون فعلية ومن التّماذج لتكرار الجملة في صحيح البخاري عندما وجد الرسول ﷺ "عليًا بن أبي طالب" كرم الله وجهه وهو مضطجع في

(1) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، شرح وضبط: عفيف نايف حاطوم، دار صادر، لبنان، (دط)، 1424هـ، 2003م، 73/2.

(2) أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، ط1، 1989م، 370/1.

(3) نائر عبد المجيد العذاري، الإيقاع في الشعر العربي الحديث في العراق، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية التربية، 1989م، ص218.

(4) صحيح البخاري: (كتاب: المغازي، باب: قدوم الأشعريين وأهل اليمن، رقم الحديث: 4388، ص1074).

(5) نفسه: (كتاب: الأذان، باب: إذا طوّل الإمام، وكان للرجل حاجة، فخرج فصلّى، رقم الحديث: 701، ص175).

المسجد، وقد سقط رداؤه عن شقه، فجعل ﷺ يمسح عنه التراب ويقول: «قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ». (1).

4- تكرار العبارة: للعبارة المكررة أثر جمالي نابع من بنية تكرارها، ومن أمثلتها في رؤية هلال رمضان وأيضاً هلال شوال (العيد) قوله ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَصُومُوا وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا». (2)، حيث كُرِّرَتْ عبارة: "إذا رأيتموه".

5- تكرار الصيغة: ومنها قوله ﷺ: «اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ». (3)؛ حيث كُرِّرَتْ صيغة:

اطَّلَعْتُ فـ..... فـ رأيت أكثر أهلها....

فعل ماضٍ + حرف جر (في) + اسم مجرور + حرف عطف (الفاء) + فعل ماضٍ + اسم تفضيل + اسم (أهلها) + اسم.

6- التكرار المقلوب: وهو أن يذكر الرسول ﷺ جملة ثم يعيدها بصيغة معكوسة كقوله ﷺ: «وُقِيَتْ شَرَكُمْ كَمَا وُقِيْتُمْ شَرَهَا». (4).

هذه أقسام الإيقاع الموجودة في الحديث النبوي، وهناك أحاديث نبوية تضمنت عدولاً صرفياً الإيقاع فيه لأجل الإيقاع أو ذو الأثر الإيقاعي المحض وهو المبحث الآتي:

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الصلاة، باب: نوم الرجال في المسجد، رقم الحديث: 441، ص 119).

(2) نفسه: (كتاب: الصوم، باب: هل يُقال رمضان أو شهر رمضان، ومن رأى كله واسعاً، رقم الحديث: 1900، ص 450).

(3) نفسه: (كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم الحديث: 3241، ص 802).

(4) نفسه: (كتاب: جزاء الصيد، باب: ما يقتل المحرم من الدواب، رقم الحديث: 1830، ص 815).

المبحث الأول

العدول الصرفي ذو الأثر الإيقاعي
المحض.

1- السجع

2- الجناس

3- التكرار

نذكر في هذا المبحث مجموعة من النماذج للمعدول الصّرفي في الصّور البديعية في الخطاب النبويّ من خلال صحيح البخاري، والتي احتوت عدولاً؛ الغاية منه الإيقاع بغض النظر عن نوع العدول الذي تضمّنّه (سواء أكان في الأسماء أو الأفعال أو المصادر أو المشتقات أو حتّى بين كل اثنين منهما)؛ مع الإشارة إلى اللفظ أو الألفاظ المعدول عنها، وإبراز القيمة الجماليّة للفظه المعدول إليها فـ «حُسْنُ التّأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاءً وحسناً ورونقاً، حتى كأنّه قد أحدث فيه غرابة لم تكن، وزيادة لم تُعهد.»⁽¹⁾

1- السّج:

هناك العديد من الأحاديث النبويّة المسجوعة والتي كان فيها السّج لتحقيق أثر إيقاعيّ بحت ومنها:

(1)- حدّثنا آدم حدّثنا شعبة حدّثنا أبو إياس معاوية بن قرّة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا عَيْشَ إِلَّا عَيْشَ الآخِرَةِ، فَأُصْلِحِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ.»⁽²⁾

إنّ السّج وقع في كلمتي "الآخرة"، و"المهاجرة" حتى أنّ حديث الرّسول صلى الله عليه وآله يكاد يكون بيتاً شعرياً، وقد عدل الرّسول صلى الله عليه وآله عن كلمة "المهاجرين" إلى كلمة "المهاجرة"؛ حتى تتناسب والإيقاع مع كلمة الآخرة، فانتهت كل صورة بديعية للكلمتين بالمقطع (ص ح + ص ح ص)، أمّا كلمة المهاجرين فتنتهي بالمقطع (ص ح + ص ح ح ص)، والذي لا يتناسب مع المقطعين السابقين، ولا يخدم روح الإيقاع الذي نأمله من السّج، فكأنّي بالرّسول صلى الله عليه وآله عدل عن صيغة جمع المذكر السّالم إلى صيغة المفرد المؤنث، ولكن رغم تغيّر الصّيغة إلا أنّ المعنى ظل كما هو؛ بل يفهم من الوهلة الأولى أنّ المقصود بالكلام "المهاجرون"، فالسّج في الحديث النبويّ كان استعماله مميّزاً، «حتّى أنّ بنية بعض الكلمات جاءت مختلفة عن أصلها اللّغويّ لتتنغم سجعياً مع قرائنها في التّعبير؛ ما بيّن اهتمام النبيّ صلى الله عليه وآله بهذا التّشكيل الإيقاعيّ المهم في التّأثير على المستمع وتفاعله مع النّص، وهذا لا يعني مجيئه متكلّفاً

(1) الأمدّي، الموازنة بين أبي تَمّام والبحرّي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة محمود توفيق، القاهرة، (دط)، 1362هـ، 1944م، ص381.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: مناقب الأنصار، باب: دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله: «أُصْلِحِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ»، رقم الحديث: 3795، ص930).

متصنعا، ثقيلًا، تمجّه الأذواق الفنيّة؛ بل على العكس من ذلك تمامًا، فقد جاء عفويًا نابعا من الحس الفطريّ الأصيل.»⁽¹⁾، فالرسول ﷺ عندما استعمل العدول الصّرفي لم يتخذ كوسيلة للتّمييق وزخرفة كلامه، فهو أرفع وأجلّ من أن ينتهج هذا الأسلوب.

(2) - حدّثنا علي بن عبد الله قال: حدّثنا سفيان قال: حدّثنا سليمان بن أبي مسلم عن طاووس سمع ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهدّد قال: «اللّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنْبِتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفُزْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَوْ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ.»⁽²⁾، في بداية حديثه ﷺ نجد تكرارًا لكلمات "السّماوات والأرض ومن فيهن"، وكذلك كلمة "الحق" أو "حق" إلا أنّ السّجع الذي وجدناه كان في الشّطر الثاني من الحديث في الصّور البديعيّة الآتية:

(... أسلمتُ،...آمنتُ،...توكلتُ،... أنبتُ،... خاصمتُ،... حاكمتُ،... ما قدّمتُ،... أخرّتُ،...أسررتُ،...أعلنتُ)، فكانت جميعها تنتهي بالمقاطع (ص ح + ص ص ح) على غرار أسلمتُ، آمنتُ، أنبتُ، خاصمتُ، حاكمتُ، أسررتُ، أعلنتُ، والمقاطع (ص ص ح + ص ص ح)، كما هو الحال في "قدّمتُ"، "أخرّتُ"، فلو أنّ الرسول ﷺ جعل الأفعال الموجودة في زمن المضارع كالفعل "خاصمتُ" أو "حاكمتُ" -وهو جائز- كأن يقول "أخاصم" و"أحاكم"، ولكن طالما أنّ الفعلين المضارعين لا يُحققان إيقاعًا عدل عليهما ﷺ إلى الماضي منهما؛ ليضمّن الإيقاع المأمول، وكذلك يجوز التّقديم والتّأخير كـ"لك أسلمتُ" و"لك آمنتُ" فيمكن أن تردّا بصيغة "أسلمتُ لك"، و"بك آمنتُ" ولكن ما دام هذا التّقديم والتّأخير هو بدوره لا

(1) حازم كريم عبّاس، القيم الجماليّة في الحديث النبويّ الشّريف، دكتوراه فلسفة في اللّغة العربيّة /أدب، جامعة القادسيّة، العراق، 1432هـ، 2012م، ص19.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: التّهجد، باب: التّهجد بالليل وقوله ﷺ: «وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ» (الإسراء: 79)، رقم الحديث: 1120، ص272).

يُحَقِّقُ الغاية المنشودة أعرض عنه الرسول ﷺ حتَّى يضمن إنصافًا من قِبَل السَّامِعِينَ، فهذا الإيقاع «ليس نغمات مُكررة فقط بل هي تصوير نحو المعنى طلبًا للتواصل المستمر بين المُخاطَب والموضوع.»⁽¹⁾

(3)- حدَّثنا يعقوب بن إبراهيم حدَّثنا إسماعيل بن عليّة حدَّثنا خالد الحذاء عن ابن أشوع من الشَّعْبِيِّ حدَّثني كاتب المغيرة بن شعبة قال: كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة أن اكتب إليّ بشيء سَمِعْتُهُ من النَّبِيِّ ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قَيْلٌ وَقَالَ، إِضَاعَةُ الْمَالِ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ.»⁽²⁾، فالسَّجْع ورد في الكلمات: "قال"، "المال" و"السؤال"، وهي ذات النِّهَائِيَّاتِ المقطعيّة (ص ح ح ص)؛ لذلك وظَّفها الرسول ﷺ لتحقِّق إيقاعًا موسيقيًّا، لم تكن لتحقِّقه الكلمات المعدول عنها؛ "الأموال" ذات النِّهَائِيَّةِ المقطعيّة (ص ح ح ص) والمتوافقة مقطعيًّا مع كلمة "المال" و"كثرة الأسئلة" ذات النِّهَائِيَّةِ المقطعيّة (ص ح ص)، أو "التَّسْوُل" ذات النِّهَائِيَّةِ المقطعيّة (ص ح ص)، كما أنّ كلمة "السؤال" أعمّ وأشمل فقد تعني طرح الأسئلة أو التَّسْوُل، وهذا ما يَخْلُقُ جملاً موزونة متشابهة النِّهَائِيَّاتِ «تبعث في نفوسنا موجة من التَّوَقُّع تأخذ في الدَّوران، فتوجد ذبذبات عاطفيّة على نحو غريب.»⁽³⁾، فهذه جماليّة السَّجْع وما يُحدِّثه من إيقاع موسيقيّ عذب.

(4)- حدَّثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك بن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنّ رسول الله ﷺ كان إذا قَفَلَ من غزو أو حجّ أو عمرة يُكَبِّرُ على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ثمّ يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيْبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، سَاجِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ.»⁽⁴⁾

(1) منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد، منشأة المعارف الإسكندرية، ط1، 1986م، ص23.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: الزكاة، باب: قول الله تعالى: «لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا» (البقرة:273)، رقم الحديث: 1477، ص360).

(3) ريتشاردز، مبادئ النقد الأدبي، ترجمة: مصطفى بدوي، مراجعة: لويس عوض، سهير القلماوي، إشراف: جابر عصفور، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005م، ص194.

(4) صحيح البخاري: (كتاب: العمرة، باب: ما يقول إذا رجع من الحجّ أو العمرة أو الغزو، رقم الحديث: 1797، ص433).

هناك مجموعتان من الجمل المسجوعة، وكل مجموعة تنتهي بمقطع يختلف عن الآخر، فالمجموعة الأولى ذات المقطع (ص ح + ص ح + ص ح ح ص) للكلمات (آيبون، تائبون، عابدون، ساجدون، ... حامدون)، أما المجموعة الثانية ذات المقطع (ص ح ص + ص ح ص) للكلمات (... وعده... عبده... وحده)، ففي المجموعة الأولى هناك مجموعة من أسماء الفاعل والتي حققت إيقاعاً موسيقياً، وكان العدول في جملة "ولربنا حامدون"، فعدل عن جملة "حامدون لله" أو "حامدون لربنا" لنتناسب وإيقاع بنية الأسماء، ولكن قد يظن بعض السامعين أنّ كلمة "لربنا" يُمكن الاستغناء عنها لأنها أضيفت، ولكن هناك حكمة من إضافتها؛ فالحامدون جاءت كآخر كلمة في المجموعة الأولى؛ لتدلّ على أنّ بقية أسماء الفاعل هي متعلقة بالله ﷻ فـ"لربنا تائبون" و"لربنا عابدون" و"لربنا ساجدون"؛ إلا أنّ تكرار "لربنا" يحدث نوعاً من النّقل في الكلام والسّجع جيء به لسلاسة وسهولة وبساطة الكلام، وهذا ينطبق أيضاً على المجموعة الثانية التي حدث فيها كذلك عدول، فهذا «التنوع والانسجام الإيقاعي والتناسق الصوتي يكشف عن أهمية دور الحركة الصوتية في تشكيل إيقاع النص». (1)، فالتنوع في الإيقاع يدلّ على عبقرية صاحبها وخاصة إذا تعلق الأمر بالرسول ﷺ الذي لم يُنكر السّجع بل مارسه عملياً لما «يحسن موقعه في الأذن وتأثيره في النفس، وسحره للعقل وسهولته في الحفظ». (2).

المجموعة الثانية (... وعده... عبده... وحده) ورد فيها عدول في كلمة "عبده"، فالمجموعة الأولى جاءت على صيغة اسم الفاعل لجمع المذكّر للدلالة على الرسول ﷺ والصّحابة ﷺ، في الوقت الذي وردت فيه كلمة "عبده" مفردة لنتناسب مقطعيّاً مع الكلمتين: "وعده" و"وحده"، ولتدلّ أنّ الصّحابة نُصروا لأنّ الرسول ﷺ معهم، والصّيغة المعدول عنها "عباده" لا تُحقّق الغرضين فهي ذات التّركيب المقطعي:

(ص ح + ص ح ح + ص ح ص).

(1) ابتسام أحمد حمدان، مرجع سابق، ص 153.

(2) عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية للطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ص 131.

(5)- حدّثنا صدقة بن الفضل أخبرنا ابن عيينة عن عبد ربه بن سعيد عن عمرة عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقول في الرقية: «بِاسْمِ اللَّهِ تَرْبَةُ أَرْضِنَا، وَرِيقُهُ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا.»⁽¹⁾، جاءت النهايات المقطعية للحديث النبوي على الصورة الآتية:

- أرضنا ← (ص ح ص + ص ح ح ح).
- بعضنا ← (ص ح ص + ص ح ح ح).
- سقيمنا ← (ص ح ح ح + ص ح ح ح).
- ربنا ← (ص ح ص ص + ص ح ح ح).

رغم بعض الاختلاف في كلمتي "سقيمنا" و"ربنا" إلا أنّ المقطع الأخير كان مطابقاً لبقية مقاطع الصور البديعية الموجودة في الحديث النبوي، وكان بإمكان الرسول ﷺ أن يقول: «بإذن الله» أو «بإذن ربي» لأنه هو الذي يرقّي بدلاً من «بإذن ربنا»، فالرسول ﷺ عندما وظّف السجع الذي أحدث إيقاعاً كان له أثر فني يُحدِثُه النص في النفس من خلال نشوء حركة انحرافية داخل النص تتحول بها العناصر من وسائل دلالية إلى إشارات فنية تقيم أمامها وبين يديها ما نُسميه (بالإيقاع الإشاري)، وهو فاعلية فنية تُحدثها بعض النصوص ينتقل فيها المتلقي - مع النص - من حالة الوعي إلى حالة الهيام... أي الانتقال من حالة العقل ومعاييره، ومعها المعاني إلى حالة الرّوح والحلم والهيام.⁽²⁾ فالإيقاع هو خروج من الوعي إلى اللاوعي، وهنا تكمل جماليته.

يقول الشيخ "عبد الحميد ابن باديس" (1889-1940م) -رحمه الله- في تفسير هذا الحديث: عجبْتُ لأمر علماء الحديث كيف يُدرِجُونَ هذا الحديث ضمن أحاديث الطّب النبوي ولا يَسْتَشْهَدُونَ به في حب الأوطان، وهو الذي اكتوى بنار الاحتلال والظلم والطغيان الاستعماري.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الطّب، باب: رقية النبي ﷺ، رقم الحديث: 5746، ص 1454).

(2) عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير، من النبوية إلى التشريحية (قراءة نقدية لنموذج معاصر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 4، 1998م، ص 294.

السابقة لها (البلاء، الشقاء، القضاء) كلمات مفردة ، ولكن لما كانت كلمة "العدو" من الشكل المقطعي (ص ح ص + ص ح + ص ح ص)، فكان الإعراض عنها من باب أولى، و«قد أدى استخدام المدّات أي (الحركات الطويلة) التي تُحقّق نوعاً من التّطريب (بالمعنى اللّغويّ الأصلي لهذه اللفظة)»⁽¹⁾.

8- حدّثنا عبدان أخبرني أبي عن شعبة حدّثنا أبو إسحاق عن البراء بن عازب قال: كان النّبي ﷺ ينقل معنا التّراب يوم الأحزاب، ولقد رأيته وارى التّراب بياض يقول: «لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا وَأَنْزَلَ سَكِينَةً عَلَيْنَا، إِنَّ الْأَلَى، -وَرُبَّمَا قَالَ-: إِنَّ الْمَلَاقِدَ بَغَوَا عَلَيْنَا، إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبِينَا أَبِينَا يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ.»⁽²⁾، إنّ التّركيبة المقطعية للصّور البديعية في هذا الحديث جاءت كالآتي:

اهتدينا: (ص ح ص + ص ح ص + ص ح ح)، صلينا: (ص ح ص + ص ح ص + ص ح ح)
 علينا: (ص ح ح + ص ح ص + ص ح ح)، أبيننا: (ص ح ح + ص ح ص + ص ح ح)
 ح)، فهناك تطابق شبه كليّ بينها، وإن كان هناك اختلاف بسيط في بداية المقاطع؛ فهناك ما جاءت على شكل (ص ح ص) وأخرى من الشكل (ص ح)، ولكنه لم يُؤثّر لا على الوزن أو القافية، حيث أنّ البراء ﷺ قال بأنه سمع الرسول ﷺ يرتجز فكان الحديث بهذا الشكل:

لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
 فأنزلن سكينه علينا إن الألى قد بغوا علينا

إذا أرادوا فتنة أبيننا

فالوزن الذي جاء عليه كلام الرسول ﷺ «شأنه شأن الإيقاع ينبغي ألا نتصوره على أنه في الكلمات ذاتها أو في دقّ الطّبول -فليس الوزن في المنبه وإنما هو في الاستجابة التي يتألف منها الإيقاع نسقاً أو نمطاً زمنياً معيناً، ولا يرجع تأثير الوزن... ندرك نمطاً في شيء ما خارجنا، وإنما إلى كوننا نحن قد تحقّق فينا نمط معين، أو قد ينسقنا على نحو خاص-

(1) حسني عبد الجليل يوسف، موسيقى الشّعر، دراسة فنيّة عروضيّة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، (دط)، 1989م، 245/1.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: التّمني، باب: قول الرّجل لولا الله ما اهتدينا، رقم الحديث: 7236، ص1788).

2- الجناس:

من الأحاديث النبوية التي اشتملت جناساً ذا الأثر الإيقاعي المحض مايلي:

- حدّثنا موسى بن إسماعيل حدّثنا عبد الواحد حدّثنا عمارة بن القعقاع حدّثنا أبو زُرعة حدّثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: «أَنْ تُصَدِّقَ وَأَنْتَ صَاحِبُ شَحِيحٍ تَخْشَى الْفَقْرَ، وَتَأْمَلُ الْغِنَى، وَلَا تَمَهِّلَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ الْحَقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ...»⁽¹⁾، هناك جناس في كلمتي "صحيح" و"شحيح" وقد وردا على وزن "فَعِيل"، والبناء الموسيقيّ الإيقاعيّ لهما من نوع:

(ص ح + ص ح ح + ص ح)، (ص ح + ص ح ح + ص ح)، فهما متوافقتان مقطعيًا، والمقصود بهذا الحديث «التّريغيب في المبادرة قبل هجوم المنية وفوات الأمانة، والمراد بالصحة في الحديث من لم يدخل في مرض مُخَوِّفٍ فيتصدق عند انقطاع أمله من الحياة... ولما كانت مجاهدة النفس على إخراج المال مع قيام مانع الشُّحِّ دالاً على صحة القصد وقوة الرّغبة في القربة كان ذلك أفضل من غيره... لما كان الشُّحُّ غالباً في الصّحة فالسّماح فيه بالصدقة أصدق في النية وأعظم للأجر.»⁽²⁾

لقد عدل الرسول صلى الله عليه وسلم عن صيغة اسم الفاعل "مُشِحٌّ" ذات التركيب المقطعيّ من نوع:

(ص ح + ص ح ص + ص ح)، والتي تختلف مقطعيًا عن كلمة "صحيح" الأمر الذي يحول دون تحقيق جناس يصبغ الحديث النبويّ حلة جمالية تُشدُّ الأذن لسماعه.

3- التكرار:

من الأحاديث التي احتوت تكراراً تضمّن عدولاً صرفياً ذا أثر إيقاعيّ محض مايلي:

- حدّثنا علي بن عبد الله حدّثنا ابن مهدي عن سفيان عن سلمة عن كُريب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بثُّ عند ميمونة، فقام النبي صلى الله عليه وسلم فأتى حاجته فغسل وجهه ويديه، ثم نام ثم قام فأتى القربة فأطلق شناقها، ثم توضأ وضوءين لم يُكثِرْ وقد أبلغ، فصلى فقمتُ فتمطيتُ كراهية أن يرى أنّي كنتُ أتقيه فتوضأتُ، فقام يُصلي فقمتُ عن يساره... وكان

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الزكاة، باب: فضل صدقة الشَّحيح الصَّحيح، رقم الحديث: 1429، ص344، 345).

(2) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 3/35.

يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا...»⁽¹⁾، في حديث الرسول ﷺ تكرر للفظ نور ذات مقطع مفتوح النهاية (ص ح ح + ص ح ح)، وقد عدل الرسول ﷺ عن صيغتي الجمع: "اجعل في جميع حواسي أو جوارحي نورًا، وفي كل ما حولي نورًا" - رغم أنها تتفق في نهاية المقطعية - إلى صيغ المفرد: "اجعل في قلبي نورًا، وفي بصري نورًا، وفي سمعي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، وفوقي نورًا، وتحتي نورًا، وأمامي نورًا، وخلفي نورًا؛ لأنّ التكرار كان قصيرًا، وجمله كانت طويلة، فلم تخدم الصيغ المعدول عنها الغاية المطلوبة من التكرار، فد«تكرار كلمات معينة له دور إضاءة التجربة وتعميقها، إذ يُشير الإلحاح على بعض الكلمات - داخل تراكيب ثابتة أو متغيرة - إلى أشياء لا تستطيع التجربة»⁽²⁾ الأدبية إلى الإيحاء بها، والرسول ﷺ عندما كرر كلمة "نور" ليؤكد أهميتها وقيمتها في حياته ﷺ، ورغم أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ إلا أنه أراد أن يبين بأنه لا يمكن الاستغناء على الله ﷻ، وذلك بالدعاء للهداية، ونور الإيمان الذي يعتبره دليلاً ومرشداً في الحياة، وعلينا التأسّي به والإكثار من الدعاء والإلحاح في الطلب؛ خاصة إذا تعلق الأمر بشيء عظيم كالنور الذي تزول بحضوره ظلمات الكفر والضلال والتمرد والتمرق عن الملة، والجموح والجنوح عن سبيل الهداية.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الدعوات، باب: الدعاء إذا انتبه بالليل، رقم الحديث: 6316، ص 1576).

(2) صالح أبو أصعب، ظاهرة التكرار في الشعر الحر، مجلة الثقافة العربية الليبية، العدد 3، 1978م، ص 34.

المبحث الثاني

العدول الصرفي الذي يجمع بين الدلالة والإيقاع.

1- السجع

2- الجناس

3- التكرار

نُقَدِّمُ في هذا المبحث مجموعة من الأحاديث النبوية الموحدة في صحيح البخاري، والتي تجمع بين الأثر المعنوي والإيقاعي، وهذا لا يكون إلا بتوظيف صيغ والعدول عن أخرى لا تُحَقِّقُ الغاية المزدوجة، فلألفاظ دور كبير في إنشاء الدلالة من خلال ما يُشيرها بعضها من إحياء في ذهن السامع، فالى جانب دلالتها العرفية، لها دلالات جانبية يكون لها وقع كبير في نفس المتلقي، منفردة أو متألّفة مع ألفاظ أخرى⁽¹⁾، فالألفاظ التي يُطلقها الإنسان، ليست أصواتاً محضة، وإنما هي أصوات دالة⁽²⁾؛ حيث «نتخذها كوسيلة للتعبير عن الدلالات أو الخواطر التي تجول بأذهاننا.»⁽³⁾، فالألفاظ سواء أكانت حروفاً أو كلمات منفردة، أو متألّفة مع غيرها لها دلالات متجدّدة، قد تُفهم بمراد نُطقها، أو بعد التّحريض فيها، وهذه الدلالات المُستهدفة لم تكن لتُحَقِّقها الصّيغ المعدول عنها، ومن هذه النّمادج العديدة الموجودة في صحيح البخاري نُورِدُ مايلي:

1- السّجع:

(1)- حدّثنا الحسن بن عبد العزيز حدّثنا يحيى بن حسان حدّثنا قريش هو ابن حيان عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سيف القين - وكان ظنّاً لإبراهيم رضي الله عنه - فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم رضي الله عنه وشمّه ثم دخلنا عليه بعد ذلك - وإبراهيم يجود بنفسه- فجعلتُ عينا رسول الله تذرّفان فقال له عبد الرّحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «يَا بَنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ. ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ" رَوَاهُ مُوسَى عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ الْمُغِيرَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم»⁽⁴⁾، حيث قال: "تدمع"، "يحزن" ولم يقل: "دامعة"، "حزين".

(1) ينظر: نعمة رحيم العزاوي، مرجع سابق، ص 231.

(2) ينظر: ماهر مهدي هلال، جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهوريّة العراقيّة، دار الرّشيد للنشر، (دط)، 1980م، ص 285.

(3) إبراهيم أنيس، طرق تنمّية الألفاظ في اللّغة، مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة، (دط)، 1387هـ، 1967م، ص 5.

(4) صحيح البخاري: (كتاب: الجنائز، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ»، رقم الحديث: 1303، ص 315).

• المعنى:

هذا الحديث النبوي قيل في أحلك الظروف التي مرّ بها الرسول ﷺ في حياته؛ بل وأشدّها إيلاماً حتى أنّ الألفاظ التي اختارها تُوجي بهذا الجو الكئيب والمتمثل في فقدته لفلذة كبده "إبراهيم" عليه السلام، ومن هذه الألفاظ "تدمع" و"يحزن" و"محزونون"، ورغم ذلك فقد كان ﷺ راضياً قانعاً بقضاء الله وقدره، مُستسلماً لإرادته، فله ما أعطى وله ما أخذ، وهذا من خلال قوله: "ولا نقول إلا ما يُرضي ربنا"، كما نجد في كلامه ما يدلّ على جواز بكاء الرّحمة على الميت دون مبالغة في ذلك، وقد حاول الرسول ﷺ أن يُصبر نفسه عن ما ألمّ به، وذلك في حديث آخر بقوله: «إِنَّ لَهُ مُرَضِعًا فِي الْجَنَّةِ». (1).

• الإيقاع:

- التّركيب المقطعيّ للفظه "تدمع" هو: (ص ح ص + ص ح ص).

- التّركيب المقطعيّ للفظه البديلة "دامعة" هو: (ص ح ح + ص ح + ص ح ص).

- التّركيب المقطعيّ للفظه "يحزن" هو: (ص ح ص + ص ح ص).

- التّركيب المقطعيّ للفظه البديلة "حزين" هو: (ص ح ص + ص ح ح ص).

فلنحظ الاختلاف في التّركيب المقطعيّ للكلمتين الواردتين في الحديث النبويّ مع اللَّفظتين البديلتين، ومن جهة أخرى نجد التّوافق في التّركيب المقطعيّ للفظتي: "تدمع" و"يحزن"، فجاءت الكلمتان مسجوعتين، والسّجع هو «تواطؤ الفاصلتين في النّثر على حرف واحد». (2)، أي اتقاق الحرف أو الوزن أو فيهما معاً وهذا الإيقاع المتكرّر يجعل السّامع مُنجذباً فينشأ عنده نوع من التّجاوب (3).

إذن فالسّجع ليس بالضرورة أن يكون اتقافاً في الحرف والوزن معاً، وإنّما يكفي أن يكون في أحدهما وهو ما تحقّق في هذا الحديث من خلال التّوافق المقطعيّ بين كلمتي: "تدمع" و"يحزن".

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المسلمين، رقم الكتاب: 1382، ص 333).

(2) القزويني، مرجع سابق، 106/6.

(3) ينظر: عبد القادر حسين، فن البديع، دار غريب للطباعة والنّشر، ط1، 2009م، ص 127.

(2)- حدّثنا قتيبة، حدّثنا عبد الواحد عن عمارة بن القعقاع بن شبرمة، حدّثنا عبد الرحمن بن أبي نُعم قال: سمعتُ أبا سعيد الخدريّ يقول: بعث علي بن أبي طالب عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل من تراب، قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عُبَيْنة بن بدر، وأقرع ابن حابس، وزيد الخيل، والرابع إمّا علقمة، وإمّا عامر بن الطفيل فقال رجل من أصحابه: كُنّا نحن أحقّ بهذا من هؤلاء، فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: «ألا تأمنوني وأنا أمينٌ من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً، فقام رجلٌ غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كثر اللحية، مخلوق الرأس، مشمر الإزار فقال: يا رسول الله اتق الله قال: ويلك؛ أو لستُ أحقّ أهل الأرض أن يتقي الله؟ قال: ثمّ ولّى الرجل...»⁽¹⁾، فالرسول صلى الله عليه وآله قال: "يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً" ولم يقل: "يأتيني خبر السماء في الصباح والمساء".

• المعنى:

عندما تقرأ كلام الرسول صلى الله عليه وآله يتبادر إلى ذهنك وللهولة الأولى العديد من المعاني فقد يكون يقصد بعبارة من في السماء ذات الله صلى الله عليه وآله أو الملائكة عليهم السلام، وذلك لأن «معاني الحديث الواحد كثيرة متنوعة.»⁽²⁾، ولكننا نستبعد أن يكون المقصود بذلك الله صلى الله عليه وآله - وإن أريد كذلك بمعناه الذي هو رفيع القدر جدًا- وما يُشبه ذلك الحديث الذي رواه "أبو ذر الغفاري" أن الرسول صلى الله عليه وآله قال: «أطت السماء وحقّ لها أن تئطّ ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملكٌ ساجد.»⁽³⁾، فالرسول صلى الله عليه وآله مؤتمن مصدق عند الملائكة، ويعتقدون أنه أمين صادق في إبلاغ الوحي، لذلك كان السؤال الذي طرحه صلى الله عليه وآله: "ألا تأمنوني؟ وأنا أمين"، كان لغرض بلاغي إنكاري، فلا يُعقل ألا نأتمن ونثق في الرسول صلى الله عليه وآله وهو المؤيّد بالوحي من طرف الله تعالى، فأراد الرسول صلى الله عليه وآله بذلك (التذكير) بالمكانة التي يحظى بها.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: المغازي، باب: بعثت علي بن أبي طالب عليه السلام، وخالد بن الوليد عليه السلام، إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم الحديث: 4351، ص 1065).

(2) محمد صباغ، مرجع سابق، ص 59.

(3) أحمد بن حنبل، المسند (كتاب: تخريج أحاديث أبي ذر الغفاري عليه السلام، باب: حديث أبي ذر الغفاري عليه السلام، رقم الحديث: 21516، 405/35)، حقّق وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1421هـ، 2001م.

إنَّ الرَّسُولَ ﷺ حينما قال حديثه جعل أفكار السَّامِعِينَ مشوَّشةً، وهذا ما يُؤكِّد قدرته ﷺ الخلاقَة والتي جعلتْنا حائرين، عاجزين على الإتيان بمثل كلامه، وهذا دون إغفال الوجه الجماليّ الإيقاعيّ للحديث، والذي استطاع ﷺ بعدوله أن يُحقِّق سجعًا بين كلمتي: "السَّماء" الأولى و"مساء".

• الإيقاع:

- النِّهاية المقطعيَّة لكلمة "السَّماء" هي: (... + ص ح + ص ح ح ح ص).

- النِّهاية المقطعيَّة لكلمة "مساء" هي: (... + ص ح + ص ح ح ح ص).

- النِّهاية المقطعيَّة للكلمة البديلة "المساء" هي: (... + ص ص ح + ص ح ح ح ص)، فكلمة "المساء" تختلف مقطعيًّا عن كلمة "السَّماء" رغم أنَّها تتفق معها صرفيًّا كونهما معرفتين، وقد استبدلها الرَّسُولُ ﷺ بالكلمة الأنسب "مساء"، وهو الأمر الذي حقَّق إيقاعًا يبعث في نفس المتلقي إحساسًا بالمتعة وشعورًا بالتوقع فهْيِيٌّ لديه توالد المعاني وانسياب الألفاظ المناسبة لها بطريقة موسيقيَّة، فالنَّص الأدبيّ يستعين بالموسيقى الإيقاعيَّة التي تحل محل الموسيقى الشعريَّة في النَّصوص الشعريَّة، وذلك للتعبير عما تشعر به.

2- الجناس:

(1)- حدّثنا أبو الوليد حدّثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي.»⁽¹⁾، فهناك جناس في كلمتي: "أغضبها" و"أغضبني" إذ لم يقل: "يُغْضِبُهَا يُغْضِبُنِي".

• المعنى:

وقد عدل عن هذه الصّيغ لا لأنها لا تُؤدي المعنى المنشود؛ خاصة إذا تعلق الأمر بامرأة ليست كبقية النساء؛ بل هي سيّدة نساء المؤمنين، وابنة سيّد الخلق أجمعين، وتوظيف الفعل الماضي في هذا الموقف أنسب لأنه يدلّ على تأكيد حصول الفعل في المستقبل، فالكلام صادر عن الرّسول ﷺ؛ فهو يعلم يقيناً أنّ السيّدة فاطمة-عليها السّلام- ستعرض للأذى الذي سيؤدي إلى غضبه عليه السلام، فوظّف عبارتي: "أغضبها" و"أغضبني" فهما أكثر ملاءمة، إضافة إلى ذلك فإنّ ورود كلمتين متجانسين مشتقين من مصدر "الغضب" يدلّ وبشكل لا يدع مجالاً للشك بأنّه ﷺ في شدة الغضب وعمق الانفعال، فهو ساخط وأعصابه تائرة لما حلّ بابنته لعدة أسباب أولها: أنّها ابنته والآباء يُضحّون بأيّ شيء في سبيل إسعاد أبنائهم؛ بل ويحاولون بشتى الطرق إزالة ما يُكدر حياتهم، فكل ما يتسبب في حزن أو ألم الأبناء يُحزن ويؤلم الآباء بشكل أكبر، وثانيها: أنّ "فاطمة الزّهراء"-عليها السّلام- شكّت لوالدها ما حلّ بها، فطبيعيّ أن يُحاول وبمختلف الأساليب رفع الضّرر الذي لحق بها، وثالثها: الضّرة التي ستأتي من تكون؟ إنّها ابنة عدو الله "أبي جهل"، كما ذكر ذلك في حديث آخر عندما جاءت "فاطمة" عليها السّلام لتُخبر أباها عليه السلام، فيرد ﷺ على "علي"-كرم الله وجهه- قائلاً: «... إنّ فاطمة بضعة مني، وإنّي أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله عند رجلٍ واحدٍ». فترك "علي" الخطبة⁽²⁾.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب قرابة رسول الله ﷺ، ومنقبة فاطمة عليها السّلام بنت النبي ﷺ، رقم الحديث: 3714، ص 924).

(2) صحيح البخاري: (كتاب: فضائل الصحابة، باب: ذكر أصحاب النبي ﷺ، منهم أبو العاص بن الربيع، رقم الحديث: 3729، ص 917).

ما دام الحديثان قبلا في الوقت نفسه فقد عبّرَا عن الحالة النفسية الانفعالية والسّاخطة لرسول الله ﷺ؛ لذلك أكثر من استعمال حرف الهمزة في الكلمات "إني أكره أن يسوءها" حيث أنّ «الأوتار الصوتية عند نطقها تكون في وضع بين بين، أي بين الانغلاق والانفتاح»⁽¹⁾، ويُسمى انفجارياً لأنّ في نطقه «تتبدل الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين حال النطق بهمزة القطع، وذلك بانطباق الوترين أدنى الحنجرة، انطباقاً تاماً، فلا يسمح للهواء بالمرور من الحنجرة، ثم ينفرج الوتران فيخرج الهواء مُحدّثاً صوتاً انفجارياً شديداً»⁽²⁾؛ لذلك يستعمله المتكلم للتعبير عن بعض الانفعالات النفسية كالغضب كما هو الحال في حديث الرسول ﷺ.

• الإيقاع:

- البنية الإيقاعية للجملة "أغضبها" هي: (ص ح ص + ص ح + ص ح ح ح).
 - البنية الإيقاعية للجملة البديلة "يُغضبها" هي: (ص ح ص + ص ح ص + ص ح ح ح).
 - البنية الإيقاعية للجملة "أغضبني" هي: (ص ح ص + ص ح + ص ح ح ح).
 - البنية الإيقاعية للجملة البديلة "يُغضبني" هي: (ص ح ص + ص ح ص + ص ح ح ح).
 فرغم أنّ الجملتين البديلتين تتفقان مقطعيّاً مع بعضهما؛ إلا أنّهما لم يُوظّفهما، وقد استطاع توظيف الجناس رغم حالته الانفعالية، ومعلوم أنّ الانفعال يخلق نوعاً من اللاسقرار النفسيّ الذي ينجم عنه تلعم في الكلام، فالبلاغة عنده ﷺ لم تكن مجرد صنعة أو زخرفة، وإنّما هي سليقة وطبيعة فيه، وإلا لكان كلامه في الحالات النفسية المرتاحة بشكل، وفي الحالات المتوتّرة أو المنفعلة بشكل آخر، ف«الجمال الفنيّ في بلاغته ﷺ إنّما هو أثر على الكلام من روحه النبوية الجديدة على الدنيا وتاريخها»⁽³⁾.

(2)- حدّثني عبد الله بن محمد حدّثنا عبد الملك بن عمر وحدّثنا زهير بن محمد بن عمر بن حلحلة عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدريّ وعن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ قال: «مَا

(1) سليمان عياض، استخدامات الحروف العربية (معجمياً-صوتياً-صرفياً-نحوياً-كتابياً)، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، (دط)، 1998م، ص 19.

(2) نفسه: الصّفحة نفسها.

(3) مصطفى صادق الرّافعيّ، مرجع سابق، 5/3.

يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَدَى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشُّوْكَةَ يُشَاكُّهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ.»⁽¹⁾، حيث قال ﷺ: "نصب" و"وصب"، ولم يقل: "تعب" و"مرض".

• المعنى:

إنَّ الرَّسُولَ ﷺ عندما وظَّف "نصب" و"وصب" كان يستهدف من ذلك دلالة معنوية إضافية غير المعنى الظاهر لكلمتي: "تعب" و"مرض" فكما هو ملاحظ وجود حرفي "الصاد" و"الباء" في الصيغتين المعدول إليهما وخلو الصيغتين المعدول عنهما من هذين الحرفين، وهذا مقصود من طرف الرسول ﷺ، فكما هو معلوم أنَّ الصاد جُعِلَتْ «لقوتها للمعنى الأقوى.»⁽²⁾، «والباء لغلظتها.»⁽³⁾، واجتماعهما في كلمة واحدة يُؤدِّي «للغلظة والشدة»، وهذا يتلاءم مع الحديث الذي قاله ﷺ، وإذا أمعنا النَّظْرَ في الحديث مرة أخرى لوجدناه ﷺ قد استعمل أسلوب التدرج في ذكر المصائب والمِحَن التي تَحِلُّ بالمسلم، فكانت أول مصيبة هي مصيبة التَّعَبِ أو المرض، ولو كانت هاتان اللَّفْظَتَانِ قد أضافتا معنًى جديداً غير الدلالة الأصليَّة لَمَا استبدلها الرسول ﷺ بما هو أشدَّ، فتناسب اللَّفْظُ مع الموقف، ليكْمِلَ بقيَّةَ الحديث في تدرُّجه في تعداد العوارض إلى الهموم والأحزان والغموم، وصولاً إلى أدنى ألم وهو انغراز الشُّوْكَة في جسد المسلم، وقد جمع الرسول ﷺ بين المصائب النَّفْسِيَّةِ والعضويَّةِ، ليصل في الأخير إلى ذكر الأجر والثَّوَاب الذي يُمكن أن يناله المسلم نتيجة لصبره وتجلُّده، وذلك بالتَّكْفِيرِ عن ذنوبه وخطاياها وزلاته التي يجب ألا تصل إلى حد الكبائر، ويتطابق هذا الحديث في معناه الإجماليِّ مع قوله تعالى: ﴿وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ (البقرة: 155-156)، ف«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ

(1) صحيح البخاري: (كتاب: المرضى، باب: ما جاء في كفاة المرض، رقم الحديث: 5641، ص 1431).

(2) ابن جنِّي، مرجع سابق، 160/2.

(3) نفسه: 163/2.

خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ
ضَرَّاءٌ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِغَيْرِ الْمُؤْمِنِ.....»⁽¹⁾.

• الإيقاع:

- التَّرْكِيبة المَقْطَعِيَّة للفظتين: "نصب" و"وصب" هي: (ص ح + ص ح + ص ح).

- التَّرْكِيبة المَقْطَعِيَّة للفظتين البديلتين: "تعب" و"مرض" هي: (ص ح + ص ح + ص ح).

ما يُلاحظ على البنية الإيقاعية لكلمتي: "تعب" و"مرض" أنَّهما متطابقتان تمام التَّطابق مع البنية الإيقاعية للكلمتين: "نصب" و"وصب"، ففي «قوله: (من نصب) أي من تعب وزنه ومعناه، قوله: (ولا وصب) وهو المرض وزنه ومعناه.»⁽²⁾، ولكن عُدلَ عنهما لأنَّهما لا يُحققان الغرض البلاغي، فتكرار مجموعة من الكلمات المتجانسة شدَّ انتباه المتلقي «إلى الإصغاء إليه، فإنَّ مناسبة الألفاظ تُحدث ميلًا وإصغاءً إليها.»⁽³⁾، فجمعتِ الصُّور البديعية في هذا الحديث النَّبويِّ بين الدَّلالة والإيقاع.

(1) صحيح مسلم (كتاب: الرُّهد والرِّقائِق، باب: المؤمن أمره كلُّه خير، رقم الحديث: 64، 2295/4).

(2) بدر الدِّين العيني، مرجع سابق، 209/21.

(3) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد النَّدوب، دار الفكر، لبنان، ط1، 1416هـ، 1996م، 244/2.

3- التكرار:

إنَّ الأحاديث النبويَّة المتضمِّنة تكرارات على اختلاف أنواعها كثيرة في هذا المبحث بالذَّات، ونذكر منها مايلي:

(1)- حدَّثنا عاصم بن علي حدَّثنا ابن أبي ذئب عن سعيد شريح أن النَّبِيَّ ﷺ قال: «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ فَقِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقَهُ.»⁽¹⁾

في هذا الحديث النَّبويِّ تكرر لجملة: "والله لا يؤمن" ثلاث مرات ممَّا أدَّى إلى حدوث إيقاع مُتكرِّر، كما تضمَّنت الجملة قسماً بذات الله تعالى وهذا دلالة على (تعظيم العمل والتَّحذير منه) والمتمثِّل في الإساءة للجار وبجميع أشكالها، وهذا ما يُؤكِّد أهميَّة وقيمة الجار في الإسلام فلا نُسيء إليه، وَلِنُلبِّ مطالبه في حدود المعقول، وتُعتبر هذه العلاقة الاجتماعيَّة من أسمى وأرقاها وأقدسها، وقد رُوِيَتْ كثير من الأحاديث النَّبويَّة التي تُضبط هذه العلاقة وتُوضِّح كفيَّة التَّعامل مع الجار، ومن بينها: «لَا يَمْنَعُ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشْبَةً فِي جِدَارِهِ.»⁽²⁾

(2)- حدَّثنا عبد الله بن يوسف حدَّثنا الليث قال: حدَّثني سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة ؓ قال: بينما نحن في المسجد خرج النَّبِيُّ ﷺ فقال: «انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ، فَخَرَجْنَا حَتَّى جِئْنَا بَيْتَ الْمَدْرَاسِ فَقَالَ: اسْلِمُوا تَسْلَمُوا، وَإِعْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَجْلِبِكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ، فَمَنْ يَجِدْ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ، وَإِلَّا فاعْلَمُوا أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ.»⁽³⁾

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الأدب، باب: إثم من لا يأمن جاره بوائقه، رقم الحديث: 6016، ص 1509).

(2) نفسه: (كتاب: المظالم، باب: لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبه في داره، رقم الحديث: 2463، ص 594).

(3) نفسه: (كتاب: الجزية، باب: إخراج اليهود من جزيرة العرب، رقم الحديث: 3167، ص 782).

• المعنى:

إنّ عبارة: "أسلموا تسلموا" اشتملت على حرف السّين المُكرّر مرتين والذي «يدلّ على الليونة والسهولة والنقص في أكثر أحواله كيفما كان موقعه في الكلمة.»⁽¹⁾، فالموقف يستدعي الرّفق واللّين وذلك لعدة أسباب:

-أولاًها: إنّ الكلام صادر عن الرّسول ﷺ، والمعروف عنه بالرحمة حتى مع الّد أعدائه، وقد قال عنه الله ﷻ: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران:159).

-ثانيها: الرّسول ﷺ يُخاطب اليهود، الذين يُعتبرون من أصحاب الكتاب، وقد طالب الله تعالى من رسوله -في أكثر من موضع- أن يستخدم معهم (اليهود والنصارى) أسلوب اللّين، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت:46).

- ثالثها: إنّ الرّسول ﷺ في هذا الحديث يدعو اليهود إلى الإسلام، والدّعوة للإسلام تقتضي اللّين، وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل:125)، والرّسول ﷺ لا يمارس اللّين عملياً فقط؛ بل يمارسه دعويّاً أيضاً من خلال دعوة أصحابه للتّطي بهذا السّلك بقوله: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا.»⁽²⁾، و «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفِيقَ.»⁽³⁾.

• الإيقاع:

-البنية المقطعية للجملة: "أسلموا تسلموا" هي: (ص ح ص + ص ح ح) + (ص ح ص + ص ح ح).

(1) محمد المبارك، فقه اللّغة وخصائص العربيّة، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، دمشق، ط2، 1944م، ص101.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: العلم، باب: ما كان النّبي ﷺ يتخوّلهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، رقم الحديث: 69، ص30).

(3) نفسه: (كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: إذا عرض النّميّ وغيره بسبّ النّبي ﷺ، ولم يُصرّخ، نحو قوله: السّام عليك، رقم الحديث: 6927، ص1713).

إنّ جملة «أسلموا» بفتح الهمزة من الإسلام، قوله: (تسلموا)، بفتح التاء من السّلامة أي تسلموا في الدّنيا من القتل والجزية، وفي الآخرة من العقاب والخلود في النّار. (1)، فتكرار بعض الحروف في جملتي: "أسلموا" و"تسلموا" نتج عنه جناس وهو «من الجناس الحسن لسهولة لفظه وعدم تكلفه». (2)، ونتيجة لهذا التّوافق والانسجام أعرض الرّسول ﷺ عن عديد الصّيغ التي لا تخدم الغرض البلاغيّ.

والأحاديث التي تُصَبُّ في هذا الاتجاه كثيرة ومتعددة منها:

أ- حدّثني يحيى بن بكير حدّثنا الليث بن عقيل عن ابن شهاب، قال: أخبرني أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبَسِّطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحْمَتَهُ». (3)، عدل الرّسول ﷺ عن المصدرين: "البسط" و"النّسأ"، ويذكر صاحب "فتح الباري" في شرح "ينسأ" فيقول: «بضم أوله وسكون النون بعدها مهمله ثم همزة، أي يُؤخَّرُ قوله (في أثره) أي في أجله وسُمِّيَ الأجل أثرًا لأنّه يتبع العمر، قال "زهير":

وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ مَمْدُودٌ لَهُ أَمَلٌ لَا يَنْقُضِي حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَثَرُ. (4).

لقد تضمّن الفعلان (ينسأ-يبسط) على حرف السّين وما لهذا الحرف من دلالة سبقت الإشارة إليها في النّماذج المذكورة آنفًا، وهذا ما يتلاءم والمقصود من الحديث النّبويّ، فالرّسول ﷺ ذكر الأمور التي تجعل حياة المسلم أكثر سهولة ويسرًا؛ بل أنّ أعباء الحياة وصعوباتها تُدَلُّ في وجهه، وذلك باتّباع المنهج الذي ذكره الرّسول ﷺ.

إنّ الفعل "ينسأ" يُقصد به: «حصول القوة في الجسد، وقيل بالبركة في عمره والتّوفيق للطّاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة، وقيل معناه: بقاء ذكره الجميل بعد الموت، وقيل: يُكتب عمره مقيدًا بشرط كأن يُقال: إن وصل رحمة فله كذا وإلا فكذا، فتكون الزّيادة في العمر زيادة حقيقية». (5).

(1) بدر الدّين العينيّ، مرجع سابق، 303/14.

(2) ابن حجر العسقلانيّ، مرجع سابق، 271/6.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: الأدب، باب: من بسط له في الرّزق بصلة الرّحم، رقم الحديث: 5986، ص1503).

(4) ابن حجر العسقلانيّ، مرجع سابق، 416/10.

(5) المرجع السابق: 302/4.

• الإيقاع:

- البنية الإيقاعية للفعلين: "يبسط" و"ينسأ" هي: (ص ح ص + ص ح + ص ح).
- البنية الإيقاعية للمصدرين البديلين: "البسط" و"النسأ" هي: (ص ح ص + ص ح ص + ص ح).

هناك اختلاف بين البنية الإيقاعية للفعلين المذكورين في الحديث والمصدرين البديلين.

ب- حدّثني مسلم حدّثنا شعبة عن مالك عن ربّعي عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي صلى الله عليه وآله يقول: «مَاتَ رَجُلٌ فَقِيلَ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ؟ قَالَ: كُنْتُ أَبَايُعُ النَّاسَ، فَأَتَجَوَّزُ عَنِ الْمُوسِرِ وَأُخَفِّفُ عَنِ الْمُعْسِرِ فَغَفِرَ لَهُ قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: سَمِعْتُهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله». (1).

لقد وظّف الرسول صلى الله عليه وآله في حديثه صيغ اسم الفاعل وهما "موسر" و"مُعسر" وذلك لاعتبارين:

- رغم اختلافهما في المعنى إلا أنّهما اتفقا في الدلالة على اللين واليسر في التعامل مع الزبائن ويكون ذلك بتأجيل مُطالبَة الموسر بالدين، والتّجاوز عن المُعسر وذلك بإسقاط بعض الدين أو كله، واحتوائهما على حرف السين الذي يحمل هذه الدلالة، وهذا ما سبق الإشارة إليه.

- عندما وظّفهما الرسول صلى الله عليه وآله لم يكن توظيفه عشوائياً، وإنّما كان امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۗ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 280).

(1) صحيح البخاري: (كتاب: البيوع، باب: حُسن التّقاضي، رقم الحديث: 2391، ص 575).

• الإيقاع:

- التركيبة المقطعية لاسمي الفاعل الواردين في الحديث النبوي: "موسر" و"معسر" هي:

(ص ح + ص ح + ص ح)، (ص ح + ص ح + ص ح) على الترتيب، فما يُلاحظ على التركيبين أنهما اتفقتا في النهاية المغلقة رغم اختلافهما في بداية التركيبة، وهذا لم يؤثر على إيقاع الصورة البديعية للحديث.

- التركيبة المقطعية لأسماء المفاعيل البديلة: "ميسور" أو "موسر" و"معسر" هي:

(ص ح + ص ح + ص ح)، أو (ص ح ح + ص ح + ص ح)، و(ص ح + ص ح + ص ح)، فما يُلاحظ عن الصيغ البديلة أن هناك اتفقا في النهاية المقطعية بين الكلمتين: "موسر" و"معسر" إلا أنه ﷺ عدل عنهما.

ج- حدثنا إسماعيل بن أبان قال: حدثنا ابن الغسيل عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «صعد النبي ﷺ وكان آخر مجلس جلسه متعطفاً ملحقاً على منكبيه قد عصب رأسه بعصابة، دسمة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فإن هذا الحى من الأنصار يقولون ويكثر الناس. فمن ولي شيئاً فيه أحدًا فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم.»⁽¹⁾، هذا الحديث النبوي يتوافق وبشكل كبير مع الحديث السابق الذي بين ضرورة التساهل والرفق والتسامح في المعاملة مع الزبائن، وهنا يؤكد الرسول ﷺ على ضرورة لين الجانب من أي راع يتولى أمر الأنصار لأنهم أولى الناس بالإحسان، فهم الذين احتضنوا الرسول ﷺ والدعوة الإسلامية في الوقت الذي تخلى فيه أقرب الناس إليه (أهله وعشيرته)؛ حتى أنه ﷺ قرن الإيمان بمحبة الأنصار، والتفاق ببغضهم فيقول: «آية الإيمان حبُّ الأنصار، وآية النفاق بغضُّ الأنصار.»⁽²⁾، وهذا ما يدل على المكانة التي يجب أن يحظى بها الأنصار في قلوب المسلمين؛ لذلك يجب أن يكافأ المحسن منهم، ويُعفى عن المسيء، فكان الحرف المناسب لليونة والتساهل هو حرف "السين"، ومنه تكرر في اسمي الفاعل "محسنهم" و"مسيئهم".

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الجمعة، باب: من قال في الخطبة بعد الشاء: أما بعد، رقم الحديث: 927، ص 224).

(2) نفسه: (كتاب: الإيمان، باب: علامة الإيمان حبُّ الأنصار، رقم الحديث: 17، ص 928).

وَأَنْتَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا^٤ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ^٥ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿(الحجرات:13)﴾.

إنَّ الجانب الإيقاعي في الحديث يتمثل في الصيغة التي تكررت فيه، مما يحدث لدى المتلقي نوعاً من توقع الإيقاع، ومعروف أيضاً أن التكرار من الناحية الدينية «هو تقرير المكرر وتوكيده، وإظهار العناية به ليكون في السلوك أمثلاً وللاعتقاد أئبناً»⁽¹⁾، فتوظيف الرسول ﷺ لصيغ مكررة الغاية منه تقويم السلوك، وإبراز أهمية الشيء المكرر؛ وذلك من خلال مخاطبة أقرب الناس إليه، وحثهم على صالح الأعمال، وهذا تنفيذاً لأمر الله تعالى، ففيما ترويه السيدة "عائشة" رضي الله عنها أنها قالت: لَمَّا أُنزِلَتْ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء:214) قام رسول الله ﷺ فقال: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ...».

4- حَدَّثَنَا مسدد حَدَّثَنَا أبو الأحوص "حَدَّثَنَا أبو إسحاق الهمداني" عن البراء بن العازب قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا فُلَانُ إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أُنزِلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أُرْسِلْتَ، فَإِنَّكَ إِنْ مُتُّ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَإِنْ أَصَبْتَ أَصَبْتَ أَجْرًا.»⁽²⁾، فالرسول ﷺ كرر شبه الجملة "إليك" ست مرات، فكان بإمكانه أن يعيدها مرة أو مرتين على أكثر تقدير، ولكن هذه الزيادة في التكرار لتذكير المسلمين بضرورة الدعاء قبل النوم، فالتكرار للتنبيه إلى أهمية الدعاء عند الخلود للنوم، ووجوب المواظبة عليه والعناية به، وقد تحدت البلاغيون عن التكرار، فذكروا بأنه «يُحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها ويخاف بترك التكرار وقوع الغلط والنسيان فيها

(1) عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1413هـ، 1992م، 322/1.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: «أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ» (النساء:166)، رقم الحديث: 7488، ص1849).

والاستهانة بقدرها.»⁽¹⁾، فتكلم "عبد الكريم الخطيب" عن التكرار بقوله: «إنّ داعية التكرار قائمة في المواقف التي يكون فيها الأمر ذا شأن وخطر في الحياة الروحية والنفسية، فتقتضي الحال أن يُقابل هذا الموقف بما ينبغي له، والهدف به، والتكرار أداة فعالة من أدوات الإيقاظ والتنبية.»⁽²⁾.

لقد بدأ الرسول ﷺ حديثه بالنداء والذي يُعتبر أسلوبًا لتوجيه المستمع إلى ما سيُلقي عليه، أمّا لفظة "فلان" فهي دلالة على عموم الكلام وشموله لكل مسلم في أيّ زمان ومكان، فالاستسلام لله والّدعاء قبل النوم من علامات السلوك القويم، والإيمان القويّ، فقد يكون هذا العمل آخر عهد له بالحياة، فإن مات، مات على فطرة الإسلام، وأمّا إن رُزق عمرًا جديدًا، فأخمد الله على ذلك، وليستمر في العمل الصّالح، ففي الحديث ترغيب وحثّ على نيل مغفرة الله تعالى، مع ترهيب من عذابه وعقابه.

• الإيقاع:

- إنّ التّركيب المقطعيّ للفظّة المكررة "إليك" هو: (ص ح + ص ح + ص ح).
 - التّركيب المقطعيّ للفظّة "أسلمتُ" هو: (ص ح ص + ص ح ص + ص ح).
 - التّركيب المقطعيّ للفظّة البديلة "سلمتُ" هو: (ص ح ص + ص ح ص + ص ح).
- وهناك تراكيب إيقاعية أخرى ومنها:
- التّركيب المقطعيّ للفظتين: "رغبة" و"رهبة" هو: (ص ح ص + ص ح + ص ح) على التّرتيب.
 - أمّا التّركيب المقطعيّ للفظتين البديلتين: "راغبًا" و"راهبًا" هو: (ص ح ح + ص ح + ص ح ح).

(1) الزّمنيّ، الخطابيّ، الجرجانيّ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: مجد خلف الله، محمد زغول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م، ص48، وينظر: الزّركشيّ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط2، (دت)، 11/3.

(2) عبد الكريم الخطيب، إعجاز القرآن، دار الفكر العربيّ، القاهرة، ط1، 1974م، ص406.

جدول يوضح التراكيب المقطعية الموجودة في الحديث النبوي مع صورها البديعية

الرقم	الصورة البديعية	التراكيب المقطعي
1	نفسى إليك	(ص ح ص + ص ح ح ح) + (ص ح ص + ص ح ص ح ح).
2	وجهي إليك	(ص ح ص + ص ح ح ح) + (ص ح ص + ص ح ص ح ح).
3	أمرى إليك	(ص ح ص + ص ح ح ح) + (ص ح ص + ص ح ص ح ح).
4	ظهري إليك	(ص ح ص + ص ح ح ح) + (ص ح ص + ص ح ص ح ح).
5	رغبة ورهبة إليك	(ص ح ص + ص ح ص ح ح) + (ص ح ص + ص ح ص ح ح) + (ص ح ص + ص ح ص ح ح) + (ص ح ص + ص ح ص ح ح).
6	إلا إليك	(ص ح ص + ص ح ح ح) + (ص ح ص + ص ح ص ح ح).
7	أنزلت	(ص ح ص + ص ح ص ح ح).
8	أرسلت	(ص ح ص + ص ح ص ح ح).

ما يلاحظ من الجدول:

1- أشكال التراكيب المقطعي للصور البديعية هي:

- (ص ح ص + ص ح ح ح) + (ص ح ص + ص ح ص ح ح) خمس مرات.
 - (ص ح ص + ص ح ح ح) + (ص ح ص + ص ح ح ح) + (ص ح ص + ص ح ح ح) + (ص ح ص + ص ح ح ح) مرة واحدة.

- (ص ح ص + ص ح ص ح ح) تكرر مرتين.

2- التراكيب الغالب هو: (ص ح ص + ص ح ح ح) + (ص ح ص + ص ح ص ح ح)، والذي تكرر خمس مرات: نفسى إليك، وجهي إليك، أمرى إليك، ظهري إليك، إلا إليك، ثم يليه التراكيب: (ص ح ص + ص ح ص ح ح) الذي تكرر في صورتين بديعيتين وهما: أنزلت، وأرسلت وفي الأخير التراكيب: (ص ح ص + ص ح ص ح ح) + (ص ح ص) + (ص ح ص + ص ح ص ح ح) + (ص ح ص + ص ح ص ح ح) + (ص ح ص + ص ح ص ح ح) + (ص ح ص + ص ح ص ح ح) مرة واحدة في: رغبة ورهبة إليك.

3- شكل البنية (ص ح ص + ص ح ص + ص ح) نهاية لخمس صور بديعية؛ أي ما يفوق 62%.

4- هناك ست صور بديعية رويها الكاف.

إن حرف الكاف يُضفي دلالة على الكلمة فهو يدلّ على «التَّمكُّن في الشَّيء في أغلب أحواله كيفما كان موقعه في الكلمة»⁽¹⁾، وهذا ما يُناسب الحديث، فالرَّسول ﷺ استعمل الضَّمير الكاف في مجموعة من الأفعال للدَّلالة على تمكُّن الله تعالى وسيطرته على جميع حواسنا وجوارحنا، فَنَسَلِمُ أمرنا له، ولو حدث تقديم أو تأخير أو حتّى حذف في الجمل السابقة كأن يقول ﷺ: "أَسَلِمْتُ إِلَيْكَ نَفْسِي" أو "وَجَهْتُ إِلَيْكَ وَجْهِي" أو "أَسَلِمْتُ نَفْسِي وَوَجْهِي إِلَيْكَ..."، فذلك لا يُؤدِّي نفس الدَّلالة، ولا يُحدث موسيقى من خلال تكرار حرف الكاف، وقد وظَّف الرَّسول ﷺ كلمات وحروفاً منتقاة أحدث نوعاً من الموسيقى وهذا للدَّلالة على جو النُّوم، «ولعل سبب هذه الموسيقى السَّاحرة في الجملة هنا يعود إلى الانسجام في إيقاع الكلمات، وإلى هذا التَّآلف المُدهش بين مخارج حروف الكلمات، فأنت لا ترى ازدحاماً بحرف ثقيل في الحديث، ولا انتقالاً مفاجئاً من إيقاع إلى إيقاع...إنها تتناسب وهو النُّوم الهادئ الذي يُهيئ الجو المأنوس المأمون الذي يشعر صاحبه بالطَّمأنينة؛ لأنَّه يُسلم نفسه إلى الله ولأنَّه يتوجَّه ويلجأ إليه، ما أشبه هذا الحديث باللحن الحلو الذي يريح الأعصاب، ويمهد للنُّوم، أضف إلى ذلك ترديد كلمة "إليك" التي هي بمثابة قفل ينهي الجملة، وكذلك فإنَّ الدَّعاء ختم بمُخاطبة الله سبحانه بصيغة المفرد، وبأفعال تنتهي بالتَّاء المهموسة التي تلائم جو الاسترسال في النُّوم»⁽²⁾، فبلاغة الرَّسول ﷺ مكنته من حسن اختيار الألفاظ والموسيقى الملائمة للأجواء التي كانت سائدة خلال قوله للحديث، أو الظُّروف والأحوال التي يُنفذ فيها الحديث، ومن الأحاديث الأخرى التي تدلّ على النُّوم وجوه الهادئ ما يلي:

5- حدَّثنا حسان بن أبي عباد حدَّثنا همَّام عن عطاء عن جابر قال: «قَالَ رَسُولُ ﷺ: "أَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ بِاللَّيْلِ إِذَا رَقَدْتُمْ، وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ، وَأَوَكِّئُوا الْأَسْقِيَةَ، وَخَمِّرُوا الطَّعَامَ

(1) صالح سليم عبد القادر الفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، جمهورية

مصر العربية، ط1، (دت)، ص 151.

(2) محمد صباغ، مرجع سابق، ص 93.

وَالشَّرَابِ"، قال همام: وأحسبه قال: ولو بعود يعرضه. «(1)، فعندما وظَّفَ ﷺ الفعل "أطفئوا" في بداية الحديث والذي احتوى حرف الفاء لما له من دلالة على الإبانة والوضوح، وهو إزالة النور ومن ثمة وضوح الظلام، وتوفير الجو الملائم للنوم، وأمَّا الفعل "أغلقوا" فقد اكتسب معنى الاستتار لتضمُّنه حرف الغين، وهو مناسب لما وُضِعَ لأجله، فعند غلق الأبواب يُستر البيت، فلم يعد يُرى ما يوجد بداخله من أشخاص وأمتعة، أمَّا الفعل "أوكئوا" فقد تضمَّن حرف الكاف، والذي يحمل دلالة التمكن، وكأني بالرسول ﷺ يطلب من السامعين أن يُحكِّمُوا وثاق أواني الماء والطعام حتى لا تنفذ له أي جراثيم أو يفتحه أي حيوان وهم نائمون، أمَّا الفعل "خَمَرُوا" فحرف الخاء الذي جاء في أوله يدلُّ على الهبوط، أي جعل الطعام والشراب أدنى الغطاء،

وللتوضيح فقد ثبت علمياً وجود ليلة من السنة لم تُحدَّد بالضبط أيَّة ليلة ينزل فيها وباء من السماء فيقع عن كل طعام أو شراب غير مغطى، وهو ما يتوافق مع قوله ﷺ: «عَطُّوا الإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وَكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ.» (2)، وهذا ما يدلُّ مرة أخرى على خلود المعجزة العلمية النبوية.

ما يُلاحظ على الأسماء التي وظَّفها الرسول ﷺ هي أسماء جموع: "المصابيح"، "الأبواب"، "الأسقية"، في الوقت ذاته نجده قد وظَّف في نهاية حديثه اسمين مفردين: "الطعام" و"الشراب" وذلك لأنهما يُستعملان للمفرد والجمع على حد سواء، إنَّ أغلب الحروف التي استعملها ﷺ لم تكن حروفاً شديدة، وهذا حتى تتلاءم وجو النوم، كما أنَّ أفعال الأمر التي وظَّفها الرسول ﷺ كلها جاءت لتحقيق الهدوء والسكينة فينال النَّائم نومًا مريحًا، فَيَتَمَكَّنُ من استعادة نشاطه والتخلص من عناء يومه.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الاستئذان، باب: إغلاق الأبواب بالليل، رقم الحديث: 6296، ص 1571).

(2) مسلم، صحيح مسلم (كتاب: الأشربة، باب: الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء، وإغلاق الأبواب، وذكر اسم الله عليها، وإطفاء البِراج، وكفَّ الصَّبيان والمواشي بعد المغرب، رقم الحديث: 99، 1596/3).

(6)- حدّثني محمد بن سلام حدّثنا عبد الوهاب حدّثنا خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: **أَتْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «وَيْلَكَ؛ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ (مِرَارًا). ثُمَّ قَالَ: "مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ فَلْيُقْل: أَحْسِبُ فَلَانًا وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أُزْجِي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا؟ إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ"»**(1)، إِنْ مَدَحَ النَّاسَ فِي وُجُوهِهِمْ أَمْرٌ جَائِزٌ لِمَا لَهُ مِنْ عَوَاقِبِ إِجَابِيَّةٍ عَلَى الْمَدْحِ وَالْمُسْتَمْعِينَ؛ فَالْمَدْحُ يَسْعَى جَاهِدًا أَنْ يَكُونَ فِي مَسْتَوَى طَمُوحَاتِ الْمُشِيرِينَ إِلَيْهِ بِأَنَامِلِهِمْ، لِيَحْتَدُوا حَذْوَهُ، فَتَرَاهُ يُعَدِّلُ مِنْ تَصَرُّفَاتِهِ قَدْرَ الْإِمْكَانِ، فَهُوَ مَحَطُّ أَنْظَارِهِمْ، وَأَمَّا الْمُسْتَمْعُونَ فَاتَّهَمُوا بِحَاوِلُونَ تَقْلِيدِهِ لِيُنَالُوا الْإِعْجَابَ وَالتَّنَاءَ الَّذِي حُطِّي بِهِ الْمَدْحُوحُونَ، فَيَكُونُ الْمَدْحُوحُ مِثْلًا يَقْتَدُونَ بِهِ، غَيْرَ أَنَّ الْمَدْحَ غَيْرَ الْجَائِزِ هُوَ الْمَبَالِغُ فِيهِ فَ«التَّنَاءُ عَلَى الرَّجُلِ فِي وَجْهِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ لَا يُكْرَهُ، وَإِنَّمَا يُكْرَهُ الْإِطْنَابُ فِي ذَلِكَ»(2)، وَنَظَرًا لَخَطُورَةِ الْمَوْقِفِ فَقَدْ أَعَادَ الرَّسُولُ ﷺ جُمْلَةَ "قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ" مِرَارًا، وَمَا يُلَاحِظُ عَلَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ هُوَ تَكَرُّرُ حَرْفِ الْقَافِ فِيهَا وَالَّذِي «يَدِلُّ عَلَى الْإِصْطِدَامِ وَالْإِنْفِصَالِ وَالْقَطْعِ كَيْفَمَا كَانَ مَوْقِعُهُ فِي الْكَلِمَةِ»(3)، فَهَذَا الْحَرْفُ يَنَاسِبُ الْحَالَةَ الَّتِي آلَ إِلَيْهَا الشَّخْصُ الْمَدْحُوحُ وَذَلِكَ لِكَثْرَةِ مَدْحِهِ فَكَأَنَّهُ قُطِعَ رَأْسُهُ وَفُصِّلَ عَنْ جَسَدِهِ.

يُعتبر حرف القاف من حروف القلقله والتي تتميز بالشدة والقوة والجهد، وهو يُناسب الموقِف الذي يتضمّن تحذيرًا من خطورة الإكثار من المدح وما يترتّب عليه من عواقب وخيمة على الممدوح الذي يَغْتَرُّ بِنَفْسِهِ، فَيَصْبِحُ يَعْمَلُ مَا لَا يَجُوزُ عَمَلُهُ، فَقَدْ صَارَ مُنْزَهًا عَنِ أَيِّ شَبْهَةٍ، وَمُحَصَّنًا مِنْ أَيِّ نَقْدٍ، أَمَّا الْحَاضِرُونَ لِهَذَا الْمَدْحِ الْمَبَالِغِ فِيهِ فَيَتَوَلَّدُ لَدَيْهِمْ نَوْعٌ مِنَ الْغَيْبَةِ الَّتِي سَرَعَانَ مَا تَتَحَوَّلُ إِلَى حِقْدٍ وَضغينة، لِيَصْبِحَ انْتِقَامًا مِنَ الْمَدْحُوحِ فَيُوقِعُونَهُ فِي الْمَآزِقِ وَالْمَهَالِكِ الَّتِي لَا قَرَارَ فِيهَا، يَقُولُ "الإمام علي" كرم الله وجهه:

إِنَّ الْحَقُودَ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ فَالْحَقْدُ بَاقِي فِي الصُّدُورِ مُغَيَّبٌ.

لذلك حارب الرسول ﷺ الطريق المؤدية إليه.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الشّهادات، باب: إذا زكى رجل رجلاً كفاه، رقم الحديث: 2662، ص 650).

(2) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 326/5.

(3) محمد المبارك، مرجع سابق، ص 102.

فالتقطيع المقطعيّ لجملة "قطعت عنق صاحبك" هو: (ص ح + ص ح + ص ح) + (ص ح + ص ح + ص ح) + (ص ح + ص ح + ص ح).
 إنّ الكلمات الثلاث انتهت بنهاية مفتوحة متشابهة، وتكرار الصورة البيانية الإيقاعية يحدث نوعاً من الموسيقى، فينشأ لدى السامع انطباعاً متكرراً ومتوقّعا.

(7)- حدّثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن حميد عن أنسٍ رضي الله عنه أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خرج إلى خيبر فجاءها ليلاً- وكان إذا جاء قومًا ليلاً لا يُغير عليهم حتى يصبح- فلما أصبح خرجت يهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوه قالوا: محمد والخميس، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «الله أكبر، خربت خيبر، إنّنا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساء صباح المنذرين.»⁽¹⁾، قال الرسول صلى الله عليه وآله: "خربت خيبر" ولم يقل: "تُخرب خيبر"، فقول الرسول صلى الله عليه وآله: "خربت خيبر" دون غيرها من الصيغ يحمل معنى جديدًا لم تتوفر عليه بقية الصيغ، فاستعمال صيغة الماضي عوضًا عن صيغة المضارع لتأكيد وقوع الفعل في المستقبل، إضافة إلى ذلك فجملة "خربت خيبر" تضمّنت حرفًا مكرّرًا وهو الخاء، وهذا دون إغفال الجناس الموجود بين الكلمتين "خربت" و"خيبر"، ولكنّ دلالة حرف الخاء طغت على الجملة، فحرف الخاء «يدلّ في أكثر أحواله على الصّعة والهبوط، إذا كان في أول الكلمة.»⁽²⁾، وما دام حرف الخاء جاء في بداية الكلمتين "خربت" و"خيبر"، فقد كان ذلك مقصودًا من طرف الرسول صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى، فقد أحسن الاختيار بما يتناسب مع الوضع الذي آل إليه "يهود خيبر"، فمعلوم أنّ "غزوة خيبر" هي الغزوة التي دُحِض فيها اليهود على بكرة أبيهم، وسقط آخر معاقلهم (حصن خيبر) على يد الرسول صلى الله عليه وآله والصّحابة رضوان الله عليهم، وهي عدالة الله التي وضعت اليهود في المكانة التي يستحقونها نتيجة لكل المؤامرات التي حاكوها ضد المسلمين، وكل العهود والمواثيق التي نقضوها، وهذا ليس غريبًا عن اليهود فمعروف عنهم الخيانة، وهناك العديد من الآيات التي تُشير إلى ذلك كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الجهاد والسّير، باب: دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله الناس إلى الإسلام والنّبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله، رقم الحديث: 2945، ص 727).

(2) صالح سليم عبد القادر الفاخري، مرجع سابق، ص 149.

* وقعت بعد غزوة ذي قرد بثلاث ليالٍ في جمادى الأولى من السنة السادسة للهجرة.

وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٦٦﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿البقرة: 63-64﴾، وكفوله كذلك: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِالْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ ﴿البقرة: 83﴾.

• الإيقاع:

- البنية الإيقاعية لجملة "خربت خبير" هي:

(ص ح + ص ح + ص ح ص)، (ص ح ص + ص ح ص).

- البنية الإيقاعية للجملة البديلة: "تُخرب خبير" هي:

(ص ح ص + ص ح + ص ح)، (ص ح ص + ص ح ص).

إنَّ النِّهَايةَ المَقْطِعيَّةَ للجملة البديلة لا تتطابق مع النِّهَايةَ المَقْطِعيَّةَ للجملة التي ذُكِرَتْ في الحديث وهذا راجع إلى اختلاف الفعل الذي صُرِّفَ مع الفاعل "خبير" من حيث الزَّمن، فـ «تكرارية الصوت الواحد والصوت المفرد يتم فيها تكرار صوت معين من شأنه أن يعطي جرسًا صوتيًا فريدًا إلى جانب الأصوات السابقة أو اللاحقة المكونة للفظ، وقد يتكرر على مستوى المفردة الواحدة، كما يمكن أن يتكرر على مستوى الألفاظ المتجاورة المكونة للجملة.»⁽¹⁾.

(8)- حدَّثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدَّثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الَّذِي يَخْنُقُ نَفْسَهُ يَخْنُقُهَا فِي النَّارِ، وَالَّذِي يَطْعُنُهَا يَطْعُنُهَا فِي النَّارِ.»⁽²⁾، لقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "الَّذِي يَخْنُقُ نَفْسَهُ يَخْنُقُهَا فِي النَّارِ، وَالَّذِي يَطْعُنُهَا يَطْعُنُهَا فِي النَّارِ" ولم يقل: "يشنق" أو "يقتل" أو اختصارًا لهما معًا "ينتحر"، لقد وظَّفَ الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه تكرارين:

(1) فضيلة مسعودي، التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية، قراءة نافع أنموذجًا، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008م، ص21.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في قاتل النفس، رقم الحديث: 1365، ص329).

-الأول: تكرار الكلمات "يخنق" و"يطعن"، فالتكرار في الحديث النبوي لم يكن «ناجماً عن فقر لغوي، ولا عن عجز في التعبير، وإنما كان مقصوداً متعمداً، جاء ليحمل جزءاً من المعنى المراد، فكان وسيلة من وسائل الدعوة، وطريقة من طرائقها، ويستعمله النبي ﷺ إذا وجد ضرورة لذلك، فهو في موضعه كالإيجاز في موضعه، والحاجة إليه كالحاجة إلى غيره من الأساليب الأخرى.»(1).

-الثاني: تكرار الحروف وهو حرف النون الذي تكرر سبع مرات، وذلك بتوظيف كلمات تتضمن هذا الحرف، وما له من دلالة تخدم موضوع الحديث، فالمعروف عن حرف النون أنه «يدلّ في أكثر أحواله على الظهور كيفما كان موقعه في الكلمة.»(2)، فالإنسان القاتل نفسه يظهر يوم القيامة، وأمام الملائكة يُعذّب بالطريقة التي قتل بها نفسه، دلالة على سوء المصير، كما أن الجزاء من حسن العمل لقوله تعالى: ﴿جَزَاءٌ وَفَاقًا﴾ (التبأ:26)، وهذا نتيجة للجرم الكبير الذي اقترفه وللعمل الشنيع الذي ارتكبه، وهو قتل النفس بغير وجه حق مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ (الفرقان:68) وقوله أيضاً: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمُ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام:151)، فالله ﷻ لا يتسامح مع الذين يزهقون أرواحهم، وكره على ذلك جعلهم يُخلدون في نار جهنم ويُعذَّبون بنفس الطريقة التي انتحروا بها في الحياة الدنيا، والناس يُشيرون إليهم ببناهم.

(1) أميمة بدر الدين، التكرار في الحديث النبوي الشريف، مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، العدد1، 2، 2010م، ص100، 101.

(2) عبد الحميد حسن، مرجع سابق، ص42.

• الإيقاع:

- التّركيب المقطعيّ للفعلين: "يخنق" و"يطعن" هو: (ص ح ص + ص ح + ص ح)، (ص ح ص + ص ح + ص ح).
 - التّركيب المقطعيّ للفعلين: "يخنقها" و"يطعنها" هو: (ص ح ص + ص ح + ص ح)، (ص ح ص + ص ح + ص ح).
 - التّركيب المقطعيّ لاسمي الفاعل البديلين: "خانقها" و"طاعنها" هو: (ص ح ح + ص ح + ص ح ح)، (ص ح ح + ص ح ح + ص ح ح).
 ما يُلاحظ على التّركيب المقطعيّ لاسمي الفاعل البديلين "خانق" و"طاعن" -وهذا بعد حذف "هاء" الغائبة- أنّهما يختلفان عن التّركيب المقطعيّ للأفعال الواردة في الحديث؛ لذلك كرّر الرّسول ﷺ الأفعال ذاتها مرة أخرى، ومنه تكرر حروف بعينها فـ «يُحدث تكرارها أصواتًا وإيقاعات موسيقيّة معينة.»⁽¹⁾

(9)- حدّثنا محمد بن منهل حدّثنا يزيد بن زريع حدّثنا ابن محمد بن زيد عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، وَوَفِّرُوا اللَّحَى، وَأَخْفُوا الشُّوَارِبَ.»⁽²⁾، لقد قال الرّسول ﷺ: "خالفوا" و"وفروا" و"أحفوا"، فجميع الأفعال التي وردت في الحديث احتوت حرف الفاء والذي يُستعمل «في أغلب أحواله للدلالة على الإبانة والوضوح.»⁽³⁾، فالرّسول ﷺ عندما أمر المسلمين بالتميّز الاختلاف عن غيرهم من الأقوام الأخرى كاليهود والمجوس... لأنّهم «كانوا يقصّون لحاهم ومنهم من كان يحلقها.»⁽⁴⁾، والمخالفة لا تكون في اللّحى والشّوارب فحسب؛ بل في جميع الأمور الأخرى كشكل اللّباس وتحليقة الرأس والمأكل والمشرب وغيرها، ولكنّ اختيار الرّسول ﷺ لبعض النّماذج المتعلّقة بشؤون المسلم اليوميّة الهدف منه ظهور المسلمين بمظهر مختلف وبائن وواضح يُمكن من خلاله تمييزهم عمّن سواهم ليكونوا متبوعين لا تابعين.

(1) حسني عبد الجليل يوسف، مرجع سابق، 167/1.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: اللّباس، باب: تقليم الأظفار، رقم الحديث: 5892، ص1486).

(3) عبّاس محمود العقاد، مرجع سابق، ص45.

(4) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 349/10.

المبحث الثالث

ارتباط الدلالة بالإيقاع في الصور
البدعيّة في الخطاب النبويّ من خلال
صحيح البخاري.

1- السّجع

2- الجناس

3- التّكرار

هذا المبحث نتناول فيه مجموعة من الأحاديث النبوية، والتي تضمّنت عدولاً يجمع بين الدلالة والإيقاع، ونُبيّن الحكمة من هذا العدول، فالرسول ﷺ عندما وظّف صيغاً بدلاً من صيغ أخرى كان لغاية تربوية وبلاغية لا لزخرفة أو تكلف؛ «لأنّ التكلف في كل أمر يُحبط تأثيره، ويُلقِي على صاحبه ظلالاً من الكراهية والاستئثار، وأظهر ما يكون التكلف في قول يُقال لأنّ السامع لا يفتح صدره عنها لا تظهر صافية مطبوعة لمن يلمس فيه هذا الخلق الثَّقِيل، ومهما كان قوله صائباً صحيحاً فإنّ مسحة التكلف تلقي عليه ظلالاً بغيضة تجعله أشبه بالقول المخطئ وما هو به لأنّ الرّوح التي يصدر عنها لا تظهر صافية مطبوعة؛ بل تعاني من آثار التكلف والتصنع ما يكاد يعصف بما لديها من السداد والإصابة.»⁽¹⁾، فالتكلف يُشعرك بنوع من الثقل فيؤثّر على المنتج تأثيراً عكسياً، وما دام كلام الرسول ﷺ مُترقفاً عن ذلك نفى الله تعالى عنه التكلف؛ حيث يقول على لسان رسوله الكريم: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾^(٨٦) **إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ** ﴿٨٧﴾ **وَلِتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ** **بَعْدَ حِينٍ** ﴿٨٨﴾ (ص: 86-88).

إنّ النصوص الثّرية لها موسيقى على غرار النصوص الشعريّة، وهذه الموسيقى لا تكون بالمحسنات البديعيّة فحسب، فالأديب إذا ربّب كلامه ترتيباً نفسياً يُوافق خلجات نفسه، واهتزازات مشاعره فإنّه ينظم كلامه نظاماً مرتباً، وهو ما يُطلق عليه بـ"الموسيقى الخفية" فتدغدغ عواطف المتلقين وتطرب الأسماع لألحانها فتتلذذها وتتمنى استمرارها، وإذا كان هذا حال الكلام العادي، فما بالك بالكلام الصادر عن الرسول ﷺ، وفي هذا الخصوص يقول "محمد رجب البيومي": «الموسيقى الثّرية ليست حركة لفظية وإنما هي كالموسيقى الشعريّة صورة حركة نفسية أو هي ترجمة للكاتب، وبعبارة أخرى أن تُعبّر الألفاظ عن المعاني بذواتها فإذا نسقت الألفاظ تنسيقاً خاصاً اكتسبت من موسيقاها معانٍ جديدة، وهذا الذي يقصده البلاغيون من ألفاظ العذوبة والرّقية والجزالة والفخامة والطلاوة والسّماحة التي تفصح عن موسيقى الأدب وأثرها في نفوسهم.»⁽²⁾، فجميع هذه الأوصاف لا نجدها إلا في ألفاظه ﷺ؛

(1) محمد رجب البيومي، مرجع سابق، ص 247.

(2) نفسه: ص 250.

لذلك «قال "محمد بن سلام" قال "يونس بن حبيب": ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله ﷺ». (1)، وما دام العدول الصرْفِي يُعتبر من أرقى الأساليب الأدبية التي يُوظفها الأدباء والمفكِّرون، فالرسول ﷺ استطاع أن يُوظفه أيّما توظيف؛ بل ولم يستعمله وكفى، وإنّما استعمل العدول الذي ترتبط فيه الدلالة بالإيقاع، فنجد هذه الأساليب في الصورة البديعية في الخطاب النبويّ، فكان توظيفها في أسمى صورها، فصارت أقواله ﷺ معجزة خالدة، و«ترى كلامه ﷺ يخرج من حدود الزّمان، فكل عصر واجد فيه ما يُقال له، وهو بذلك نبوة لا تتقضي، وهو وحي بالحياة ذاتها، وكأنّما هو لون على وجه منها كما ترى البياض مثلاً هو اللون على وجه طائفة من الجنس البشريّ». (2).

ومن النّماذج التي ارتبطت فيها الدلالة بالإيقاع في الصور البديعية في الحديث النبويّ ما يلي:

1- السّجع:

1- حدّثنا مسلم بن إبراهيم حدّثنا سعيد بن أبي بُردة عن أبيه عن جدّه عن النّبيّ ﷺ قال: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ. فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: "يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ" قَالُوا: فَإِنْ لَمْ نَجِدْ؟ قَالَ: "يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ". قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: "فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيَمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ".» (3)، فهناك عدول عن اسم الفاعل "لاهف" أو "متلهّف" لاسم المفعول "ملهوف"، واسم الفاعل هو «اسم مشتق من الفعل المعلوم ليُدلّ عن من قام بالحدث على وجه الحدوث لا الثبوت». (4)، أمّا اسم المفعول فهو «اسم مشتق من المضارع المبني للمجهول للدلالة على من وقع عليه الحدث على وجه

(1) مصطفى صادق الرافعيّ، السمو الرّوحيّ الأعظم والجمال الفنيّ في البلاغة النبوية، تحقيق: أبو عبد الرحمن البحتريّ، وائل بن حافظ بن خلف، دار البشير للثقافة والعلوم، (دط)، (دت)، ص14.

(2) نفسه: ص60.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: الزّكاة، باب: على كلّ مسلم صدقة، فمن لم يجد فليعمل بالمعروف، رقم الحديث: 1445، ص351).

(4) خالد فتح الأزهرّي، شرح التّصريح على التّوضيح أو التّصريح لمضمون التّوضيح في النّحو، تحقيق: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2000م، 77/2.

الحدوث لا الثبوت.»⁽¹⁾، فاسم الفاعل يُدُلُّ على من قام بالفعل، أمّا اسم المفعول فيُدَلُّ على من وقع عليه الفعل، وإن كان كلاهما عبارة عن حدث فـ «اسم المفعول ما دلّ على الحدث والحدوث وذات المفعول كمقتول ومأسور، فهو كما ترى لا يفترق عن اسم الفاعل إلا في الدلالة على الموصوف فإنه في اسم الفاعل، يدلّ على ذات الفاعل كقائم، وفي اسم المفعول يدل على ذات المفعول كمنصور.»⁽²⁾؛ لذلك كان اسم المفعول هو الأنسب في الحديث من اسم الفاعل، فالرسول ﷺ حثّ على مساعدة المحتاج؛ الذي جعله الله يتلهّف وينتظر إعانة الآخرين فقد عدل ﷺ على القول: إعانة المحتاج الذي جعل نفسه تتلهّف لمساعدة غيره، فالإنسان لم يضع نفسه في موقف الضّعيف الطالب للتجدة والإغاثة، وإنما سبحانه الذي أوجده على هذه الحالة، إن قوله (الملهوف) «أي المستغيث وهو أعم من أن يكون مظلوماً أو عاجزاً.»⁽³⁾، إن شرح المهوف (اسم المفعول) هو المستغيث (اسم الفاعل)، وهذا دليل آخر على عدول الرسول ﷺ عن اسم الفاعل إلى اسم المفعول.

إنّ التركيب المقطعيّ لكلمة "ملهوف" هو: (ص ح ص + ص ح ح ص)، وهو متناسب مع التركيب المقطعيّ لكلمة "معروف" والذي هو من الشّكل: (ص ح ص + ص ح ح ص)، فيحقق هذا التّناسب سجعاً بين الكلمتين، أمّا التركيب المقطعيّ للكلمتين: "متلهّف" و"لاهف" هو: (ص ح + ص ح + ص ح ص + ص ح ص)، (ص ح ح + ص ح ص) على الترتيب؛ لذلك كان عدوله ﷺ عن اسم الفاعل لاسم المفعول قد حقّق هدفين في آنٍ واحد أُولاهما تحقيق السّجع بين الكلمتين: "ملهوف" و"معروف"، وثانيهما تحقيق دلالة من خلال توظيف اسم المفعول لم يكن ليحقّقها اسم الفاعل المعدول عنه.

(2) - حدّثنا قتيبة بن سعيد حدّثنا سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن أبي أوفى قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: «اللَّهُمَّ مُنْزِلُ الْكِتَابِ، سَرِيعُ الْحِسَابِ، إِهْزِمِ الْأَحْزَابَ وَزَلْزِلْهُمْ.»⁽⁴⁾، هناك جمل مسجوعة: "منزل الكتاب"، "سريع الحساب"، "اهزم الأحزاب"،

(1) عباس حسن، مرجع سابق، 298/3.

(2) فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، ط2، 1428هـ، 2007م، ص52.

(3) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 361/3.

(4) صحيح البخاري: (كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: «أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ» (النساء: 166)، رقم الحديث:

7489، ص1849).

فالرسول ﷺ عدل عن "هازم" إلى "اهزم" أي من اسم الفاعل إلى فعل الأمر، فيلاحظ عن الجمل المسجوعة قد احتوت: اسم فاعل: "منزل" وصفة مشبهة: "سريع" وفعل الأمر: "اهزم"، فاسم الفاعل «يقع وسطاً بين الفعل والصفة المشبهة بالفعل يدل على التجدد والحدوث، فإن كان ماضياً يدل على أن حدثه تم في الماضي، وإن كان حالاً أو استقبالياً دل على ذلك أما اسم الفاعل فهو أدوم وأثبت من الفعل ولكن لا يرقى إلى ثبوت الصفة المشبهة، فإن كان (قائم) أدوم وأثبت من (قام) أو (يقوم) ولكن ليس ثبوتها كـ(طويل) أو (ذميمة) أو (قصير)، فإنه يُمكن الانفكاك عن القيام إلى الجلوس أو غيره، ولكن لا يُمكن الانفكاك عن الطول أو الذميمة أو القصر.»⁽¹⁾، إذن فالرسول ﷺ أحسن اختيار كلماته التي تنوعت بين الفعل واسم الفاعل والصفة المشبهة؛ فعندما قال: "مُنزل" كان اسم الفاعل مناسباً، فالقرآن الكريم كان يُنزل في تلك الفترة التاريخية (غزوة الأحزاب وما بعدها)، ولكن لم يدم طويلاً؛ لأنه توقف بتوقف نزول الوحي، وذلك عندما أكمل الرسول ﷺ رسالته، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة:3)، وأما توظيفه ﷺ للصفة المشبهة "سريع الحساب" فلا يختلف اثنان على أنه لا يُمكن أن تتفك صفة سرعة الحساب عن الله تعالى لا ماضياً ولا حاضراً ولا حتى مستقبلاً، وأما الفعل "اهزم" فهو آني، فقد دعا ﷺ ربه أن يهزم القبائل المتحالفة ضد المسلمين، فالأمر والفعل عموماً يدل على التجدد أو الحدوث، ففي هذه الغزوة (غزوة الخندق)* أوشك المسلمون على الهلاك، فطلب الرسول ﷺ من الله النصر والعون؛ لذلك لم يقل: "هازم" لأن الفعل لم يحدث بعد، وفي أحاديث تالية لهذا الحديث، وهذه الغزوة يذكر الرسول ﷺ في كلامه هازم أو اهزم حيث يقول ﷺ: «...وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحَدَهُ.»⁽²⁾، دلالة على تحقيق الوقوع.

(1) فاضل صالح السامرائي، مرجع سابق، ص41، 42.

*وقعت في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة، وقد حوَصر المسلمون بالمدينة المنورة وبتأليب من يهود المدينة مع مشركي قريش وبقية القبائل المشركية على غرار "قزارة" و"غطفان".

(2) صحيح البخاري: (كتاب: العمرة، باب: ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو، رقم الحديث: 1797، ص433).

ومن الناحية الإيقاعية نجد النهايات المقطعية للكلمات: "الكتاب"، "الحساب"، "الأحزاب" كالاتي:

- التركيب المقطعي لكلمة "الكتاب" هو: (ص ح ص + ص ح ح ح ص).
 - التركيب المقطعي لكلمة "الحساب" هو: (ص ح ص + ص ح ح ح ص).
 - التركيب المقطعي لكلمة "الأحزاب" هو: (ص ح ص + ص ح ح ح ص).
- فهي متوافقة مقطعيًا ورويًا.

والنهايات المقطعية للكلمات المشتقة:

- اسم الفاعل "مُنزِل" هي: (ص ح ص + ص ح ح).
- الصفة المشبهة "سريع" هي: (ص ح ح + ص ح ح).
- الفعل "اهزم" هي: (ص ح ص + ص ح ح).

أما النهاية المقطعية لاسم الفاعل البديل "هازم" هي: (ص ح ح + ص ح ح).

إنَّ النهايات المقطعية لـ "هازم" تشبه إلى حد كبير النهايات المقطعية لـ "منزل" و"سريع" في حين الفعل "اهزم" لا يتشابه مقطعيًا معها، ورغم ذلك فإنَّ الرسول ﷺ عدل عن "هازم" إلى "اهزم" لأنها لا تُحَقِّق سجعًا مع بقية الأسماء، فالكلمات المسجوعة هي "كتاب، الحساب، الأحزاب"، كما أنه لم يُؤدِّ دلاليًا الوظيفة التي أداها الفعل "اهزم"، فالفعل مازال لم يتَحَقَّق بعد، والرسول ﷺ في بداية المعركة، فهو يدعو الله بالنصر رغم أنه مُتَأَكِّد من نصرته، ولن يخذله، ولكن أراد أن يُبيِّن للصَّحابة بأنَّه عليهم الأخذ بأسباب النَّصر، فبالإضافة إلى الاستعداد العسكري والمادي يجب أن يُصاحبه استعداد معنوي إيماني عقائدي، فيقول الله ﷻ في هذا الشأن: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: 60)، والمقصود بالقوة: قوة عسكرية وأخرى عقائدية واثقة بنصر الله على الأعداء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَصْرُواُ اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد: 07).

2- الجناس:

(1)- حدّثنا أبو عاصم عن مالك بن سُمَيِّ عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «الشَّهْدَاءُ: الغَرِقُ، وَالْمَطْعُونُ، وَالْمَبْطُونُ، وَالْهَدِيمُ.»⁽¹⁾، فالرّسول ﷺ لم يقل: "الغارق"، "البطن"، "الطّعن"، فالغريق والمصاب بالطّاعون، أو به مرض ببطنه أو حتّى الذي يموت تحت الرّدم أو الهدم جميعهم يعتبرون شهداء، وذلك لأنّ أرواحهم تُعذّب قبل خروجها، ولكنّ الاختلاف بينهم يتمثل في أنّ "الغريق والميت الذي يسقط عليه شيء" يموتان بغتة، فلا يمهلهم الموت حتى يتلفظوا بالشّهادة، أمّا "المبطون والمطعون" فيبقيان يُعانيان مدة تطول أو تقصر فيتهيآن للموت، كما أنّ آلام المرض والوجع يتراوح بين الشّدّة والتّخفيف، ونظرًا لهذا الاختلاف في طريقة الموت (بطيئة أو مفاجئة) كان الاختلاف في الصّيغة المستعملة؛ فالغريق والميت تحت الهدم أُسْتُعْمِلَتْ معهما صيغة المبالغة على وزن "فَعَلَ" "الغرق-الهدم" وصيغة المبالغة هنا تدلّ على التّكثير من «الفعل كثرة لا ترقى إلى درجة الثّبوت.»⁽²⁾، فالتّكثير يكون إمّا بحجم الماء الذي غطّى الغريق حتّى أغرقه فمات، أو بحجم الشّيء الذي تهَدَّم فغطّى الهدم فلقى حتفه، غَرِقًا أو هَدِمًا ، فهذه الصّفة لا تدوم طويلًا، فما هي إلا لحظات معدودة حتّى يموت، وأمّا "المطعون والمبطون" فإنّهما يشدّ عليهما المرض أوبة بعد أخرى حتى يموتا، وهي فترة زمنيّة طويلة مقارنة بالسّابقين؛ لذلك وظّف ﷺ اسم المفعول والذي يدلّ على الحدوث والتّجدّد المناسب لوضعيتهما وهما على فراش الموت.

إنّ الرّسول ﷺ يوضّح شيئًا بخصوص مرض الطّاعون فيقول: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطّاعُونِ فِي أَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ أَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا.»⁽³⁾، وهذا حتّى لا يتفشى المرض إلى بقيّة الأمصار، ويُعقّب الرّسول ﷺ على كلامه لِيُبَيِّنَ حقيقة هذا المرض، والسّبب الذي يجعل المطعون شهيدًا فيقول: «إِنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ فِي الطّاعُونِ، فَيَمُوتُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا يَعْلَمُ

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الأذان، باب: الصّف الأول، رقم الحديث: 720، ص179).

(2) فاضل صالح السّامرائي، مرجع سابق، ص102.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: الطّب، باب: ما يُدكّر في الطّاعون، رقم الحديث: 5728، ص1452).

أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ»⁽¹⁾، فالمطعون عندما يحتسب أمره لله ويعلم أنه لن يصيبه إلا ما كُتِبَ له، فينال شرف الشهادة لسببين:

- المعاناة والألم أثناء المرض.

- بقاءه في أرضه إيماناً منه أن الأعمار والأقدار بيد الله، وحفاظاً على أرواح المسلمين الآخرين القاطنين بالأقطار الأخرى.

إنّ توظيف صيغة اسم الفاعل "الغارق" مكان الغرق لا تُؤدّي نفس الدلالة التي أدتها هذه الأخيرة، فصيغة الغارق لم تتضمن مبالغة في الغرق الذي يُوحى بصعوبة خروج الروح من صاحبها، وأيضاً كثرة الماء الذي غطى الغريق فغمره كلياً.

إنّ البنية الإيقاعية للحديث نجد فيها جناساً بين "المبطون" و"المطعون"، فصيغة اسم المفعول جاءت على وزن مفعول: (ص ح ص + ص ح ص + ص ح ص)، أمّا الجناس الآخر جاء في الكلمتين: "الغرق، الهدم" وإن لم تكن هناك حروف متشابهة، ولكن اتفقا في الوزن "فعل"؛ (ص ح ص + ص ح ص + ص ح ص)، الأمر الذي أدّى إلى حدوث إيقاع ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالدلالة المستفادة من الصيغ التي وُظِّفَتْ في الحديث.

(2)- حدّثنا موسى بن إسماعيل حدّثنا وهيب حدّثنا هشام عن أبيه عن حكيم بن حزام رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ. وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غَنَى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعْفَهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ.»⁽²⁾، لقد وظّف الرسول صلى الله عليه وآله الفعلين "يستغف، يستغني" على صيغة "استفعل" فقد «جعلوا "استفعل" في كل الأمر للطلب نحو استسقى واستطعم...»⁽³⁾، وقد يدلّ أيضاً على «الصّيرورة... استحجر الطّين أي صار حجراً.»⁽⁴⁾، فالرسول صلى الله عليه وآله «يَحْضُ الْغَنِيَّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَالْفَقِيرَ عَلَى التَّعَفُّفِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، أَوْ يَحْضُهُ عَلَى التَّعَفُّفِ وَيَذِمُّ الْمَسْأَلَةَ.»⁽⁵⁾، أي طلب من الفقير والغني مجاهدة نفسيهما، فالفقير

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الطب، باب: أجر الصّابر في الطّاعون، رقم الحديث: 5734، ص 1452).

(2) نفسه: (كتاب: الزّكاة، باب: لا صدقة إلا عن ظهر غنى، رقم الحديث: 1427، ص 347).

(3) ابن جنّي، مرجع سابق، 157/2.

(4) صالح سليم عبد القادر الفاخري، مرجع سابق، ص 216.

(5) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 348/3.

قُلُوبِ عِبَادِهِ وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ عِبَادَهُ الرَّحْمَاءَ.»⁽¹⁾، إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ قال: "الرحماء" (جمع تكسير)، ولم يقل: "الراحمون" (جمع مذكر سالم)، ومعلوم أنّ «جمع السالم بنوعيه يُفيد القلة... والتكسير يُفيد الكثرة.»⁽²⁾؛ لذلك استعمل الرسول ﷺ جمع التكسير للدلالة على كثرة الرحمة، واستغنى عن جمع المذكر السالم لفقدانه لهذه الدلالة، وإضافة إلى ذلك فإنّ تكسير «الصفات المشبهة أكثر من تكسير اسم الفاعل في الثلاثي إذ شَبَّهَهَا بالفعل أقل شبهة...» ويقول "ابن يعيش": «إنّ جمع الصفات جمعاً سالماً يدلّ على إرادة الحدث وجمعها جمع تكسير يُبعدها عن إرادة الحدث ويُقربها إلى الاسمية.»⁽³⁾.

إنّ الراحمين مفردها راحم، أمّا الرحماء فمفردها إمّا "رحيم" أو "رحمان" فـ «الرحمان» ذو الرحمة الشاملة للخلق، و"الرحيم" فعيل بمعنى فاعل وهو خاص بالمؤمنين، قال تعالى: "وكان بالمؤمنين رحيماً" وأورد عن "ابن عباس" -رضي الله عنهما- أنّه قال: "الرحمان والرحيم" اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، وعن مقاتل أنّه نقل عن جماعة من التابعين، مثله، وزاد "فالرحمان" بمعنى المترجم والرحيم بمعنى المتعطف.»⁽⁴⁾، إذا كانت "الرحمان الرحيم" صفتين متعلقتين بالله تعالى، فإنّ البشر من باب أولى أن يكونوا رحماء فيما بينهم، أو مع بقية المخلوقات، ومادامت كلمة "الرحماء" صفة للمؤمنين ومفردها إمّا أن يكون "رحمان" أو "رحيم"، و«من أبرز ما يميز صيغة "فعلان" عن "فعليل"، وهو أمر يُفيد في تفسير "الرحمان الرحيم" وغيرهما من الصفات، فإنّ صيغة (فعلان) تُفيد الحدوث والتجدد وصيغة (فعليل) تُفيد الثبوت، فجمع الله سبحانه لذاته الوصفين إذ لو اقتصر على (رحمان) لظنّ ظانّ أنّ هذه صيغة طارئة قد تزول كعطشان وريّان، ولو اقتصر على (الرحيم) لظنّ أنّ هذه صفة ثابتة، ولكن ليس معناها استمرار الرحمة وتجديدها؛ إذ قد تمر على الكريم أوقات لا يُكرم فيها، وقد تمرّ على الرحيم أوقات كذلك، والله سبحانه متصف بأوصاف الكمال فجمع بينهما حتّى يعلم العبد أن صفته الثابتة هي الرحمة، وأنّ رحمته مستمرة مُتجدّدة لا

(1) صحيح البخاري: (كتاب: التوحيد، باب: قول الله تبارك وتعالى: «قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ

الأسماء الحُسنى» (الإسراء: 110)، رقم الحديث: 7377، ص 1821.

(2) فاضل صالح السامرائي، مرجع سابق، ص 118.

(3) نفسه، ص 127.

(4) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 359/13.

تتقطع، حتى لا يستبد به الوهم بأن رحمته تُعرض ثم تتقطع، أو قد يأتي وقت لا يرحم فيه- سبحانه- فجمع الله كمال الاتّصاف بالرحمة لنفسه.»⁽¹⁾، إنَّ الشَّرح السابق للصَّفتين: "الرَّحمان-الرَّحيم" وهما ملازمتان لذات الله تعالى، ولكن "الرَّحماء" في الحديث النَّبويِّ عن المسلمين، ولذلك إمَّا أن يكون مفردا "رحمان" أو "رحيم"؛ فإذا كان "رحمان" فإنَّها تدلُّ على أنَّها صفة طارئة في الإنسان، يُمكن أن تزول، وأمَّا إن كان مفردا "رحيم"، فإنَّها تدلُّ على ثبوت صفة الرحمة عند الإنسان المسلم، ولكن الثَّبوت لا يدوم طويلاً، فقد يمرّ هذا الإنسان بلحظات يكون فيها فاقداً للرحمة تحت أي ظرف ما.

إضافة إلى ذلك إذا كانت الصِّفة المشبَّهة على وزن "فَعِيل" مثل "رحيم" وجمعها على وزن "فَعلاء" مثل "رحماء" «دالة على سجيّة مدح أو ذم.»⁽²⁾، وهنا دلَّت على المدح (رحيم). هناك جناس بين الكلمتين "رحيم" و"الرَّحماء"، وهذا ما أحدث جرساً موسيقياً من خلال تشابه الحروف واقتراب المعنى.

- البنية الإيقاعية للفعل "يرحم" هي: (ص ح ص + ص ح + ص ح).

- البنية الإيقاعية للصِّفة "الرَّحماء" هي: (ص ح ص + ص ح + ص ح ح ص).

- البنية الإيقاعية للصِّفة البديلة "الراحمون" هي: (ص ح ص + ص ح ح + ص ح ح ص).

من خلال البنية الإيقاعية لكلمة "الرَّحماء" نجد أنها توافقت جزئياً مع البنية الإيقاعية لكلمة "يرحم"، وهذا ما أحدث نوعاً من الإيقاع الموسيقي، في حين نجد التّباعد في الإيقاع بين "يرحم" و"الراحمون".

4- حدّثنا محمد بن بشار حدّثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ صلى الله عليه وآله قال: «لَوْ دُعِيْتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ.»⁽³⁾، فالرَّسول صلى الله عليه وآله قال: "كراع" ولم يقل: "فرسن".

(1) فاضل صالح السَّامرائي، مرجع سابق، ص 81.

(2) صالح سليم عبد القادر الفاخري، مرجع سابق، ص 230.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: الهبة وفضلها والتَّحريض عليها، باب: القليل من الهبة، رقم الحديث: 2568، ص 623).

لقد خصَّ الرسول ﷺ «الذراع والكرع بالذکر لیجمع بین الحقیق والخطیر؛ لأنَّ الذراع كانت أحبَّ إليه من غيرها والكرع لا قيمة له، وفي المثل "أعط العبد كُراعًا يطلب منك ذراعًا..." أشار عليه الصلاة والسلام بالكرع والفرس إلى الحض على قبول الهدية ولو قلت لئلا يمتنع الباعث من الهدية لاحتقار الشيء، فحض على ذلك لما فيه من التآلف.»⁽¹⁾.

إنَّ الرسول ﷺ يُشجِّع على قبول الدَّعوة أو الهدية، فقيمة الدَّعوة لا تُقاس بما يُقدَّم من أطعمة وأشربة، والهدية لا تُقدَّر بغلائها أو وضاعتها، وإنَّما بمدى المحبة والمشاعر التي يُكْنُها صاحب الدَّعوة أو الهدية اتجاه المدعويين، وما يُوطِّدُ عُرَى الصداقة، فنتفق مشاعر المدعويين مع المُلبِّين، وقد وظَّفَ الرسول ﷺ الذراع والكرع في حديثه كنماذج على الهدايا والعطايا المعروفة في ذلك الوقت، وتختلف هذه الهدايا حسب البيئات والأزمنة، ولكن يبقى العامل المشترك بينها في تراوحها بين الوضاعة والرِّفعة، والغاية من تقديمها.

- البنية الإيقاعية للاسم "كرع" هي: (ص ح + ص ح ح ص).

- البنية الإيقاعية للاسم البديل "فرس" هي: (ص ح ص + ص ح ص).

- البنية الإيقاعية للاسم "ذراع" والذي يُحَقِّق جناسًا مع الكلمة "كرع" هي: (ص ح + ص ح ح ص)، ما يُلاحظ عن البنية الإيقاعية للاسم "كرع" تطابقها مع البنية الإيقاعية لـ "ذراع" لأنَّهما يُحَقِّقان جناسًا: أمَّا البنية الإيقاعية للاسم "فرس" فهي بعيدة عن بنية كراع لذلك استغنى عنها الرسول ﷺ، واستعمل ما يتناسب دلاليًا وإيقاعيًا.

(1) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 236/5.

3- التكرار:

(1)- حَدَّثَنَا قَتِيبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا الْمَغِيرَةُ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «النَّاسُ تَبِعُوا لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ مُسْلِمُهُمْ تَبِعُوا لِمُسْلِمِهِمْ، وَكَافِرُهُمْ تَبِعُوا لِكَافِرِهِمْ.»⁽¹⁾، قال الرسول صلى الله عليه وسلم "تبع" ولم يقل: "تابعون"، أو "تابع"، حيث عدل عن صيغة اسم الفاعل إلى صيغة الصفة المشبهة، فـ «إذا أردت أن تُحوّل الصّفة المشبهة من الدّلالة على الثّبات إلى الحدوث حوّلتها إلى اسم الفاعل...، إن أردت ثبوت الوصف قلت (حسن)، وإن أردت حدوثه قلت: (حاسن) ولا تقول: (حسن)...، إذا قصد حدوث الصّفة المشبهة في الماضي أو الاستقبال حوّلت إلى فاعل فنقول في عفيف وشريف وحسن، عافّ وشارف وحاسن أمس وغداً، والظاهر أنّ الأمر كذلك إذا قصد حدوثها في الحال.»⁽²⁾، إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم عندما وظّف "تبع" بدلاً من "تابع" أو "تابعين" كان يهدف من ذلك ديمومة الاتباع للمسلمين أو الكفار، فالرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال هذا الحديث النبويّ كان خلال فترة تاريخية معينة؛ إلا أنّه كان يهدف من ورائه أيّ مسلم أو كافر خلال تلك الفترة، أو بعدها من العصور إلى غاية قيام الساعة، ومعلوم أنّ قريشاً كان لها موقف متباين من الدّعوة الإسلاميّة، فهناك المؤيّد والمعارض، فالذي أيّد الدّعوة صار مسلماً، والذي عارضها بقي كافراً، فمات الأول على إسلامه، والثاني على كفره، فنُتبت كل صفة؛ "الإسلام أو الكفر"، وصار ذلك عرفاً لكل إنسان جاء بعد مرحلة الدّعوة، فالمسلم يُنسب ويتبع مسلمي قريش، والكافر يُنسب ويتبع كفارها، فصفة الإسلام أو الكفر صفة دائمة وثابتة في صاحبها، وليست متجددة أو تحدث مرة بعد أخرى؛ لأنّه لا يصحّ أن يُنسب الإنسان إلى المسلمين تارة وإلى الكفار تارة أخرى إلا إذا كان في بداية حياته الدّينية، والنّسب الذي تحدّث عليه الرسول صلى الله عليه وسلم الملة التي يموت عليها الإنسان بغض النّظر عن بقية مراحل حياته.

إنّ الصّورة البديعية التي تضمّنها الحديث النبويّ تكرر كلمة "تبع"، ومعلوم أنّ التكرار يذلل على أهميّة الشيء المُكرّر، فالاتباع شرط أساسي في الانتساب ومعياري يُقاس به إيمان

(1) صحيح البخاري: (كتاب: المناقب، باب: قول الله تعالى: «يَأْيُهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» (الحجرات:13)، رقم الحديث: 3496، ص 865).

(2) فاضل صالح السامرائي، مرجع سابق، ص 43، 44.

أو كفر النَّاس، وهذا التكرار أحدث إيقاعاً موسيقياً، تقول المستشرقة "بربرا جنستون كوتش" في التكرار: «هو الإقناع خلال الصياغة، واللباسها إيقاعات نغمية، مُتكررة جميلة يهدف إلى استعماله السامع.»⁽¹⁾.

(2)- حدّثنا عُبيد بن إسماعيل حدّثنا أبو أسامة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي الرسول ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «أَمَّا إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكَ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتُ غَضَبِي قُلْتُ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَجَلٌ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا إِسْمَكَ.»⁽²⁾، فالرسول ﷺ قال: "غضبي" ولم يقل: "غاضبة"، وذلك أن "غضبي" وقعت في جملة معطوفة على "راضية"، وهي اسم فاعل، ولكن الرسول ﷺ عدل على اسم الفاعل إلى الصفة المشبهة، و«يرى النحاة أن الصفة المشبهة تدلّ على الثبوت والاستمرار، أي أنها تدلّ على أن الصفة تثبت في صاحبها على وجه الدوام نحو: جميل وطويل وكريم وأحمق وأسمر وأبيض وجواد وضخم.»⁽³⁾، و"غضبي" صفة على وزن "فعلى" والتي مُدكرها "فعلان" و«يدلّ هذا البناء على الامتلاء والخلو وحرارة الباطن كريان وعطشان.»⁽⁴⁾، و«"غضبي" مقصور كسكرى؛ لأنّ ما يُثبت في مُذكره النون، فمؤنثه مقصور؛ لأنّ مذكر غضبي غضبان، وسكرى سكران.»⁽⁵⁾، و«قالوا: غضبان غضبي، وقالوا: غضب يغضب غضباً جعلوه كعطش يعطش عطشاً وهو عطشان، ولأنّ الغضب يكون في جوفه كما يكون العطش...»⁽⁶⁾، أي أنّ السيّدة "عائشة" رضي الله عنها- عندما تكون مُمتلئة غيظاً من الرسول ﷺ فإنّها تقول: "لا ورب إبراهيم" فوظف الرسول ﷺ صيغة "غضبي" بدلاً من "غاضبة" دلالة على أنّ معظم الوقت هي غاضبة، وأمّا في حالة الارتياح والرّضى والقبول فقد استعمل صيغة "راضية"

(1) سليمة محفوظي، التكرار في الدراسات الحجاجية، مجلة دنيا الوطن، العدد9، 2011/11/04، ص2.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: النكاح، باب: غيرة النساء ووجدهن، رقم الحديث: 5228، ص 1332).

(3) فاضل صالح السامرائي، مرجع سابق، ص85.

(4) نفسه: ص78.

(5) ابن الملقن، التّوضيح لشرح الجامع الصّحيح، المحقق: دار الفلاح للبحث العلميّ وتحقيق التّراث، دار النوادر، دمشق،

سوريا، ط1، 1429هـ، 2008م، 117/25.

(6) فاضل صالح السامرائي، مرجع سابق، ص 79.

دلالة على أن أوقات الرضى قليلة الأمر الذي جعل رسول الله ﷺ يُوظف اسم الفاعل؛ والذي بدوره يدل على الدوام ولكن لا يصل إلى حد الصفة المشبهة.

اشتمل هذا الحديث على تكرار الصيغة:

إذا كُنْتِ + اسْم + فَإِنَّكَ تَقُولِينَ + قَسْمٌ مِنْفِي.

البنية الإيقاعية لكلمة "غضبي" هي: (ص ح ص + ص ح ح)، أما البنية الإيقاعية للكلمة البديلة "غاضبة" هي: (ص ح ح + ص ح ص)، فهناك اختلاف كبير في إيقاع الكلمتين وهذا راجع إلى اختلاف الصيغة: فاسم الفاعل على وزن: "فاعل" مع إضافة تاء التانيث، وأما الصفة المشبهة فهي على وزن "فعلى" والتي مذكورها على وزن "فعلان".

(3)- حدّثنا يحيى بن بكير حدّثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن حديث عائشة رضي الله عنها -زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله ممّا قالوا، وكل حدّثي طائفة من الحديث، وبعضهم حديثهم يصدق بعضاً وإن كان بعضهم أوعى من بعض - الذي حدّثني عروة عن عائشة رضي الله عنها أنّ عائشة رضي الله عنها زوج النبي قالت: ...فتشهد ﷺ حين صلى ثم قال: «أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَيُبْرِئُكَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ.»⁽¹⁾، لقد قال الرسول ﷺ للسيدة "عائشة" رضي الله عنها في حادثة الإفك: "ألمت" ولم يقل: "ملمة"، فالجملة: "إن كنت ألمت بذنب" معطوفة على الجملة: "إن كنت بريئة"، فالرسول ﷺ عدل عن اسم الفاعل إلى الفعل، فاسم الفاعل «يدلّ على ثبوت الوصف بالنسبة للفعل ولكنه يدلّ على الحدوث إذا ما قيس بالصفة المشبهة.»⁽²⁾، إذن فاسم الفاعل يقع وسطاً بين الفعل والصفة المشبهة، ومادام الرسول ﷺ وظّف فعلاً بدلاً من اسم الفاعل، فـ «ما الفرق بين الفعل الماضي واسم الفاعل الدال على المعنى؟ والجواب: إنّ اسم الفاعل يدلّ على ثبوت الوصف في الزمن الماضي ودوامه فيه بخلاف الفعل الماضي الذي يدلّ على

(1) صحيح البخاري: (كتاب: تفسير القرآن - سورة النور، باب: «لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ، بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا»

(النور: 12) إلى قوله: «الْكٰذِبُونَ» (النحل: 105)، رقم الحديث: 4750، ص 1186، 1190.

(2) فاضل صالح السامرائي، مرجع سابق، ص 42.

وقوع الفعل في الزمن الماضي لا على ثبوته ودوامه.»⁽¹⁾، إِنَّ السَّيِّدَةَ "عَائِشَةَ" -رضي الله عنها- من أمهات المؤمنين وهي مُتَرَفِّعة عن الخطايا والزلات التي يُمكن أن تقع فيها بقية النساء؛ لذلك قال لها الرسول ﷺ: "بريئة" دلالة على أنها لم ترتكب هذه الموبقة، وما قيل في حقها مجرد تهمة باطلة أُصِفَتْ بها، ثُمَّ وُظِّفَ فيما بعد صيغة الفعل الماضي بدلاً من اسم الفاعل لأنَّ وقوع السَّيِّدَةَ "عَائِشَةَ" -رضي الله عنها- في المعاصي وارتكابها للذنوب قليل؛ حتَّى أننا لا نجد لها أخطاء تُذكر إلا حادثة الإفك، وقد ثبت فيما بعد أنها مُبرأة منها، وأنزل الله في شأنها قرآناً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْثَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور: 11).

إنَّ اتهام السَّيِّدَةَ "عَائِشَةَ" -رضي الله عنها- بالفاحشة لا يتعدى الأيام التي سبقت نزول الآيات التي تُؤكِّد براءتها من التهم التي أُصِفَتْ بها، فالرسول ﷺ كان يعلم نهاية هذه المحنة؛ لذلك وُظِّفَ الصَّيغ المشتقة بكل دقة، وفي مكانها اللائق، فهو لم يُرد سبق الأحداث لأنَّه كان يعلم يقيناً براءتها، وأنَّ هذه الإشاعات مجرد ابتلاء وامتحان ليُعلم المؤمن من المنافق.

لقد استعمل الرسول ﷺ في هذا الحديث التكرار، وهو تكرار الصيغة:

إذا كنتِ + كلمة مشتقة + حرف الفاء + فعل، وهذا التكرار أدى إلى استعمال كلمات مشتقة مختلفة (صفة مشبهة، فعل ماضٍ)، وهذا الاختلاف أدى إلى اختلاف الإيقاع.

- التَّركيب المقطعيّ لكلمة: "بريئة" هو: (ص ح + ص ح ح + ص ح ص).

- التَّركيب المقطعيّ لكلمة "ألممت" هو: (ص ح ص + ص ح ص + ص ح).

- التَّركيب المقطعيّ للكلمة البديلة "مُلِّمَّة" هو: (ص ح + ص ح ص + ص ح ص).

فالتَّركيب المقطعيّ لكلمة "بريئة" تتوافق إيقاعياً مع التَّركيب المقطعيّ لكلمة "مُلِّمَّة"، ولكن لا يتوافق دلاليّاً مع غرض الرسول ﷺ لذلك عدل عنه إلى ما هو أنسب "ألممت".

(1) المرجع السابق: ص 44.

(4)- حدّثنا حجاج بن منهال حدّثنا شعبة قال: حدّثني عدي بن ثابت قال: سمعتُ البراء رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي صلى الله عليه وآله -أو قال: قال النبي صلى الله عليه وآله -: «الأنصارُ لا يُحبُّهم إلا مؤمنٌ، ولا يبغضهم إلا منافقٌ، فمن أحبَّهم أحبَّه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله، ولم يقل: "فمن يحبهم يحبه الله، ومن يبغضه الله، إذ أنه عدل عن صيغ المضارع إلى صيغ الماضي، وذلك لما للماضي من دلالات لا تتحقق في المضارع؛ لأنَّ «العدول عن المضارع إلى الماضي فلغرض بلاغي هو إفادة تحقق الوقوع، وذلك يكون في الأمور التي يعرض لها الشك فيعبر بالماضي عن المضارع رفعاً للشك وإثباتاً لليقين، إذ الماضي ممّا لا يشك وقوعه، وأمّا الشك فإتّما يعرض لما لا يقع. قال "ابن القيم": الفعل الماضي إذا أخبر به عن المضارع الذي لا يوجد بعد كان أبلغ وأكّد وأعظم موقّعا وأفخم بياناً لأنَّ الفعل الماضي يُعطي من المعنى ما يُفيد أنّه قد كان وجد وصار من الأمور المقطوعة بكونها وحدثها.»⁽¹⁾، فالرسول صلى الله عليه وآله عندما قال: "من أحبَّهم" أو "أبغضهم"، فإنّه يقصد: "من يُحبُّ" أو "يبغض"، والأكيد أنّه -في مكان ما أو زمان معين- ستأتي أقوام تنقسم إلى فريقين؛ فريق يُحبُّ الأنصار وفريق يكرههم؛ لأنَّ المحبة والبغض عبارة عن مشاعر، والمشاعر لا يُمكن ضبطها أو توجيهها حسب ما نريده ونتبغيه، فنحن المسلمون نُحبُّ الأنصار لأنهم نصروا الرسول صلى الله عليه وآله، واحتضنوا الدّعوة يوم تخلى عليه قومه وعشيرته، بينما نجد أعداء الإسلام يكرهونهم؛ لأنهم تمنّوا لو أنّ الأنصار خذلوا الرسول صلى الله عليه وآله حتّى تُجهض الرّسالة الإسلاميّة في مهدها، وأول هؤلاء الحاقدون اليهود: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: 32)، وكتعقيب عن هذه المشاعر المختلفة حول الأنصار بين مُحِبِّ وباغض سيكافئ الله تعالى النّاس كل حسب عمله، ومادامت المكافأة (المحبة أو البغض) مُؤكّدة الوقوع في المستقبل استعملها الرسول صلى الله عليه وآله بصيغة الماضي للدلالة على تأكيد الوقوع مستقبلاً.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: مناقب الأنصار، باب: حبّ الأنصار، رقم الحديث: 3783، ص 926، 927).

(2) ابن القيم الجوزيّة، فوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلوم البيان، تصحيح: محمود غانم غيث، مكتبة القاهرة، ط2، 1972م، ص 32، 33.

لقد تضمّن هذا الحديث صيغاً متكررة:

(لا...إلا...)، (مَن + فعل ماضٍ + فعل ماضٍ + لفظ الجلالة "الله").

- إنَّ التَّركيبَ المقطعيَّ للأفعال الماضية "أحبَّ، أبغض" هي: (ص ح + ص ح + ص ح) (ص ح ص + ص ح + ص ح).

- التَّركيبَ المقطعيَّ للأفعال البديلة "يُحبُّ، يبغض" هي: (ص ح + ص ح + ص ح) (ص ح ص + ص ح + ص ح).

رغم أنَّ التَّركيبَ المقطعيَّ للأفعال البديلة هو نفسه التَّركيبَ المقطعيَّ للأفعال المذكورة في الحديث النَّبويِّ إلا أنَّ الرَّسولَ ﷺ عدل عنها لا من أجل الإيقاع؛ لأنَّ الإيقاع نفسه وإنَّما لأنَّه لا يُحَقِّق الدَّلالة التي حَقَّقها الفعل الماضي.

خلاصة الفصل:

بعد دراسة الدلالة الإيقاعية للمعدول الصرفي في صحيح البخاري توصلنا إلى ما يأتي:

(1) - إنَّ الدلالة الإيقاعية للمعدول الصرفي في صحيح البخاري تتجسّد من خلال أقسام أساسية وهي: السّجع، الجناس، التّكرار.

(2) - ليست الغاية من ورود هذه الأقسام الثلاثة في صحيح البخاري مجرد إيقاع موسيقي وزخرفة لفظية فقط، فهي زيادة على ذلك وعظ وإرشاد، تربيّة وتعليم، لفت انتباه السّامعين لما سيُلقى عليهم.

(3) - إنَّ هذه الأقسام (السّجع، الجناس، التّكرار) تُضفي على الحديث النبويّ حلة جديدة، وما يزيد من جماليّته احتواءه على المعدول الصرفي.

(4) - إنَّ المعدول الصرفي في صحيح البخاري يجمع بين الدلالة والإيقاع، فالصيغ الصرفية المعدول إليها تُعطي دلالة أعمق، وتأثيراً أكثر لدى المتلقي، فنَتَحَقَّق أهداف عديدة لم يكن بالإمكان الوصول إليها لو وُظِّفَت الصيغ المعدول عنها.

(5) - إنَّ الصّور البديعية التي تُحَقَّق إيقاعاً في صحيح البخاري مختلفة النّسب فيما بينها؛ بل فيما بين المباحث الثلاثة؛ فالمبحث الأول كان ثرياً بالسّجع، وقَلَّ فيه الجناس والتّكرار، وأمّا المبحث الثاني فقد انعكست المعطيات فصار السّجع قليلاً، وكثُر الجناس والتّكرار ليظهر التّكرار بنسبة أكبر في المبحث الثالث.

الفصل الثالث

الدّلالة المعنويّة للعدول الصّرفيّ في

صحيح البخاري.

المبحث الأول: العدول الاسميّ

المبحث الثاني: العدول الفعليّ

المبحث الثالث: العدول بين الفعل والاسم

موضوع دراستنا الدلالة المعنوية للعدول الصرفي لصحيح البخاري، فالنقطة التي يتم التركيز عليها كلام الرسول ﷺ، «والهدف الرئيسي للغة هو نقل المعاني من المتكلم إلى السامع، ومن الكاتب إلى القارئ.»⁽¹⁾، ومادام المتكلم رسول الله ﷺ، والمتلقي هم الذين عاصروه من صحابة، أو أعداء (مشركين ويهود)، أو حتى المسلمين في أي مكان وزمان، فكان لا بد من معرفة الغاية من عدول الرسول ﷺ عن صيغ إلى أخرى.

إن علماء الدلالة وجدوا صعوبة كبيرة في تحديد المعنى؛ بل إن المعاجم العربية ورغم محاولاتها العديدة في ضبط معاني الكلمات إلا أن هذه المعاني تظل نسبية، ومعنى ذلك تدخل العديد من العوامل في تحديد المعنى كتركيب الكلام، والظروف المحيطة به، والعلاقة بين المتكلم والمتلقي، والاختلافات بين البيئات والمجتمعات البشرية، فصارت قضية تحديد المعنى مشكلة عويصة تُورق علماء الدلالة في كل عصر، وكثيراً ما تُؤدى إلى خلافات قد تنجر عنها فتن كان بالإمكان عدم وقوعها، ومرد ذلك يعود في الأساس إلى التأويل الخاطئ للكلمات التي تصدر عن المتكلم من قبل المتلقي، فيصِل إلى معانٍ ليست المقصودة من الكلام، فيحدث الخلاف عندئذٍ، ومن ثمة لا يتم التواصل بينهما، لذلك كان لزاماً على المتكلم أن يحكم صياغة كلامه ولا يدع مجالاً للشك أو التأويل، ففهم المعنى مرتبط بالاستعمال اللغوي، ومعرفته من قبل المتلقي، فإذا كان هذا حال الكلام العادي، فما بالك بالكلام المتضمن للعدول الصرفي، فيجب أن يكون أكثر دقة وأحَبك سياقة لتجنب التأويلات التي لا طائل منها⁽²⁾.

تعدُّ الدلالة المعنوية إحدى أنواع الدلالات والتي لا يمكن فصلها عن بعضها بعضاً، ويُقصد بالدلالة المعنوية «المعنى الذي يتحقق من تراكيب الكلام، وذلك من خلال العلاقات الإعرابية أو العلاقات التي يقسمها نظام الإعراب. وهي علاقات معنوية تنشأ في التركيب.»⁽³⁾، وقد أفرد "ابن جني" باباً خاصاً في كتابه "الخصائص" جمع فيه بين الدلالات

(1) محمد علي الخولي، علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2001م، ص64.

(2) ينظر: عليان بن محمد الحازمي، علم الدلالة عند العرب، مجلة أم القرى العلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها، ج15، العدد27، جمادى الثانية 1424هـ، ص709.

(3) محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء الدلالة "دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية"، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 1432هـ، 2001م، ص129.

الثلاث تحت اسم «باب في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية: يدلّ الفعل على الحدث بالدلالة اللفظية، وعلى الزمان بالصناعية، وعلى الفاعل بالمعنوية... علمًا أن كلّ واحد من هذه الدلائل مُعتد مُراعى مُؤثّر؛ إلا أنّها في القوة والضعف على ثلاث مراتب: فأقواهنّ الدلالة اللفظية ثم تليها الصناعية ثم تليها المعنوية، فمنه جميع الأفعال. ففي كل واحد منها الأدلة الثلاثة ألا ترى إلى قام ودلالة لفظه على مصدره، ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله. فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه.»⁽¹⁾، فالدلالات عند "ابن جني" تختلف عن بعضها من حيث القوة والضعف، فأقواها اللفظية ثم تليها الصناعية، فالمعنوية، ولا يمكن الفصل بينها إلا نظريًا.

مادام هذا الفصل يركز حول الدلالة المعنوية للعدول الصرفي، فإنّ دراستنا تكون وفقًا للمنهجية الآتية:

- عرض نماذج عن أنواع العدول الصرفي المختلفة من صحيح البخاري.
- الإشارة إلى الصنع الصرفية المعدول عنها.
- إظهار الحكم المستفادة من هذا العدول.

والجدير بالذّكر أنّ هذا الفصل يتضمّن ثلاثة مباحث: العدول من الأسماء، والعدول من الأفعال، والعدول بين الأسماء والأفعال، وسأتناولها من جانبها الدلاليّ مع تقديم تفسيرات وتحليلات لها.

(1) ابن جني، الخصائص، 3/349، 100.

المبحث الأول

العدول الاسميّ

أولاً: العدول في الجنس

ثانياً: العدول في العدد

ثالثاً: العدول في المعرفة

رابعاً: العدول بين الضمائر

خامساً: العدول في المصادر والمشتقات

لقد تضمّن العدول الاسمي دلالات معنوية لم تكن لنراها لو وردت بصيغها الأصلية،
ومن أنواع العدول الاسمي نذكر ما يلي:

أولاً: العدول في الجنس

1- العدول عن المذكر إلى المؤنث: من الأحاديث النبوية الشريفة الموجودة في
صحيح البخاري، والتي احتوت عدولاً صرفياً ذا دلالة معنوية نُورِدُ ما يلي:

(1)- حدّثنا محمد بن سنان، حدّثنا فليح، حدّثنا هلال عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قام على المنبر فقال: «إِنَّمَا أَحْسَى عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يَفْتَحُ
عَلَيْكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ... إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ، وَإِنَّهُ كُلُّ مَا يُنْبِثُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ
حِنْطًا أَوْ يُلْمُ، أَكَلْتُ حَتَّى إِمْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا وَاسْتَقْبَلَتْ عَيْنَ الشَّمْسِ، فَتَلَطَّتْ وَبَالَتْ ثُمَّ
رَتَعَتْ، وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فِعِمَّ صَاحِبَ الْمُسْلِمِ لِمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ...»⁽¹⁾.

إنّ العدول كان في كلمة "خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ"؛ فكان من الممكن أن يقول صلى الله عليه وآله: "خَضِرٌ حُلُوٌّ"؛
لأنّ الكلام يتعلق بالمال، فهناك من يَعتَبِرُ أنّ المال اسم مؤنث، وهناك من يراه اسماً مذكراً؛
«لأنّ قوله: (خضرة حلوة) لم يأت على الصّفة، وإنّما أتى على التّمثيل والتّشبيه، كأن قال:
إنّ هذا المال كالبقلة الخضرة الحلوة، ونقول: إنّ هذا السّجود حسنة، قال "المهلب": وفيه
جواز ضرب الأمثال في الحكمة، وإن كان لفظها بالبراز والبول والكلام الوضعي، وفيه جواز
اعتراض التّلميز على العالم في الأشياء المجملة حتّى يفسر له ما بيّن معناها، وفيه دليل
على أنّ الاعتراض إذا لم يكن موضعه بيتاً أنّه مُنكّر على المُعترض به، ألا تراهم أنكروا
على السائل.»⁽²⁾.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل التّفقّة في سبيل الله، رقم الحديث: 2842، ص703).

(2) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرّشد، الرياض، السّعودية، ط2، 1423هـ،
2009م، 490/3.

فالتأنيث ورد من قبيل التشبيه أو التمثيل لا لكون الكلمة مؤنثة تأنيثاً حقيقياً، وهناك تفسير آخر لهذا العدول، فالمال خَصْرَةٌ خُلُوَةٌ فهو «روضة خضراء أو شجرة ناعمة غضة مستحلاة الطعم»⁽¹⁾.

وهناك من يُفسّر هذا العدول تفسيراً آخر ويرى بأن «التاء فيهما للمبالغة قَوْلُهُ وإن بكل ما أنبت الربيع أي الجدول، وإسناد الإثبات لله مجازي والمنبت في الحقيقة هو الله تعالى، وفي رواية هلال وأن ما يُنبث ومما في قوله: مما يُنبث للتكثير، وليست للتبويض»⁽²⁾.

وهناك تفسير آخر وأخير لهذا التأنيث حيث «قال "الزركشي": تأنيث الخبر تنبيه على أن المبتدأ مؤنث والتقدير أن صورة هذا المال أو يكون التأنيث للمعنى لأنه اسم جامع للأشياء كثيرة والمراد بالخضرة الروضة الخضراء أو الشجرة الناعمة والحلوة المستحلاة الطعم بإشراف نفس أي تطلع إليه وتطمع فيه»⁽³⁾.

فهذا التفسير الأخير عالج العدول من الجانب النحوي، فكلمة "خضرة" هي خبر مؤنث؛ لأن المبتدأ مؤنث والذي كان تقديره "صورة هذا المال"، أو أن الاسم مؤنث معنى.

(2) - حدّثنا مسدد، حدّثنا حماد، عمرو بن دينار، عن طاوس، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «وَقَفْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ذَا الْحُلَيْفَةِ، وَلِأَهْلِ الشَّامِ الْجُحْفَةِ، وَلِأَهْلِ نَجْدِ قَرْنَ الْمَنَازِلِ، وَلِأَهْلِ الْيَمَنِ يَلْمَمَ، فَهَنَّ لَهُنَّ، وَلَمِنَ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ لِمَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ...»⁽⁴⁾، ففي الحديث النبوي عدول عن "لهم" إلى "لهن" ف «(لهن) الضمير المؤنثات، وكان مقتضى الظاهر أن يكون (لهم) بضمير المذكّرين، فأجاب "ابن مالك" بأن عدل إلى ضمير المؤنثات لقصد التشاكل وكأنه يقول: ناب ضمير عن ضمير بالقرينة لطلب التشاكل وأجاب غيره بأنه على حذف مضاف أي: هن لأهلهن. أي: هذه المواقيت لأهل هذه البلدان بدليل قوله الآتي: (ولمن أتى عليهن من غير أهلهن)، فصرّح بالأهل ثانياً.

(1) القرطبي، مرجع سابق، 81/3.

(2) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 246/11، 247.

(3) السيوطي، حاشية السندي على سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 2، 1406هـ، 1986م، 60/5.

(4) صحيح البخاري: (كتاب: الحج، باب: مهل أهل الشام، رقم الحديث: 1526، ص371، 372).

قال "النوّي": الضّمير في (لهنّ) عائد على المواضع والأقطار المذكورة هي المدينة، والشّام واليمن ونجد أي: هذه المواقيت لهذه الأقطار، والمراد لأهلها، فحذفت المضاف وأقام المضاف إليه مقامه... (هنّ لهنّ) أي: المواقيت للجماعات المذكورة أو لأهلها على حذف المضاف، والأول أي: (لهم) بضمير المُذَكَّرين هو الأصل، ووقع في باب مهل أهل اليمن بلفظ: (هن لأهلها) وقوله (هن) ضمير جماعة المؤنث وأصله لمن يعقل، وقد استعمل فيما لا يعقل لكن فيما دون القشرة. (1).

فلهن يعود على المواضع والأقطار المذكورة في الحديث النبوي الشريف (أهل المدينة وأهل الشّام، وأهل اليمن وأهل نجد).

2- العدول عن المؤنث إلى المذكر:

(1) - حدّثنا هُدْبَةُ بن خالد حدّثنا هَمَّام عن قتادة. وقال لي خليفة: حدّثنا يزيد بن زُرَيْع حدّثنا سعيد وهشام قالوا: حدّثنا قتادة حدّثنا أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ - وَذَكَرَ يَعْنِي: رَجُلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ - فَأُتِيَتْ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَلَانَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشَقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مِرَاقِ الْبَطْنِ، ثُمَّ غَسَلَ الْبَطْنَ بِمَاءٍ زَمَزَمَ، ثُمَّ مَلَى حِكْمَةً وَإِيمَانًا. وَأُتِيَتْ بِدَابَةِ أَبْيَضٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ الْبُرَاقُ، فَأَنْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ...» (2)، فالرسول ﷺ عدل عن "بيضاء" إلى "أبيض" على اعتبار أن بيضاء صفة لكلمة دابة، ف «ذكر الصّفة نظرًا إلى كونها بمعنى المركوب أي أتاني بمركوب أبيض.» (3)، فكلمة أبيض تعود على المركوب، والمقصود هنا البراق، ف «قوله: (أتيت بدابة أبيض) ولم يقل: بيضاء، لأنه أعاده على المعنى، أي بمركوب أو

(1) المباركفوري، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، إدارة البحوث العلميّة والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفيّة، بنارس الهند، ط3، 1404هـ، 1984م، 349/8.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: بدء الخلق، باب: بكر الملائكة، رقم الحديث: 3207، ص793، 794).

(3) محمد الأمين بن عبد الله الشافعي، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البروفيسور هاشم محمد علي مهدي، مستشار رابطة العالم الإسلامي، مكّة المكرمة، دار المنهاج، دار طوق الحياة، ط1، 1430هـ، 2009م، 200/4.

براق.»⁽¹⁾، لقد أجمعت جميع التفسيرات على أنّ السبب في العدول عن "بيضاء" إلى "أبيض" يعود إلى تقدير المحذوف وهو "المركوب" أو "حيوان البراق".

(2) قال عبدان: أخبرنا عبد الله، أخبرنا يونس، عن الزهري، حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا... حدثنا يونس، عن ابن شهاب، قال: قال أنس بن مالك كان أبو ذر رضي الله عنه يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جَبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ، بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطُسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَعَهَا مِنْ صَدْرِي...»⁽²⁾، فالعدول كان في كلمة "ممتلئ" فالكلام عن "طست" فالمفروض أن تكون "ممتلئة"، فطست «أصله: طسّ سين مدغمة فقلبت الثانية تاء لقرب المخرج (ممتلئ حكماً وإيماناً) أي: معارف إلهية أصولاً أو فروعاً، وتقديم الحكمة على الإيمان لأن الإيمان كان موجوداً أو أكثر أسلوب الترقى، وكونها في آنية الذهب لأنها أشرف أواني الجنة، وأما كون آنية الذهب لا يجوز استعمالها لا يرد فإن هذا أمر من عالم الملكوت خارق للعادة، وأيضاً الحرمة إنما هي على أمته والاستعمال هنا من الملائكة فلا إشكال.»⁽³⁾، فكلمة طستٍ مذكر وإنما حدث إدغام وقلب، فحسب كلام "أحمد بن إسماعيل" ليس هناك عدول، ولكن هناك من يرى بأن طست مؤنثة، وهو "موسى شاهين" فهو يرى أنّ «التذكير في "ممتلئ" على معناها وهو الإناء.»⁽⁴⁾.

وهو نفس الرأي الذي ذهب إليه "الدماميني"؛ حيث يرى أنّ كلمة «(ممتلئ) دُكِّرَ على معنى الإناء، وإلا فالطست مؤنثة.»⁽⁵⁾.

فما يُلاحظ على الأحاديث التي ورد فيها عدول كان سببه في الأساس الكلمة المحذوفة أو المقدرة، فهي التي جعلتنا نرى عدولاً عن المذكر إلى المؤنث أو العكس.

(1) ابن الملقن، مرجع سابق، 20/19.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: الحج، باب: ما جاء في زمزم، رقم الحديث: 1636، ص 821، 822).

(3) الكوراني، مرجع سابق، 28/2.

(4) موسى شاهين لاشين، مرجع سابق، 546/1.

(5) الدماميني، مصابيح الجامع، تحقيق وضبط وتخريج: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط1، 1426هـ، 2005م، 67/2.

الحديث الأخير ذُكر فيه الطست من ذهب ومعلوم أنه محرم الشرب أو الأكل في إناء من ذهب ولكن «فيه من الفقه أنه قال: بطست من ذهب، والإشارة بذلك إلى أن الذهب لا يصدأ فلا يُخالط ما يُلقى فيه بشيء من صدئه، وكونه أيضاً استعمل الذهب في حقه مع أنه نهى عن استعمال آنية الذهب لأن ذلك الطست الذي جاء به "جبريل" ليس من ذهب الدنيا الذي تناوله التحريم بل هو عطاء الله وإنعامه المستثنى فلا يتناوله تحريم.»⁽¹⁾.

فالسبب في استعمال الإناء المصنوع من الذهب لاعتبارين:

- الأول: لأن الذهب لا يصدأ فلا يختلط بما يُلقى فيه.
- أمّا الثاني: فلأنه عطية وإنعام من الله تعالى لعباده المؤمنين الداخلين للجنة، ولا ردّ لعطية الله تعالى.

ففي الحديث النبويّ عدول في الكلمات "تُقيمه" و"كسرتها" و"تركته" وهو عدول عن "تقيمها" و"كسرتها" و"تركها"، إن عبارة «فإن ذهباً تُقيمه» يرجع إلى الضلع لا إلى أعلاه، وهو يُذكر ويُؤنث.⁽²⁾.

فالهاء في الكلمات التي تمّ فيها عدول يرجع إلى الضلع لا إلى أعلاه، وبالتالي فيمكن تذكير الضمير المتصل أو تأنيثه.

وفي رواية أخرى «المرأة كالضلع: إن أقمته أو كسرتها، وإن استمتعت بها وفيها عوج.»⁽³⁾، وهناك تفسير آخر للحديث (إذا ذهباً تُقيمه كسرتها) ضمير المؤنث للمرأة، بدليل قوله: «وإن تركتها استمتعت بها وفيها عوج»، وبدليل في قوله في الرواية الثالثة: "وكسرها طلاقها."، وقيل: الضمير المؤنث في "إذا ذهباً تُقيمه كسرتها" للضلع، وهي

(1) أبو المظفر الشيباني، الإفصاح عن معاني الصحاح، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، (دط)، 1417هـ، 153/2.

(2) محمد بن علي الشوكاني، نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصبايطي، دار الحديث، مصر، ط1، 1413هـ، 1993م، 243/6.

(3) أبو المظفر الشيباني، مرجع سابق، 159/7.

تُذَكَّر وتُؤنَّث، وجملة "تُقيّمها" في موضع النصب على الحال، وفي الرواية الرابعة "إن ذهبَت تُقيّمه كسرته" تذكير الضمير فهو عائد على الضلع.»⁽¹⁾.

فالضمير في الجمل الفعلية (تُقيّمها)، (كسرتها)، (تركتها) يعود على الضلع، و«الضلع مؤنث، فكان مقتضى الظاهر أن يُقال: أعلاها: لكنّه أعاد الضمير مذكراً على تأويله بالعضو، وكذا في قوله: "إن ذهبَت تُقيّمه، كسرتها، وإن تركته لم يزل أعوج"، وقال "الزركشي": تأنيثه غير حقيقي، فلذلك: جاز التذكير في هذه الضمائر العائدة عليه.»⁽²⁾، فالتأنيث في الحديث هو تأنيث غير حقيقي لذلك جاز التذكير كما جاز التأنيث على حد سواء.

(1) موسى شاهين لاشين، مرجع سابق، 45/6.

(2) الدماميني، مرجع سابق، 100/7.

ثانيًا: العدول في العدد

1- العدول عن المفرد إلى المثنى:

الأحاديث التي تضمّنت عدولاً عن المفرد إلى المثنى قليلة في صحيح البخاري ومن هذه القلة القليلة نذكر الحديثين الآتيين:

(1)- حدّثنا عمرو بن عباس قال: حدّثنا ابن المهديّ قال: حدّثنا منصور بن سعد عن ميمون بن سيّاه عن أنس بن مالك قال: رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا، وَأَكَلَ نَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْفَرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ.»⁽¹⁾، إنَّ الرَّسُولَ ﷺ عدل في حديثه عن ذكر لفظة ذمة مرة واحدة إلى ذكر مرتين أي عدول عن المفرد إلى المثنى أي أننا عندما نسمع الحديث النبويّ نعتقد أنّ الرسول ﷺ سيقول في حديثه: "... له ذِمَّةُ اللَّهِ ورسوله" بدلاً من قوله: "... له ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ"؛ حيث «كرر لفظة (ذِمَّة) إشعاراً بأنّ كلاً منهما مقصود، وأنّ الأصل الأول، وأنّ كلاً منهما متلازمان، ولذلك اقتصر عليه في قوله: ("فلا تُخفروا الله في ذِمَّتِهِ.") من الإخفار.»⁽²⁾، ففي هذا تكرار «الذِمَّة مع الله ورسوله، لأنّه كان يكفي الاختصار على ذكرها مرة واحدة لقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: 80).»⁽³⁾.

في هذا الحديث ذُكِرَ كلمة "ذِمَّة" مع الله، ورسوله، وفي الوقت نفسه «لم يذكر الرسول كما ذَكَرَ أولاً، لأنّه ذُكِرَ الأصل لحصول المقصود به ولاستلزامه عدم إخفاره ذِمَّة الرسول، وأمّا ذِكْرُه أولاً فللتأكيد وتحقيق عصمته مطلقاً.»⁽⁴⁾، ففي هذا الحديث عدول عن المفرد إلى المثنى لا في تركيب الكلمة وإنّما في العدد، فكلمة ذِمَّة ذُكِرَتْ مكررة بدلاً من ذكرها مرة واحدة.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الصلاة، باب: فضل استقبال القبلة، رقم الحديث: 391، ص 108).

(2) القاري، مرجع سابق، 82/1.

(3) علي علي صبح، مرجع سابق، ص 66.

(4) بدر الدّين العيني، مرجع سابق، 125/4.

(2)- حدّثنا محمد بن أبان قال: حدّثنا عُندر قال: حدّثنا شعبة عن أبي التّياح قال: سمعتُ حُمران ابن أبي أبان يُحدّث عن معاوية قال: «إِنَّكُمْ لَتُصَلُّونَ صَلَاةً لَقَدْ صَحِبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَمَا رَأَيْنَاهُ يُصَلِّيَهَا، وَلَقَدْ نَهَى عَنْهُمَا.»، يعني الرّكعتين بعد العصر (1).

لقد عدل الرسول ﷺ في هذا الحديث عن قوله "ولقد نهى عنها" إلى «(ولقد نهى عنهما) بضمير التثنية، ولـ "أبي ذر" عنها بالضمير المفرد، أي عن الصّلاة قال الحافظ: وقع الخلاف بين الرواة في قوله: ولقد نهى عنها أو عنهما، كما وقع في قوله: يُصليهما أو يُصليها. قلت: وقع في رواية "البيهقي" يُصليها وعنهما بالضمير المفرد، وهي تدلّ على أنّه ليس عند "معاوية" حديث مستقل في النهي عن خصوص هاتين الرّكعتين؛ بل هو الحديث العام فقط، فذكر النهي عنهما تمسكاً بالعموم، وأمّا رواية عنهما أي بتثنية الضمير فيحتمل أن يكون عنده حديث خاص في النهي عن الرّكعتين، ويُحتمل أن يكون هو الحديث العام فقط، ثم أدخلهما هو في عمومهما، وذكر النهي عنهما تمسكاً بالعموم، وهذا هو ظاهر لرواية عنها، فإنّها نص في أنّه ليس عنده إلا الحديث العام.» (2)، إنّ ذكر كلمة "عنهما" يُقصد بها -كما ذكر في نهاية الحديث- "الرّكعتان بعد العصر" ولو ذُكرت كلمة "عنها" فيُقصد بها الصّلاة التي صلاها الرسول ﷺ ومعه الصحابة.

2- العدول عن المفرد إلى الجمع:

- حدّثنا حامد بن عمر، حدّثنا أبو عوانة عن حصين، عن عامر، قال: سمعتُ النّعمان بن بشير رضي الله عنهما وهو على المنبر يقول: «أعطاني أبي عطية، فقالت عمرّة بنتُ رواحة: لا أرضى حتّى تشهد رسول الله ﷺ، فأتى رسول الله ﷺ، فقال إني أعطيتُ ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله، قال: "أَعْطَيْتِ سَائِرَ وُلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟" قال: لا، قال: "فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ."» (3)، إنّ الرسول ﷺ قال: «فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم.» بدلاً من قوله: «فاتق الله واعدل بين أولادك، وإنّما جمع الضمير ليشمل كل من على شاكلته، فكأنّه يقول: اتقوا الله يا من تفعلوا هذا الفعل واعدلوا بين

(1) صحيح البخاري: (كتاب: مواقيت الصّلاة، باب: لا تتحرى الصّلاة قبل غروب الشّمس، رقم الحديث: 587، ص 149).

(2) المباركفوري، مرجع سابق، 477/3.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: الهبة وفضلها والنّحرير عليها، باب: الإشهداد في الهبة، رقم الحديث: 2587، ص 628).

أولادكم»⁽¹⁾، فالرسول ﷺ عدل عن مُخَاطَبَةِ المفرد إلى الجماعة، «وفي خطاب العام إشارة إلى عموم الحكم»⁽²⁾.

فما دام الرسول ﷺ مربّي المسلمين الأوّل لذلك غيّر الكلام من مُخَاطَبَةِ المفرد إلى مُخَاطَبَةِ الجماعة فتقوى الله والعدل بين الأبناء لا يقتصر على والد "النعمان بن بشير"، ولا الصحابة في ذلك الزّمان فقط؛ بل يتعدّاه إلى جميع الآباء في كل حينٍ وأنّ.

3- العدول عن المثني إلى المفرد:

- حدّثنا قتيبة، حدّثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح وهو بمكة: «إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ، وَالْمَيْتَةِ وَالْخَنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ...»⁽³⁾، هناك عدول عن عبارة: "حَرَّمَ بَيْع الخمر والميئة... إلى عبارة: "حرم بيع الخمر والميئة..."، فقد «صَحَّتِ الرَّوَايَةُ "حَرَّمَ" مُسْتَنَدًا إِلَى ضَمِيرٍ وَاحِدٍ، وَكَانَ أَصْلُهُ: حَرَمًا، لِأَنَّهُ تَقَدَّمَ اثْنَانِ، وَلَكِنْ تَأَدَّبَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى فِي ضَمِيرِ الْاِثْنَيْنِ، لِأَنَّهُ هَذَا مِنْ نَوْعِ مَا رَدَّهُ عَلَى الْخَطِيبِ الَّذِي قَالَ: وَمَنْ يَعْصِيهِمَا فَقَدْ غَوَى، فَقَالَ لَهُ: "بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله"...، وصار هذا مثل قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾⁽³⁾ (التوبة:3)، فيمن قرأه بنصب "رسوله"، غير أنّ الحديث فيه تقديم وتأخير، لأنّه كان حقه أن يُقدّم: حرم على رسوله، كما جاء في الآية»⁽⁴⁾، فعدم الجمع بين الرسول ﷺ وذات الله تعالى يرجع في أصله إلى تأدّبه مع الله، «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ، لَيْسَ فِيهِ: وَرَسُولُهُ، وَقَدْ وَقَعَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ جَزَّهَا، بِالتَّنْبِيَةِ وَهُوَ الْقِيَاسُ، وَهَكَذَا رَوَاهُ "ابن مردويه" في تفسيره من طريق "الليث" أيضًا، والمشهور في الرواية الأولى، ووجهه: أنّه لما كان أمر الله هو أمر رسوله، وكان النبي ﷺ لا يأمر إلا بما أمر الله به، كان كأنّ الأمر واحد»⁽⁵⁾، إذن فالتّحريم صادر من عند

(1) موسى شاهين لاشين، المنهل الحديث في شرح الحديث، دار المدار الإسلامي، ط1، 2002م، 30/3.

(2) القاري، مرجع سابق، 2008/5.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: البيوع، باب: بيع الميئة والأصنام، رقم الحديث: 2236، ص533).

(4) القرطبي، مرجع سابق، 461/4.

(5) بدر الدين العيني، مرجع سابق، 24/12.

الله تعالى، والرَّسول ﷺ لا يتعارض في رأيه مع رأي الله تعالى لذلك كان تحريمه للخمر والميتة... تحصيلاً حاصلًا ولا داعي لتصريف الفعل مع ضمير المثني و«تقريره (أن الله) أي بالحقيقة (ورسوله) أي: بالمجاز والتبعية (حرم بيع الخمر): أو المراد أن الله تعالى بين في كتابه حُرمة الخمر وجَعَلها رجسًا. وحرم بيعها، ورسوله أيضًا بين حُرمتها في أحاديثه وكذا معنى قوله: (والميتة والخنزير والأصنام)، أي إن كانت من ذهب أو فضة، وقال "الطَّيْبِي" رحمه الله: وذكَّر الله تعالى قبل ذِكر رسوله ﷺ توطئة لذكره إيدانًا بأنَّ تحريم الرَّسول بيع المذكورات لتحريم الله تعالى لأنَّه رسوله وخليفته.»(1).

هناك بعض الروايات التي ذُكر فيها «(حرمًا) بالتثنية، لأنَّ الضمير يرجع إلى الله ورسوله ﷺ، وعلى هذه الرواية التي فيها الإفراد(حرم) فإنه يُقال فيها: إنَّ الضمير يرجع إلى الثاني الذي هو الرَّسول ﷺ والضمير الذي يرجع إلى الله محذوف وتقديره: إنَّ الله حرم ورسوله حرم، فيكون خبر الأول محذوفًا والثاني موجودًا، ويكون هذا مثل قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة: 62).»(2)، فالضمير المستتر في جملة(حرم) يعود على الرسول ﷺ، أمَّا الضمير الذي يعود على الله تعالى فهو محذوف، وهذا بالاعتماد على ما ورد في (الآية 62 من سورة التوبة)، وبالتحديد في قوله تعالى: "...أن يرضوه" فالضمير المتصل عائد على الرَّسول ﷺ.

4- العدول عن المثني إلى الجمع:

(1)- حدَّثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري، قال: أخبرني سعيد بن المسيب، أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: "يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلا العواف" يريد عوافي السباع والطيور « وَأَخْرَجَ مَنْ يُحْشَرُ، رَاعِيَانِ بَلَاغًا ثَنِيَّةً الْوَدَاعِ حَزًّا عَلَى وَجْهِهِمَا.»(3)، عدل الرَّسول ﷺ عن قوله: "وجهيهما" إلى "وجوههما"، فهو عدول عن المثني إلى الجمع، وقد «قال "المنائوي": وإيقاع الجمع موقع التثنية جائز وواقع في كلامه إذ لا

(1) القاري، مرجع سابق، 1895/5.

(2) العباد، شرح الأربعين النووية، دار التوحيد للنشر، الرياض، (دط)، (دت)، 19/35.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: فضائل المدينة، باب: من رغب عن المدينة، رقم الحديث: 1874، ص451).

فقال: «إِنَّ أَوْلَيْكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا...»⁽¹⁾، فجملة «رأيناها» و«أصلها رأتاها»، وقوله (رأيناها)، بصيغة جمع المؤنث من الماضي، وإنما جمع باعتبارين كان مع «أم حبيبة» و«أم سلمة» وفي رواية «الكشميهني» و«الأصيلي»: (رأتاها)، على الأصل بضمير التثنية. «⁽²⁾»، فتفسير صيغة جمع المؤنث في الجملة (رأيناها) بدلاً من المثني، فيعود في الأساس إلى أن «أم حبيبة» و«أم سلمة» ليستا الوحيدتين اللتين كانتا قد هاجرتا إلى «الحبشة» وشاهدتا الصور الموجودة في الكنيسة؛ بل كانت هناك مجموعة من النساء الأخريات، ولكن هناك من يروي الحديث برواية المثني (رأتاها) على غرار «الكشميهني» و«الأصيلي» رفعاً لأي لبس، واجتناباً لأي عدول في الحديث النبوي الشريف.

إن جملة «(رأتاها) تلفظ التثنية وفي بعض رأيناها بلفظ الجمع باعتبار أن أقلّ الجمع اثنان.»⁽³⁾، فليس هناك فرق بين المثني والجمع لأنّ الجمع أقلّه اثنان، وهناك من يجمع بين جميع هذه الآراء المتباينة كـ«مجد الشنقيطي» عندما يُعلّق على عبارة: (رأيناها بالحبشة) بإسنادها إلى نون الجمع بقوله: «إِنَّ أَقْلَ الْجَمْعِ اثْنَانِ، أَوْ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مَعَهُمَا غَيْرُهُمَا مِنَ النِّسْوَةِ، وَ«أبي ذر والأصيلي»: رأتاها بالمتناة الفوقية بضمير التثنية على الأصل. وفي رواية رأياها، بالمتناة التّحتية.»⁽⁴⁾.

وقد نهج هذا المنهج «شمس الدين البرمادي» حينما قال: «(رأتاها) بالتثنية وفي بعضها: (رأيناها) بنون الجمع، إمّا لأنّ أقلّ الجمع اثنان، أو معهما غيرهما من النسوة.»⁽⁵⁾، فجميع التفسيرات لم تخرج عن إحدى هذه التفسيرات الثلاثة:

– إذا كانت الجملة (رأتاها) فإنّ الكلام متعلق بـ«أم حبيبة» و«أم سلمة».

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الصلاة، باب: هل تُنْبَشُ قبور مشركي الجاهلية، ويُتخذ مكانها مساجد، رقم الحديث: 427، ص116).

(2) بدر الدين العيني، مرجع سابق، 4/173.

(3) شمس الدين الكرمانّي، مرجع سابق، 4/88.

(4) الشنقيطي، كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، مؤسسة بيروت، ط1، 1415هـ، 1995م، 7/120.

(5) شمس الدين البرمادي، اللامع الصّبيح لشرح الجامع الصّحيح، تحقيق ودراسة: لجنة من المحقّقين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط1، 1433هـ، 2012م، 3/184.

- أما إذا كانت الجملة (رأيتها) فله احتمالان:

*الأول: الكلام مُتَعَلِّقٌ كَذَلِكَ بِـ "أُمِّ حَبِيبَةَ" و"أُمِّ سَلْمَةَ" على اعتبار أن أقل عدد للجمع هو اثنان.

*الثاني: الكلام مُتَعَلِّقٌ بِـ "أُمِّ حَبِيبَةَ" و"أُمِّ سَلْمَةَ" وغيرهما من النساء اللاتي هاجرن إلى الحبشة رفقة بقيّة المهاجرين السابقين للإيمان والهجرة.

(4)- حَدَّثَنَا عَثْمَانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ مَجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حَيْطَانِ الْمَدِينَةِ، وَمَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذِّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا...»⁽¹⁾، فَقَدْ عَدَلَ الرَّسُولُ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ: "قَبْرِيهِمَا" إِلَى "قَبُورِهِمَا" فـ «(قَبُورِهِمَا) أَي: حَالِ كَوْنِهِمَا يُعَذِّبَانِ وَهُمَا فِي قَبْرِيهِمَا وَإِنَّمَا قَالَ: (فِي قَبُورِهِمَا)، مَعَ أَنَّ لِهَافِي قَبْرَيْنِ؛ لِأَنَّ فِي مِثْلِ هَذَا اسْتِعْمَالَ التَّنْثِيَةِ قَلِيلٌ، وَالْجَمْعُ أَجْوَدُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ (التَّحْرِيمُ: 4)، وَالْأَصْلُ فِيهِ أَنَّ الْمُضَافَ إِلَى الْمُثْنَى إِذَا كَانَ جُزْءًا مِمَّا أُضِيفَ إِلَيْهِ يَجُوزُ فِيهِ التَّنْثِيَةُ وَالْجَمْعُ، وَلَكِنْ الْجَمْعُ أَجْوَدُ نَحْوُ: أَكَلْتُ رَأْسِي شَاتَيْنِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ جُزْءٍ، فَالْأَكْثَرُ مَجِيئُهُ بِلَفْظِ التَّنْثِيَةِ نَحْوُ: سَلَّ الرَّيْدَانُ سَيْفِيهِمَا، وَإِنْ أَمِنَ اللَّبْسُ جَازَ جَعْلُ الْمُضَافِ بِلَفْظِ الْجَمْعِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: (فِي قَبُورِهِمَا)، وَقَدْ تُجْمَعُ التَّنْثِيَةُ وَالْجَمْعُ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ظَهَرَا مِثْلَ ظُهُورِ التَّرْسِينِ.»⁽²⁾.

ففي عبارة (يُعَذِّبَانِ فِي قَبُورِهِمَا) يجوز التَّنْثِيَةُ وَالْجَمْعُ على حد سواء، ولكن من الأفضل الجمع؛ حيث «كان الظاهر أن يُقال: في قَبْرِيهِمَا، لَكِنَّهُ جُمِعَ هَذَا لِأَمْنِ اللَّبْسِ وَهُوَ جَائِزٌ.»⁽³⁾، ففي هذا الحديث يجوز أن نعدل في الكلام إلى الجمع، كما يجوز ألا نعدل عن المثني، ولكن الأولوية للجمع اجتنابًا للبس.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الوضوء، باب: من الكبائر أن لا يستتر من بوله، رقم الحديث: 216، ص 64).

(2) بدر الدين العيني، مرجع سابق، 3/116.

(3) موسى شاهين لاشين، مرجع سابق، 1/59.

5- العدول عن الجمع إلى المفرد:

- حدّثنا سليمان أبو الرّبيع، قال: حدّثنا إسماعيل بن جعفر قال: حدّثنا نافع بن مالك بن أبي عامر أبو سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ.»⁽¹⁾، فالعدول كان في جملة (آية المنافق ثلاث)، فكان من الممكن أن يقول صلى الله عليه وآله: (آيات المنافق ثلاث)، و«الآية: العلامة، وإفراد الآية إمّا على إرادة الجنس، أو أنّ العلامة إنّما تحضّل باجتماع الثلاث، والأوّل أليق بصنيع المؤلف.»⁽²⁾، فالآية هي مبتدأ وكان القياس أن تجمع هذا المبتدأ (الآية) «ليطابق الخبر الذي هو (ثلاث) أي خصال، وأجيب بأنّ الثلاث اسم جمع، ولفظه مفردة على أنّ التقدير: آية المنافق معدودة بالثلاث: وقال "الحافظ": الإفراد على إرادة الجنس، أي كل واحدة منهما آية. وقد روى "أبو عوانة" في صحيحه بلفظ (علامات المنافق)، وأجيب أيضًا بأنّه مفرد مضاف فيعُمُّ، كأنّه قال: آيات ثلاث.»⁽³⁾، فكلمة آية «مضاف إلى معرفة فيعُمُّ، كأنّه قال: آياته... وتعبه "العيني" بأنّ التاء تمنع الجنس، كالتاء في تمرّة، فالآية والآية كالتمرّة والتّمّر. قال: وقوله إنّما يحصل اجتماع الثلاث: مشعر بأنّه إذا وُجِدَتْ فيه واحدة من الثلاث لا يُطلق عليه مُنَافِقٌ غير أنّه إذا وُجِدَتْ فيه الثلاث كلها كان منافقًا كاملاً.»⁽⁴⁾، وقد قال "الكرماني": فإن قلت الآية مفردة، فالظاهر أن يُقال: الآيات ثلاث. فُبلت إمّا أن يُقال: كل من الثلاث بعض آية حتّى إذا اجتمعت تكونت آية واحدة. فإن قلت: الجمل الشرطيّة بيان لثلاث أو بدل ما يصحّ أن يُقال: والآية إذا حدّث كذب فما وجهه؟ قلت: معناه آية المنافق كذبه عند تحدّثه مثل قوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُبَيِّنُ لَكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَرَبُّكَ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: 97) على أحد التّوجيهات (واوئمن) بصيغة المجهول، وفي بعض الروايات بتشديد التّاء، وهو

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، رقم الحديث: 33، ص18).

(2) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 49/1.

(3) المباركفوري، مرجع سابق، 128/1.

(4) الشنقيطي، مرجع سابق، 176/2.

بقلب الهمزة الثانية منه واوًا، وإبدال الواو ياء وإدغام الياء في التاء.»⁽¹⁾، فالآية تُسمَّى آية إذا اجتمعت العلامات الثلاث، وإلا لا تُسمَّى آية بل هي جزء من الآية.

6- العدول عن الجمع إلى المثني:

(1)- حدَّثنا عبد الله بن محمد، قال: حدَّثنا سفيان، قال: حدَّثنا عمرو، قال: أخبرني سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس: «إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ... فَإِنِطَّلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمَ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعَرَفَ الْخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ...»⁽²⁾، لقد عدل الرسول ﷺ عن قوله: "فحملوهم" إلى قوله: "فحملوهما"، وهناك روايات فيها قوله: حملوهما «وفي بعضها فحملوهم. فإن قلت هم ثلاثة، وقال: كلموهم بلفظ الجمع فلم قال هما مثني؟ قلت: يوشع تابع، فاكتفى بذكر الأصل عن الفرع.»⁽³⁾، وأمَّا قوله: «فكلموهم» ضمَّ يوشع معهما في الكلام لأهل السفينة، لأنَّ المقام يقتضي كلام التابع، وقوله: "فحملوهما" يُقال فيه، ما قيل في "يمشيان"، ويحتمل أن يكون يوشع لم يركب معهما، لأنَّه لم يقع له ذلك بعد ذلك، لكن في رواية "فعرَّف الخضر فحملهم" وهو يقتضي الجزم بركوبه معهما في السفينة، وقد مرَّ من شأنه ما رواه "الطَّبْرِيُّ" عن "ابن عباس" وهو لو صحَّ نص في أنَّه لم يركب معهما.»⁽⁴⁾

إنَّ الرسول ﷺ عندما جمع الضمير كان قَصْدُه من ذلك سيِّدنا "موسى" - ﷺ - وسيدنا "الخضر"، و"يوشع" خادم سيِّدنا "موسى"، ولكن عندما استعمال ضمير المثني كان يُقصد من كلامه سيِّدنا "موسى" و"الخضر" عليهما السَّلام، لأنَّ يوشع تابع لهما ولم يصحبهما في رحلتها.

(1) السِّيَوطِي، عقود الرِّبْرِجِد على مسند الإمام أحمد، حَقَّقَه وَقَدَّم له: سليمان القضاة، دار الجيل، بيروت، لبنان، (دط)، 1414هـ، 1994م، 486/2، 487.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: العلم، باب: ما يُسْتَحَبُّ للعالم إذا سُئِلَ النَّاسُ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَيَكُلُّ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ رَقْمَ الْحَدِيثِ: 122، ص42، 43).

(3) شمس الدِّين الكَرْمَانِي، مرجع سابق، 143/2.

(4) الشَّنْقِيطِي، مرجع سابق، 91/4.

(2) - حدّثنا إسماعيل بن أبي أويس، قال: حدّثني أخي عن سليمان، عن يحيى بن سعيد، عن أبي الروال محمد بن عبد الرحمن، أن أمّه عمرة بنت عبد الرحمن، قالت: «سَمِعْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْوَاتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوِضِعُ الْآخَرَ، وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ...»⁽¹⁾، فعدل عن "عالية أصواتهم" إلى "عالية أصواتهما" والمقصود بالخصوم العالية أصواتهما «هما "عبد الله بن أبي حرد" و"عبد بن مالك"». ⁽²⁾، وهناك من يروي «(أصواتهم)، أي أصوات الخصوم، وهو ظاهر، لأنّ الخصوم جمع، وأمّا وجه: أصواتهما، بتثنية الضمير فباعتبار الخصمين المتنازعين. وقال "الكرماني": هذا على قول من قال: أقلّ الجمع اثنان... ويروى: أصواتها بإفراد الضمير المؤنث، ووجهه أن يكون بالنظر إلى لفظ الخصوم الذي يستوي فيه المذكّر والمؤنث...»⁽³⁾، ومعنى هذا إذا كانت لفظة "أصواتهما" فالمقصود به الخصمان واللذان سبق وأن ذكرناهما، وأمّا إن كانت لفظة "أصواتهم" فإمّا المقصود به الخصمان وذلك على اعتبار أنّ أقلّ الجمع هو اثنان، وإمّا لأنّهم خصوم، والخصوم جمع، ف «(جمع خصوم) و(أصوات) باعتبار من حضر الخصومة، فإنّهم ينضمون إلى أحد الخصمين، ويتكلّمون، وتثني باعتبار الخصمين أو كان التّخاصم من الجانبين بين جماعة، فجمع، ثم تثني باعتبار جنس الخصم، وليس فيه حجة لمن جوّز صيغة الجمع بالاثنتين، كما زعم بعض الشّراح. قال "الحافظ ابن حجر". وهو كما قال في جمع "خصوم" وتثنية الضمير، أمّا الإفراد "صوت" في الأول وجمعه "أصوات" في الثاني فلأنّ الصّوت مصدر يُطلق على القليل والكثير، مثل "عدو" وقد بدأ وصول الصّوت إليه. بجملة ثم كثر.»⁽⁴⁾، هذا التفسير الأخير جامع لجميع التفسيرات السابقة، فقد تناول جميع الاحتمالات، والتي من خلالها تثني أو تُجمع كلمة "خصم"، وكذلك كلمة "صوت" عند إفرادها وجمعها.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الصلح، باب: هل يُشير الإمام بالصلح، رقم الحديث: 2705، ص 661).

(2) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 287/1.

(3) بدر الدين العيني، مرجع سابق، 285/13.

(4) موسى شاهين لاشين، مرجع سابق، 278/6.

ثالثاً: العدول بين المعرفة والتكرة

1- العدول عن المعرفة إلى التكرة:

- حدّثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا الليث، قال: حدّثني يزيد عن أبي الخير عن عبد الله بن عمرو عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنّه قال للنبي صلى الله عليه وآله: «عَلَّمَنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَأَغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.»⁽¹⁾، نجد عدولاً في الحديث النبويّ عن المعرفة إلى التكرة من خلال قوله صلى الله عليه وآله لكلمة "مغفرة" وهو عدول عن "المغفرة"، فجاءت كلمة مغفرة نكرة منونة و«التنوين للتّعظيم أي غفراناً لا يكتنّه كُنْهُهُ،...، وفي الوصف بقوله: (من عندك)، مبالغة في ذلك المعنى المراد بالتّكثير.»⁽²⁾، إذن فكلمة "مغفرة" عندما وردت نكرة كان ذلك لغرض التّعظيم، «لأنّه لا يمحو الذنب الكبير إلا مغفرة واسعة.»⁽³⁾، فالذنب الكبير لا تُزيله إلا المغفرة الواسعة العظيمة.

2- العدول عن التكرة إلى المعرفة:

- حدّثنا الحميديّ، قال: حدّثنا سفيان، قال: حدّثني إسماعيل بن أبي خالد، على غير ما حدّثناه الزّهرّيّ، قال: سَمِعْتُ قَيْسَ بْنَ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَسَلَّطَ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا.»⁽⁴⁾، فكلمة "الحكمة" جاءت معرفة، وكان الأولى أن تجيء نكرة، لأنّها وردت في جملة معطوفة عن جملة سابقة (أتاه الله مالاً)، وكلمة "مالاً" جاءت نكرة، لذلك كان من الأولويات أن ترد كلمة "الحكمة" نكرة، و«قوله: (مالاً) إنّما نكرة وعرفّ الحكمة، لأنّ المراد من الحكمة معرفة الأشياء التي جاء الشرع بها، يعني الشريعة، فأراد التّعريف بلام العهد، أو المراد منه القرآن كما ذكرنا فاللام للعهد أيضاً، بخلاف المال،

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الدّعاوات، باب: الدّعاء في الصّلاة، رقم الحديث: 6326، ص1578).

(2) القاري، مرجع سابق، 753/2.

(3) الكحلانيّ، مرجع سابق، 82/8.

(4) صحيح البخاري: (كتاب: العلم، باب: الاعتباط في العلم والحكمة، رقم الحديث: 73، ص31).

لهذا دخل صاحبه بأي قدر من المال أهلكه في الحق تحت هذا الحكم.»⁽¹⁾، فالألف واللام في كلمة الحكمة «لإفادة أنها حكمة معهودة وشاملة نابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، تقوم على منهجها من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل جوانب الحياة، فليس المراد بالحكمة والعلم أن يكون مقصوراً على العلوم الشرعية فحسب؛ بل الشرع يحث على العلوم الأخرى في شتى المجالات الزراعية والصناعية والهندسية...»⁽²⁾، فالحكمة عندما عُرِّفَتْ: «لأنَّ المراد بها معهود، وهو ممَّا جاء الشَّرْع به، فهو كمال علمي يُفضي إلى الكمال العملي بخلاف المال، فإنَّ المراد العموم حتَّى يدخل من أنفق أيَّ قدر كان، وفي إيراد الحكمة أيضًا مبالغة؛ لأنها العِلْم الدَّقِيق.»⁽³⁾، فتتكير المال لأنه يشمل القليل والكثير، بينما عُرِّفَتْ "الحكمة" لأنَّ المراد بها "القرآن الكريم"، أو حتَّى "الحديث النبوي الشريف".

(1) بدر الدين العيني، مرجع سابق، 58/2.

(2) علي علي صبح، مرجع سابق، 182/1.

(3) شمس الدين البرماوي، مرجع سابق، 300/1.

رابعاً: العدول بين الضمان

1- العدول عن التكلم إلى الخطاب:

- حدّثنا عمر بن حفص حدّثنا أبي حدّثنا الأعمش قال: حدّثني شقيق، عن عبد الله قال: كنّا إذا صلينا مع النبيّ ﷺ قلنا السّلام على الله قبل عباده، السّلام على جبريل، السّلام على ميكائيل، السّلام على فلان وفلان، فلما انصرف النبيّ ﷺ أقبل علينا بوجهه فقال: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، فَإِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيُقُلْ: «التَّحِيَّاتُ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ...»(1)، هناك عدول في قوله: "السّلام عليك" وهو عدول عن قوله: "السّلام عليّ" على اعتبار أنّ الرّسول ﷺ يتكلم عن نفسه، «فقال النبيّ: هذا السّلام عليّ أنا حيّ، فإذا متّ فقولوا: السّلام على النبيّ ورحمة الله وبركاته.»(2)، فالرّسول ﷺ أخبر صحابته رضوان الله عليهم أن يقولوا له: "السّلام عليك" في حياته، ولكن عندما يتوفى يقول المسلمون: "السّلام على النبيّ" وقد أخبرهم بأنّ الله تعالى أمرهم «بالصّلاة والسّلام عليّ فأما الصّلاة فهذه صفتها، وأما السّلام فكما علّمتم في التّشهد، وهو قولهم السّلام عليك أيّها النبيّ.»(3)، فالتّشهد في حياة الرّسول ﷺ يختلف اختلافاً بسيطاً عن التّشهد بعد وفاته، «فظاهرها أنّهم كانوا يقولون: السّلام عليك أيّها النبيّ بكاف الخطاب في حياة النبيّ ﷺ، فلما مات النبيّ ﷺ تركوا الخطاب وذكروه بلفظ الغيبة، فصاروا يقولون السّلام على النبيّ.»(4)، فتغيّر الضمير في التّشهد من المخاطب إلى الغائب، وهذا بتغيّر الوضع الذي صار عليه الرّسول ﷺ.

2- العدول عن التّكلم إلى الغيبة.

1)- حدّثنا معاوية بن عمرو، قال: حدّثنا زائدة، عن حصّين، عن سالم بن أبي الجعد، قال: حدّثنا جابر بن عبد الله، قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا أَقْبَلَتْ عَيْرٌ تَحْمِلُ طَعَامًا،

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الاستئذان، باب: السّلام اسم من أسماء الله تعالى، رقم الحديث: 6230، ص1555).

(2) أبو عبد الله علاء الدّين، شرح سنن ابن ماجه، الإعلام بسنته عليه السّلام، تحقيق: كامل عويضة، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1419هـ، 1999م، 1/1515.

(3) النّوويّ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط2، 1392هـ، 4/125.

(4) ابن حجر العسقلانيّ، مرجع سابق، 56/11.

فَالْتَفَتُوا إِلَيْهَا حَتَّى مَا بَقِيَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ (الجمعة: 11).⁽¹⁾، فهناك عدول عن "فالتفتنا" إلى "فالتفتوا"، أي من ضمير المتكلم (نون المتكلمين) إلى ضمير الغائب (واو الجماعة)، ففي «قوله: "فالتفتوا" التفات لأن السياق يقتضي أن يقول: فالتفتنا، وكأن النكته في عدول "جابر" عن ذلك أنه هو لم يكن ممن التفت.»⁽²⁾، وسبب العدول عن ضمير المتكلمين إلى ضمير الغائبين، كون "جابر بن عبد الله" لم يكن من الذين التفتوا.

(2)- حدّثنا إسماعيل، حدّثني مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ: فَإِذَا مَاتَ فَحَرَّقُوهُ وَادْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ، وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَ اللَّهُ لئن قَدَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْبَحْرُ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ الْبَرُّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ، فَغَفَرَ لَهُ.»⁽³⁾، هناك عدول في قوله: "فإذا مات فحرّقه"، ف«الأصل إذا أنا ميت فحرّقوني وعدل عنه إلى الغيبة إعلامًا بعدم الاعتناء به وأنه قدّم ما غاب عن مراتب السعداء كذا قال "ابن حجر"-رحمه الله تعالى-: وحاصله أنه من باب الالتفات في مذهب بعض، كما قال "الطّبيّ": لو حُكِيَ ما تَلَفَظَ به الرّجُل لكان ينبغي أن يُقال: إذا ميت فحرّقوني ثم ليذروا نصفي، ولو نُقِلَ معنى ما تَلَفَظَ به الرّجُل لقال: إذا مات فليحرّقه قومه ثم ليذروا، فعدل عن ضمير المتكلم إلى الغائب تحاشيًا عن وصمة نسبة التّحريف وتوهم الشك في قدرة الله إلى نفسه... هذا العدول لا يمنع إيهام الشك في قدرة الله تعالى فغفلة ودُهول عن أن العدول وقع عن قوله: لئن قدر الله إلى قوله: "قدر الله عليه."⁽⁴⁾، إذن فقوله: «إذا مات فحرّقه» عدل عن خطاب المتكلم إلى الغائب، كراهية إسناد هذه الأفعال المخبر عنها، وهذا أسلوب

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الجمعة، باب: إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة، رقم الحديث: 936، ص 226).

(2) بدر الدين العيني، مرجع سابق، 6/245.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: «يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ» (الفتح: 15)، رقم الحديث: 7506، ص 1852).

(4) القاري، مرجع سابق، 4/1641.

معروف في كلام العرب، إذا كرهوا العمل المخبر عنه، ذكروه بلفظ خطاب الغيبة إضافته إلى المتكلم لفظاً.»⁽¹⁾.

إنّ العدول عن استعمال ضمير المتكلم راجع إلى استعمال فعل الحرق، فالعرب تتحاشى وتكره استعمال ضمير المتكلم مع هذا الفعل، وغيره من الأفعال غير اللاتقة، فلا يصح أن يقول إنسان عن نفسه "أحرقوني"، وما يلاحظ عن هذا الحديث النبويّ تغيير الضمائر من حين لآخر، فتارة يكون الضمير للمتكلم، وتارة أخرى للغائب، وهذا لعدة أسباب لعل منها: إزالة اللبس، فلا يتسرب إلى ذهن السامع أنّ الذي يتكلم عن الحرق وتوزيع رماده على الماء واليابسة هو الله تعالى، فحاشى أن تُوصف ذات الله بهذه الأوصاف.

3- العدول عن الخطاب إلى التّكلم:

- حدّثنا علي بن عبد الله، حدّثنا محمد بن الزبيرقان، حدّثنا موسى بن عقبة، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة، عن النبيّ ﷺ قال: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ» قالوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ.»⁽²⁾، وهناك تغيير الكلام من ضمير المُخاطَب: "وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ" إلى قوله: "وَلَا أَنَا"، فالعدول ليس بتغيير ضمير محل ضمير آخر، وإنما بتوجيه الكلام إلى ضمير المتكلم، بعدما كان الكلام مُوجَّهًا لضمير المُخاطَب، و«وجه تخصيص رسول الله ﷺ بالذكر أنّه إذا كان مقطوعاً له بأن يدخل الجنة، ثم لا يدخلها إلا برحمة الله فغيره يكون في ذلك بطريق الأولى قلتُ وسيق إلى تقرير هذا المعنى "الرافعي" في أماليه فقال: لما كان أجر النبيّ ﷺ في الطاعة أعظم وعمله في العبادة أقوم قيل له ولا أنت أي لا يُنجيك عملك مع عظم قدره فقال: لا إلا برحمة الله وقد ورد جواب هذا السؤال بعينه في لفظ النبيّ ﷺ عند "مسلم" من حديث "جابر" بلفظ لا يدخل أحدًا منكم عمله الجنة ولا يُجيره من النار ولا أنا إلا برحمة من الله تعالى، قوله: إلا أن يتغمّدني الله.»⁽³⁾، إنّ العدول الذي ورد في الحديث

(1) عبد الله بن محمد الغنيمان، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط1، 1405هـ، 391/2.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل، رقم الحديث: 6467، ص1609).

(3) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 299/11.

النَّبِيُّ الشَّرِيفُ كَانَ عِبَارَةً عَنْ حِوَارِ بَيْنِ الرَّسُولِ ﷺ وَالصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فَعِنْدَمَا سَأَلُوهُ عَنْ إِمْكَانِيَّةِ دُخُولِهِ الْجَنَّةِ بَعْدَ قِيَامِهِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَأَجَابَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ بِأَنَّ ذَلِكَ وَحْدَهُ غَيْرُ كَافٍ، إِلَّا أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَيَتَجَاوَزَ عَنْ أَخْطَائِهِ، فَالْمَقَامُ كَانَ يَتَطَلَّبُ التَّغْيِيرَ فِي الْكَلَامِ مِنْ ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ.

4-العدول عن الخطاب إلى الغيبة:

-حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ الْمَعْلَمِ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ يَقُولُ: «أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ.»⁽¹⁾، هُنَاكَ عَدُولٌ فِي عِبَارَةِ "الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الَّذِي لَا يَمُوتُ" فَكَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَقُولَ: "الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الَّذِي لَا يَمُوتُ"، فَ«قَوْلُهُ: لَا يَمُوتُ بِلَفْظِ الْغَائِبِ وَفِي بَعْضِهَا بِالْخِطَابِ، فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا الْعَائِدُ الْمَوْصُولُ؟ قُلْتَ: "إِذَا" الْمُخَاطَبُ نَفْسُ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهِ يَحْصُلُ الْارْتِبَاطُ بِهِ، وَكَذَلِكَ الْمُتَكَلِّمُ نَحْوُ: "أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدِرَةً."»⁽²⁾، فَكَانَ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَقُولَ: "أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَهُ أُمَّهُ حَيْدِرَةً"، وَالْكَلَامُ يَعُودُ إِلَى الْإِمَامِ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ.

5-العدول عن الغيبة إلى التّكلم:

-حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ حَفْصٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِمَارَةُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانُ بِي وَتَصَدِيقُ بِرُسُلِي، أَنْ أَرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَلَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوْ دَدْتُ أَبِي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ.»⁽³⁾، إِنَّ «قَوْلَهُ: (إِلَّا إِيمَانُ بِي وَتَصَدِيقُ بِرُسُلِي) يَرِيدُ خُلُوصَ نِيَّتِهِ لِذَلِكَ، وَفِيهِ التَّفَاتُ، وَهُوَ الْعَدُولُ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ، وَالسِّيَاقُ كَانَ

(1) صحيح البخاري: (كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (إبراهيم:4)، رقم الحديث: 7383، ص1823).

(2) شمس الدين الكرمانى، مرجع سابق، 105/25.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: الإيمان، باب: الجهاد من الإيمان، رقم الحديث: 36، ص19).

يقتضي أن يقول: «إلا إيمان به.»⁽¹⁾، ويُوضَّح "الطَّيْبِي" سبب العدول عن ضمير الغائب إلى المتكلم بقوله: «والأوفق أن يكون التقاءً إذ لو قيل لا إيمان به لكان مجرى على الظاهر، ولم يفتقر إلى الإضمار، فعدل تفضيماً لشأن المخرج ومزيداً لاختصاصه وقربه.»⁽²⁾، ويبيِّن "ابن مالك" هذا العدول، ويُفسره من جانب نحويّ فيقول: «كان اللائق في الظاهر أن يكون بدل الياء الهاء فلا بد من التأويل، وهو تقرير اسم فاعل من القول منصوب على الحال كأنه قال: انتدب الله لمن خرج في سبيله قائلاً: (لا يخرج إلا إيمان بي)، ويجوز أن تكون الهاء في سبيله عائداً إلى "مَنْ" ولسبيله المرضية ثم أضمر بعد سبيله قال ونحوه ولا موضع له من الإعراب.»⁽³⁾، فعندما نُقدِّر في الكلام اسم الفاعل "قائلاً"، يزول علينا اللبس في تفسير العدول عن ضمير الغائب إلى ضمير المتكلم.

6- العدول عن الغيبة إلى الخطاب:

1- حدَّثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو، عن أبيه، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة زوج النبي ﷺ، أنها قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، إن صفية بنت حيي قد حاضت، قال رسول الله ﷺ: «لَعَلَّهَا تَحْسِنَا أَلَمْ تَكُنْ طَافَتْ مَعَكِنَّ، فَقَالُوا: بَلَى، قَالَ: "فَأُخْرِجِي."»⁽⁴⁾، إن قوله ﷺ: "فاخرجي" «هو في رواية الأكثرين بالإفراد من الخطاب، وفي رواية "المستلمي" و"الكشميهني": (فاخرجن)، بصيغة الجمع للإناث، أمّا الوجه الأول ففيه الالتفات من الغيبة، إلى الخطاب، يعني قال لـ"صفية" مخاطباً لها: اخرجي أو يكون الخطاب لـ"عائشة" لأنها القائلة لرسول الله ﷺ عن "صفية": قد حاضت، فقال لها: أُخْرِجِي فَإِنَّهَا تَوَافِقُكَ فِي الْخُرُوجِ، إذ لا يجوز لها التأخر بعدك، لأنها قد طافت طواف الركن، ولم يبق عليها فرض، وفيه وجه آخر وهو أن يُقدَّر في الكلام شيء تقديره: قال لـ"عائشة": تولي لها اخرجي.»⁽⁵⁾، فتفسير قوله ﷺ: "فاخرجي" إمّا الكلام مُوجَّهٌ لـ"صفية"، أو مُوجَّهٌ لـ"عائشة" رضي الله عنهما؛ لأنَّ عائشة هي التي أخبرته بأنَّ "صفية" قد

(1) بدر الدين العيني، مرجع سابق، 231/1.

(2) القاري، مرجع سابق، 2456/6.

(3) شمس الدين الكرمانی، مرجع سابق، 155/1.

(4) صحيح البخاري: (كتاب: الحيض، باب: المرأة تحيض بعد الإفاضة، رقم الحديث: 328، ص 423).

(5) بدر الدين العيني، مرجع سابق، 313/3.

حاضت، وعندما تخرج "عائشة" فإنّ "صفية" ستلحق بها، لأنها طافت طواف الركن، وأنهت جميع فروضها، فتفسير هذا العدول يحتاج إلا معرفة دقيقة بالجانب الشرعي للمرأة الحائض عند إحرامها، فطواف الإفاضة «دليل سقوط طواف الوداع عن الحائض، وإنّ طواف الإفاضة ركن لا بد منه، ولا يسقط عن الحائض ولا غيرها، وأنّ الحائض تُقيم حتى الطهر فإن ذهبت إلى وطنها قبل طواف الإفاضة بقيت مُحرمّة... في موضع آخر منه أنّ "صفية" أمّ المؤمنين حاضت قبل طواف الوداع، فلما أراد النبي ﷺ الرجوع إلى المدينة قالت: حِضْتُ ولا يُمكنني الطّواف الآن وظنّنت أن طواف الوداع لا يسقط عن الحائض وقال النبي ﷺ: "أما كنتِ طفتِ طواف يوم النحر قالت: بلى، قال: يكفيك ذلك لأنّ الطّواف الذي هو ركن ولا بد منه، وأمّا طواف الوداع فلا يجب على الحائض.»⁽¹⁾، ما يُفهم من كل ذلك أنّ طواف الإفاضة لا يسقط على المرأة وإن كانت حائضًا، وإلا فإنّها ستبقى مُحرمّة، وأمّا طواف الوداع فجازئ إسقاطه.

(2) - حدّثنا مسلم بن إبراهيم، حدّثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء ﷺ، قال: كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق، حتّى أغمر بطنه، أو أغبر بطنه، يقول: «والله لو لا الله ما إهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، فأنزلن سكينه علينا، وثبت الأقدام إن لاقينا، إن الألى قد بعوا علينا، وإذا أرادوا فتنة أبنينا.»⁽²⁾، لقد عدل الرسول ﷺ في كلامه عن جملة: "فيُنزل سكينه علينا، ويثبت أقدامنا" إلى جملة: " فأنزلن سكينه علينا، وثبت أقدامنا"، ف «يُحتمل أن يكون المعنى فاسأل ربك أن ينزل ويثبت...»⁽³⁾، فقله: «فأنزلن سكينه علينا" مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ وَرَسُولَهُ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: 26).»⁽⁴⁾، فسبب العدول هو تقدير لكلام محذوف، وهذا الحديث يتطابق تمام التّطابق مع الآية القرآنيّة من سورة التّوبة.

(1) شمس الدّين الكرمانيّ، مرجع سابق، 204/3.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: المغازي، باب: غزوة الخندق وهي الأحزاب، رقم الحديث: 4104، ص 1009).

(3) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 465/7.

(4) الطّبييّ، شرح الطّبييّ على مشكاة المصابيح المسمّى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكّة المكرمة، ط1، 1417هـ، 1997م، 310/10.

خامسًا: العدول في المصادر والمشتقات

1- العدول عن المصدر:

أ- العدول عن المصدر إلى المصدر:

- حدّثنا محمد بن بشار، قال: حدّثنا محمد بن جعفر، قال: حدّثنا شعبة، قال: سمعتُ قتادة عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «اعْتَدِلُوا فِي السُّجُودِ، وَلَا يَبْسِطُ أَحَدُكُمْ ذِرَاعِيهِ إِنْ بَسَّطَ الْكَلْبَ.»⁽¹⁾، هناك عدول عن المصدر "بسط" إلى المصدر "انبساط"، وذلك لأنّ انبساط مفعول مطلق، والمفعول المطلق يأتي من جنس فعله، والفعل الذي ورد قبله هو "بسط"، فانبساط «مصدر - على غير مصدر - يبسط، لكن لما كان "انبسط" من "بسط"؛ جاء المصدر عليه، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ (نوح: 17)، كأنّه قال: أنبتكم، فنبتكم نباتًا.⁽²⁾، وفي رواية أخرى «ولا يتبسط بزيادة الناء المثناة من فوق انبساط الكلب هذان اللَّفظان صحيحان، وتقديره ولا يبسط ذراعيه فينبسط انبساط الكلب، وكذا اللَّفظ الآخر ولا يتبسط ذراعيه فينبسط انبساط الكلب.»⁽³⁾، وفي رواية «يبسط بزيادة مثناة فوقية بعد الموحدة، وفيه إيحاء إلى النهي عن التّشبه بالحيوانات الخسيسة في الأخلاق والصفات وهيئة القعود ونحو ذلك.»⁽⁴⁾، فما يُلاحظ عن هذا العدول أنّه جائز ومقبول مادامت كل الأفعال "يتبسط" و"يبسط" ترجع في أصلها جميعًا إلى الجذر "ب س ط"، وهناك تفسير آخر من الناحية النحويّة؛ المصدر "انبساط" ورد بعد فعل محذوف تقديره فينبسط انبساط الكلب.

ب- العدول عن المصدر إلى اسم المصدر:

- حدّثنا أبو نعيم عن هشام عن قتادة عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعْبَيْهَا الْأَرْبَعِ ثُمَّ جَهَّذَهَا فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ.»⁽⁵⁾، هناك عدول عن

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الأذان، باب: لا يفترش ذراعيه في السّجود، رقم الحديث: 822، ص 201).

(2) القرطبي، مرجع سابق، 26/5.

(3) النّووي، مرجع سابق، 210/4.

(4) الألباني، مصابيح التّنوير على صحيح الجامع الصّغير، إعداد وترتيب: أبو أحمد معتز عبد القادر، المكتبة العربيّة الكبرى، (بط)، (دت)، 487/1.

(5) صحيح البخاري: (كتاب: الغسل، باب: إذا التقى الختانان، رقم الحديث: 291، ص 81).

"الاغتسال" إلى اسم المصدر "الغسل"، ف «الغسل بضم الغين اسم مصدر من اغتسل وبالفتح مصدر غسل ويجوز فيه الضم حكاه "ابن سيده" وغيره، وبالكسر الشيء الذي يغسل به مع الماء كالصابون والأشنان، والمشهور في استعماله عند الفقهاء الفتح إذا أُضيف إلى المغسول كغسل الثوب، والضم إذا أُضيف إلى غيره كغسل الجنابة. وهو لغة: الإسالة، وشرعا: إيصال الماء إلى جميع ظاهر الجسد ومنه داخل الفم والأنف بنية رفع الجنابة مع الدلك عند من جعله من مسمى الغسل ك "المالكية"، والجنابة في الأصل البعد، وسُمي من اتصف بها جنبا لأنه منهي عن قربان مواضع الصلاة حتى يتطهر... وشرعا أمر معنوي يقوم بالبدن يمنع محة الصلاة حيث لا مرخص.»⁽¹⁾، فعندما عدل الرسول ﷺ عن المصدر إلى اسم المصدر لأنه كان يعلم المعنى الشرعي لكلمة الغسل، والتي تكون أكثر دقة من كلمة الاغتسال التي أعرض عنها.

2-العدول إلى المصدر:

أ-العدول عن اسم الفاعل إلى المصدر:

-حدّثنا مسلم بن إبراهيم حدّثنا هشام حدّثنا يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.»⁽²⁾، هناك عدول في قوله ﷺ: "إيمانًا واحتسابًا" فالمصدر «في معنى اسم الفاعل "مؤمنًا محتسبًا"، والمراد بالإيمان الاعتقاد بحق فرضية صومه، وبالاحتساب في طلب الثواب من الله تعالى...»⁽³⁾، عندما نعرف عمل كل من المصدر واسم الفاعل عندها سيوضح لنا السبب الذي جعل الرسول ﷺ يعدل عن الكلمتين "مؤمن - محتسب" إلى الكلمتين "الإيمان -الاحتساب"، ومعروف أنّ المصدر «يعمل ماضيا كان أو مستقبلا، نقول: "أعجبنى ضرب زيدًا أمس" و"أريد إكرام عمرو أخاه غدًا"... الفرق بين اسم الفاعل والمصدر في العمل، وذلك لأن اسم الفاعل لا يعمل إلا إذا كان للحال أو

(1) محمود محمد خطاب السبكي، المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود، تحقيق وتصحيح: أمين محمود محمد خطاب، مطبعة الاستقامة، القاهرة، مصر، ط1، 1351هـ، 1353هـ، 2/3.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: الصوم، باب: من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ونية، رقم الحديث: 1901، ص458).

(3) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 115/4.

الاستقبال؛ نحو قولك: "هذا ضارب زيدٌ غداً، ومكرم عمراً الساعة" ولا يعمل بمعنى المُضَيِّ؛ بل يكون مضافاً إلى ما بعده؛ نحو: "هذا ضارب زيداً أمس"...، وأما المصدر فإنه يعمل على كل حال؛ سواء كان ماضياً، أو حاضراً، أو مستقبلاً... فالمقتضى يعمل المصدر موجود؛ سواء كان بمعنى الماضي، أو الحال، أو الاستقبال، وليس اسم الفاعل كذلك. «(1)، فالمصدر يعمل في جميع الأزمنة ماضية أو حاضرة أو حتى مستقبلية، في حين اسم الفاعل لا يعمل إلا في زمن المضارع (الحاضر والمستقبل)، والرسول ﷺ عندما عدل عن صيغة اسم الفاعل (مؤمن ومحتسب) إلى صيغة المصدر (إيماناً واحتساباً) كان القصد منه التأكيد على أن كل مسلم عندما قيامه ليلية القدر، أو صيام رمضان إيماناً واحتساباً، تُغفر له جميع الذنوب السابقة، وهذا المسلم سواء كان قد قام بهذا العمل التعبدي قبل قول الرسول ﷺ لهذا الحديث النبوي، أو بعده (خلال زمن النبوة الأول أو بعده)، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فَعَفِرَ الذنوب والتجاوز عن الخطايا ليس مقروناً بزمن دون آخر، وإنما هو حاصل متى توفرت الأسباب (الإيمان والاحتساب) لذلك، في حين لو قال الرسول ﷺ: "مؤمن ومحتسب" لكان الصحابة الذين قاموا رمضان عموماً وليلة القدر خصوصاً مؤمنين محتسبين وعاشوا قبل أن يقول الرسول ﷺ هذا الحديث الشريف غير معنيين بالامتياز الذي منحه الله تعالى لغيرهم من المسلمين في بقية الأزمنة الأخرى.

ب- العدول عن اسم المفعول إلى المصدر:

- حدّثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا عيسى بن يونس، عن ثور عن خالد بن معدان، عن المقدم ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ.» (2)، هناك عدول عن اسم المفعول إلى المصدر المؤول "أن يأكل"، «فيقال من تأويله: الحرف المصدريّ وَصِلْتَهُ بِمَعْنَى مُصَدَّرٍ مُرَادَ بِهِ الْمَفْعُولُ؛ أي من مأكوله من عمل يده.» (3)، فعندما عدل الرسول ﷺ عن صيغة اسم المفعول إلى المصدر، كان عن قصد، فكما سبق وأن قلنا أن المصدر يدلّ على الماضي

(1) ابن يعيش، شرح المفصل للرمخشري، 82/4.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده، رقم الحديث: 2072، ص 499).

(3) الدماميني، مرجع سابق، 8/5.

والحاضر والمستقبل، في حين يدلّ اسم المفعول على المضارع (الحاضر-المستقبل)؛ لذلك كان الأنسب استعمال المصدر وإن كان مؤولاً (أن يأكل)؛ لأنّ الحديث فيه ثناء ومدح لكل من يأكل من عمل يده ويعتمد على نفسه في إحضار قوته، وهناك أقوام وأمم وشعوب سبق وأن قامت بهذا العمل المحمود قبل مجيء الرسول ﷺ ومجىء الدعوة الإسلامية؛ لذلك كان لا بدّ أن يُجازوا عن هذا العمل المقدس، فمنهم الرّسل كسيدنا "داود" عليه السلام، والصّالحون والمؤمنون، فلا يذهب عملهم أدرج الرياح؛ بل يُكافأ كل حسب عمله، وهذا دون إغفال بقيّة العاملين سواء خلال فترة الرّسول ﷺ، أو حتّى بعدها إلى يوم القيامة، فلهذا كان الأولى استعمال صيغة المصدر، فالعدول عنها إلى صيغة اسم المفعول فيه ظلم وإجحاف في حق الشعوب والأمم السّابقة، ومجازاة الأمم اللاحقة فقط.

3- العدول بين المشتقات:

أ- العدول إلى اسم الفاعل:

❀ - العدول عن اسم المفعول إلى اسم الفاعل:

- حدّثنا إبراهيم بن المنذر، حدّثنا الوليد، حدّثنا أبو عمرو، حدّثنا إسحاق، حدّثني أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: « لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدَّجَالُ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالْمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ، إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِينَ يَحْرِسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةَ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ. »⁽¹⁾، لقد عدل الرّسول ﷺ عن صيغة اسم المفعول إلى اسم الفاعل ف «المقصود من ذكر صفا أي صافين أنفسهم أو مصفوفين.»⁽²⁾، فالعدول كان عن كلمة "مصفوفين" إلى كلمة "صافين"، ومعروف أنّ اسم الفاعل يدلّ على الذات التي قامت بالفعل، وأمّا اسم المفعول يدلّ على الذات التي وقع عليها الفعل؛ لذلك كانت كلمة "صافين" أنسب من كلمة "مصفوفين"، فالملائكة هم الذين اصطفوا بأنفسهم وبكامل إرادتهم كأنهم بنيان مرصوص، وليس هناك من صففهم.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الفتن، باب: لا يدخل الدجال المدينة، رقم الحديث: 1881، ص452، 453).

(2) بدر الدّين العيني، مرجع سابق، 105/14.

❁ - العدول عن صيغة المبالغة إلى اسم الفاعل:

- حدّثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان عتبة عهدَ إلى أخيه سعد أنّ ابن وليدة زمعة مَيّ، فاقبضه إليك، فلمّا كان عام الفتح أخذ سعد فقال: ابن أخي عهد إليّ فيه، فقام عبد بن زمعة، فقال: أخي وابن وليدة أبي وُلِدَ على فراشه، فتساوتا إلى النَّبِيِّ ﷺ فقال سعد: يا رسول الله ابن أخي قد كان عهد إليّ فيه، فقال عبد بن زمعة: أخي وابن وليدة أبي ولد على فراشه، فقال النَّبِيُّ ﷺ: «هُوَ لَكَ يَا عَبْدُ بْنُ زَمْعَةَ، الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجْرُ، ثُمَّ قَالَ لِسَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ: اِحْتَجِبِي مِنْهُ: لَمَّا رَأَى مِنْ شَبْهِهِ بَعْثَبَةَ، فَمَا رَأَاهَا حَتَّى لَعَنَ اللَّهَ.»(1).

هناك عدول في كلمة "العاهر"، وأسماء الفاعل "غادر" و"عاق" و"عاهر" و"زانية" لم ترد لها صيغ مبالغة في الحديث النبوي الشريف، و«السبب يعود لشناعة الفعل بحق فاعله، إذ أن أقله جدُّ شنيع فكيف بأكثره، والعهر والزنى فعلاّن (عملان) قبيحان أنف الأحرار منهما، فهذه "هند بنت عتبة" -رضي الله عنها- تردُّ على رسول الله ﷺ حين بايعها على ألا يسرقن ولا يزينين...، فقالت مُسْتَكْرَةٌ ومُتَكْرَةٌ أنّها رُمِيَتْ في الجاهليّة: وهل تزني الحرّة؟ وقد جمع الله تعالى مسافحاتٍ مع متخذاتٍ أخذان بعطف واحد، مع الفرق في عدد الأخدان بينهما، لأنّ الفعل الشنيع يبقى شنيعاً، ولو فُعِلَ مرة واحدة، وقد عَلِمَ أنّ الشرف إذا ذهب لا يعود.»(2)، لقد عدل الرسول ﷺ على صيغة المبالغة إلى اسم الفاعل لأنّ فعل العهر شنيع وقبيح، وإن قلّ فما بالك بكثرته؛ لذلك كان اسم الفاعل كافياً لتأديّة المعنى المطلوب، ولا نحتاج إلى صيغة مبالغة.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الفرائض، باب: الولد للفراش، حرّة كانت أو أمة، رقم الحديث: 6749، ص 1672).

(2) سامي عودة عبيد الخوالدة، دلالات العدول الصرفي في الحديث الشريف، ماجستير تخصص اللّغة العربيّة/لغويات، جامعة الزّرقاء، الأردن، 26 تشرين الثّاني 2015م، ص 90.

ب- العدول إلى اسم المفعول

❁- العدول عن اسم الفاعل إلى اسم المفعول

-حدّثنا قتيبة، حدّثنا عبد الواحد، عن عمارة بن القعقاع بن شبرمة، حدّثنا عبد الرحمن بن أبي نعيم: قال: «سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، يَقُولُ: بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْيَمَنِ بِذَهَبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ... فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرَ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفَ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاشِزَ الْجَبْهَةِ، كَثَّ اللَّحْيَةَ، مَحْلُوقَ الرَّأْسِ، مُشَمَّرَ الْإِزَارِ...»⁽¹⁾، هناك عدول في عبارة: "محلوق الرأس"، "مشمر الإزار" وهو عدول عن عبارة: "حالق الرأس"، "مشمر الإزار"، فهي معطوفة على "غائر العينين"، "مشرف الوجنتين"، "ناشر الجبهة"، والكلمات: "غائر"، "مشرف"، "ناشر" صيغ اسم الفاعل، فكان من الممكن أن يقول: "محلوق" و"مشمر" اسم فاعل، ولكنها جاءت على صيغة اسم مفعول، ف «يُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ حَلْقُ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةَ وَجَمِيعَ شَعُورِهِمْ.»⁽²⁾، إِنَّ التَّحَوُّلَ مِنْ صَيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ إِلَى صَيغَةِ اسْمِ الْمَفْعُولِ كَانَ عَنْ قَصْدٍ، فَالإنسان لَا يَحْلِقُ رَأْسَهُ بِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا يَحْقِقُهُ غَيْرُهُ، وَارْتِدَاءَ الْإِزَارِ مُشَمَّرٌ، وَلَيْسَ لَهُ دَخَلَ فِي تَشْمِيرِهِ؛ بَلْ هُوَ فِي الْأَصْلِ مُشَمَّرٌ.

❁-العدول عن الصفة المشبهة إلى اسم المفعول.

(1)-حدّثنا قتيبة، حدّثنا الليث بن سعد عن يحيى بن عمر بن كثير عن أبي محمد مولى أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ يوم حنين: «مَنْ لَهُ بَيِّنَةٌ عَنِ قَتِيلٍ قَتَلَهُ فَلَهُ سَلْبُهُ... وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِرَاقِ: مَا سَمِعَ أَوْ رَأَهُ فِي مَجْلِسِ الْقَضَاءِ قَضَى بِهِ، وَمَا كَانَ فِي غَيْرِهِ لَمْ يَقْضِ إِلَّا بِشَاهِدَيْنِ يَخْضِرُهُمَا إِقْرَارُهُ. وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ: بَلْ يَقْضِي بِهِ لِأَنَّهُ مُؤْتَمَنٌ...»⁽³⁾، لقد عدل الرسول ﷺ عن لفظة "أمين" إلى لفظة "مؤتمن"؛ أي عدول عن الصفة المشبهة إلى اسم المفعول، وكلمة "أمين" جاءت على صيغة "فعل" والتي تُفيد الشدّة والمبالغة في الوصف،

(1) صحيح البخاري: (كتاب: المغازي، باب: بعث علي بن أبي طالب ﷺ، وخالد بن الوليد ﷺ، إلى اليمن قبل حجة الوداع، رقم الحديث: 4351، ص1064).

(2) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 537/13.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: الأحكام، باب: الشهادة تكون عند الحاكم، في ولايته القضاء أو قبل ذلك، للخصم، رقم الحديث: 7170، ص1772).

في حين صيغة مفعول تدلّ على الشّدة والضعف في الوصف، فالمؤتمّن ائتماناً قليلاً أو كثيراً يصحّ أن يُسمّى مؤتمّناً، ولا يُقال (أميناً) إلا إذا كان ائتمانه كثيراً من قبل نفسه، أو من قبل النَّاس وشهادتهم به؛ لذلك أعرض الرّسول ﷺ على صيغة الصّفة المشبّهة إلى صيغة اسم المفعول لأنّها الأنسب، فالإنسان لا يكون دائماً أميناً، فهناك فترات يكون فيها أميناً وفترات أخرى فاقداً لهذه الصّفة، فأخلاقه بين الصّعود والنّزول، فصفة الأمانة صفة عارضة لا ثابتة، وما دامت كذلك فكان اسم المفعول أليق على اعتبار أنّه «صفة تُشتق من مصدر الفعل المتصرّف المبني للمجهول للدّلالة على من وقع عليه الفعل حدوثاً لا ثبوتاً». (1)؛ في الوقت الذي كانت فيه الصّفة المشبّهة غير مناسبة للمقام لأنّها تفيد الثّبوت والاستمرار فهي «اسم مشتق مصوغ من مصدر الفعل الثلاثي اللازم للدّلالة على ثبوت صفة لصاحبها ثبوتاً عامّاً مستمراً». (2)، وقد قلنا أنّ الأمانة أمر نسبيّ في الإنسان؛ الذي يقع من حين لآخر تحت نزوات نفسه ووساوس الشّيطان، وحين آخر تكون القدرة الإيمانيّة لديه في أقصى درجاتها.

(2) - حدّثنا محمد بن سنان حدّثنا همام عن قتادة قال: «كُنَّا عِنْدَ أَنَسٍ وَعِنْدَ خَبَّازٍ لَهُ، فَقَالَ: مَا أَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ خُبْزًا مَرْقَّقًا، وَلَا شَاءَ مَسْمُوطَةً حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ.» (3)، هناك عدول في عبارة: "خبزاً مرقّقاً" عن عبارة: "خبزاً رقيقاً"؛ أي عدول عن الصّفة المشبّهة لاسم المفعول، فترك الرّسول ﷺ لأكل الخبز المرقّق والأكل على الخوان «إنّما هو لدفع طيّبات الدّنيا اختياراً لطيّبات الحياة الدّائمة... لا يدلّ على تفضيل الفقر على الغنى بل يدلّ على فضل القناعة والكفاف وعدم التّبسط في ملاذ الدّنيا». (4)، فالخبز المرقّق دليل على رغد العيش في الدّنيا، والرّسول ﷺ لم يكن كذلك أملاً منه في رغد عيش الآخرة، وأمّا الخبز الرّقيق فدليل على الاقتصاد في المعيشة لأنّه لا يتطلب كمّيّة كبيرة من العجين لذلك لم يُنف عن الرّسول أكله، وإنّما نُفيّ أكله للخبز المرقّق.

(1) فخر الدّين قباوة، مرجع سابق، ص 155.

(2) ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك، تحقيق: يوسف الشّيبخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، (دط)، (دت)، 212/3.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: الأطعمة، باب: الخبز المرقّق والأكل على الخوان السّفرة، رقم الحديث: 5385، ص 1373).

(4) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 280/11.

ج-العدول إلى الصّفة المشبهة:

❖-العدول عن اسم الفاعل إلى الصّفة المشبهة.

-حدّثنا يحيى بن بكير، حدّثنا الليث بن سعد، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدريّ، قال: قلنا: يا رسول الله هل نرى ربّنا يوم القيامة؟ قال: «هل تُصَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟»، قُلْنَا: لَا، قَالَ: «فَاتِّكُم لَا تُصَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُم يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُصَارُونَ فِي رُؤْيَتِكُمَا» ثُمَّ قَالَ: «يُنَادِي مُنَادٍ، لِيَذْهَبَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الْأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَعُذِرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.»⁽¹⁾، لقد «عدل الخطاب عن "بارٍ" اسم الفاعل إلى "برٍ" ليصِفَ بالصّيغة المشبهة "بر" على وزن فعل، وتعليل ذلك أنّ المؤمن الذي كمل برّه، وقد ثبت بره، فاختار الخطاب الصّفة المشبهة الدّالة على الثبوت لاسم الفاعل، أي كأنّ المؤمن العابد مخلوق من بر ثابت، لكثرة ما يأتي منه.»⁽²⁾، إنّ كلمة "برٍ" معطوفة عليها كلمة "فاجر"، والتي جاءت على صيغة اسم فاعل لذلك كان من المفروض أن تكون الكلمة "برٍ" على صيغة اسم فاعل "بارٍ" غير أنّه عدل عنها إلى الصّفة المشبهة، وهي الأنسب لهذا المقام لأنّ صفة البرّ صارت طبيعة ثابتة في نفس المؤمن، لا صفة تحدث ثم لا تلبث أن تزول.

❖-العدول عن اسم المفعول إلى الصّفة المشبهة.

-حدّثنا محمد بن يوسف، حدّثنا الأوزاعي، حدّثنا أبو النّجاشي، قال: سمعت رافع بن خديج رضي الله عنه، قال: «كُنَّا نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الْعَصْرِ، فَنَجِرُ جُزُورًا فَتُقَسَمُ عَشْرَ قِسْمٍ، فَنَأْكُلُ لَحْمًا نَضِيجًا قَبْلَ أَنْ تَغْرِبَ الشَّمْسُ.»⁽³⁾، لقد عدل عن كلمة "منضوج إلى كلمة "نضيج"

(1) صحيح البخاري: (كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ») (القيامة:23)، رقم الحديث: 7439، ص1836، 1837.

(2) سامي عودة عبید الخوالدة، مرجع سابق، ص96.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: الشّركة، باب: الشّركة في الطّعام والنّهد والعروض، رقم الحديث: 2485، ص603).

وقوله: "لحمًا نضيجًا" بفتح النون، وكسر الضاد المعجمة وفي آخره جيم أي: مشويًا. (1)، فاللحم النضيج «تام الطبخ وتام النضج دون عجالة». (2)، عند استبدال كلمة "منضوج" بكلمة "نضيج"، فالقصد من ذلك اللحم كامل النضج، في حين لو أستعملت صيغة اسم المفعول لكان اللحم ناضجًا ولكن ليس تمام النضج، فهو يحتاج إلى وقت إضافي حتى يكتمل طهيته.

د- العدول إلى صيغ المبالغة:

❖ - العدول عن اسم الفاعل إلى صيغ المبالغة

- حدّثنا أصبغ قال: أخبرني ابن وهب أخبرنا أبو يحيى -وهو فليح بن سليمان- عن هلال بن أسامة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ ﷺ سَبَابًا وَلَا فَحَاشًا وَلَا لَعَانًا، كَانَ يَقُولُ: لِأَحَدِنَا عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ: مَالُهُ تُرِبَ حِينِهِ؟. » (3)، فالرسول صلى الله عليه وسلم لا يلعن إلا من لعنه الله في الكتاب، فقد يكون "لاعنا" للصفات لا على التعيين، فلم يكن حديثه يتضمن السب واللعن دائمًا، وبخاصة للإنسان المؤمن؛ لأن سباب المؤمن فسوق، ولعن المؤمن كقتله، فحتى أولئك الذين جاءوا بجُرم عظيم، وهو كتمان ما أنزل الله من البيّنات، ومنهم اليهود فقد جاء في حقهم أن يلعنهم اللاعنون لا اللعانون، بصيغة اسم الفاعل لا صيغة المبالغة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (البقرة: 159)، وإيمان المؤمن يردعه عن الوقوع في أعراض المسلمين من شتم ولعن وقذف؛ بل إذا خاطبه الجاهل قال: سلامًا، وعلى من أراد منزلة الصّديقين فليترك اللعن والقذف لأنهما لا يقرآن شناعة عن قتل المؤمن، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ومن لعن مؤمنًا فهو كقتله، ومن قذف مؤمنًا بكفر فهو كقتله». (4)، فهناك عدول عن صيغ اسم الفاعل "ساب" و"فاحش" و"لاعن" إلى صيغ المبالغة: "سباب" و"فحاش" و"لعان"، وسبب ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم يلعن فقط الذين يلعنهم الله، دون الإكثار من اللعن أو السب أو الفحش؛ لذا يجب على المؤمن أن يقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم، ويتجنب الوقوع في أعراض المسلمين حتى ينال

(1) بدر الدين العيني، مرجع سابق، 44/13.

(2) موسى شاهين لاشين، مرجع سابق، 327/3.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: الأدب، باب: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشًا ولا متفحشًا، رقم الحديث: 6031، ص 1512).

(4) سامي عودة عبيد الخوالدة، مرجع سابق، ص 104، 105.

المكانة العالية والدرجة الرفيعة ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء: 70).

هـ - العدول إلى اسم التفضيل:

❁ - العدول عن اسم الفاعل إلى اسم التفضيل.

- حدّثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدّثنا سليمان، عن موسى بن عقبة، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة: أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخَلَ أَحَدَكُمْ عَمَلَهُ الْجَنَّةَ، وَأَنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ». (1)، هناك عدول عن صيغة اسم الفاعل (الدائم) إلى صيغة اسم التفضيل (أدومها)، فاسم الفاعل يدلّ على العموم أمّا اسم التفضيل فهو أكثر ديمومة ومواظبة عليها ف«المراد بالدوام المواظبة العرفيّة وهي الإتيان بها في كل شهر أو كل يوم بقدر ما يُطلق عليه عرفًا اسم المداومة». (2)، فالمداومة العرفيّة قابلة « للكثرة أو القلّة وإن (قلّ) ذلك العمل المُدَاوَم عليه جدًا لأنّ النفس تألفه فيدوم بسببه الإقبال... ولأنّ تارك العمل بعد الشروع كالمُعْرِض بعد الوصل، ولأنّ المواظب مُلَازِم للخدمة وليس من لازم الباب كمن جدّ ثم انقطع عن الأعتاب، ولهذا قال بعض الأنجاء: "ولا تقطع الخدمة وإن ظهر لك عدم القبول، وكفى ذلك شرفًا بقيمتك في خدمته"، وفيه فضيلة الدوام على العمل، ورأفة المصطفى ﷺ بأُمَّتِهِ حيث أرشدهم إلى ما يُصلحهم، وهو ما يُمكنهم الدوام عليه بلا مشقة لأنّ النفس فيه أنشط، وبه يحصل مقصود العمل وهو الحضور، هذا عصاره ما قيل في توجيه الدوام في هذا المقام وأقول يحتمل أن يكون المراد بالدوام الترفّق بالنفس وتدريبها». (3).

إنّ العدول عن اسم الفاعل إلى اسم التفضيل كان الهدف من ورائه الاستمراريّة في العمل الصّالح دون انقطاع، ولا توقّف ثم استئناف من جديد، فالعمل الصّالح ومهما كانت نسبة إنجازها فهو أفضل من التوقّف عنه، فالديمومة والاستمراريّة هي أحد الأسس والدعائم

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الرّفاق، باب: القصد والمداومة على العمل، رقم الحديث: 6464، ص 1609).

(2) بدر الدّين العيني، مرجع سابق، 64/23.

(3) الألباني، مرجع سابق، 143/1.

التي يُؤكِّد عليها الرسول ﷺ، لأنَّ بركة العمل في المواظبة عليه وإنَّ قلَّ، ولكن بالمقابل لو وظَّف الرسول ﷺ صيغة (الدائم) لَفَقَدَ المسلم صفة الاستمرارية، في أدائه لعمله؛ لأنَّ صيغة (الدائم) تعني عدم المواظبة، والتَّوقف من حين لآخر وهذا ما يُضعِف إرادة المسلم، وشيئاً فشيئاً حتى ينقطع عن العمل، فالنَّفْس بطبعها كما تُؤلفها تألف.

❁-العدول عن اسم المفعول إلى اسم التفضيل.

-حدَّثنا عمر بن حفص بن غياث، حدَّثنا أبي، حدَّثنا الأعمش عن شقيق، عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، وَمَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ.»(1).

لقد عدل الرسول ﷺ إلى صيغة "أحب" وهي «بمعنى: محبوب لا بمعنى مُحب»(2)، فكلمة "أحب" من «أفعل التفضيل بمعنى المفعول.»(3)، عندما عدل الرسول ﷺ عن صيغة اسم المفعول "محبوب"، إلى صيغة اسم التفضيل "أحب" كان لحكمة نبوية، فاستعماله ﷺ للفظ "أحب" لإظهار أن الله ﷻ يَحِبُّ أشياء كثيرة، ولكنها جميعاً لا تُضاهي محبته ﷻ للمدح، فالمدح في مقدمة المحبوبات لدى الله تعالى، في حين لو استعمل ﷻ لفظ "محبوب" لفهمنا من ذلك أن الله تعالى يُحِبُّ المدح، ولكن قد تكون هناك أشياء أخرى أكثر منه محبة، أو أن الله تعالى يُحِبُّ المدح في حين ويبغضه في حين آخر.

❁-العدول عن صيغ المبالغة إلى اسم التفضيل.

-حدَّثنا علي بن عبد الله، حدَّثنا يعقوب بن إبراهيم، حدَّثنا أبي عن صالح عن ابن شهاب قال: أخبرني عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد أن محمداً بن سعد بن أبي وقاص أخبره أن أباه سعد ابن أبي وقاص قال: «إِسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمُهُ وَيَسْتَكْثِرُنَّهُ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُفِيَ بِنْتِ دِرْنِ الْحِجَابِ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: عَجِبْتُ

(1) صحيح البخاري: (كتاب: النكاح، باب: الغيرة، رقم الحديث: 5220، ص1827).

(2) شمس الدين البرماوي، مرجع سابق، 349/17.

(3) بدر الدين العيني، مرجع سابق، 228/18.

مِنْ هُوَلاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتِكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ. قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهْبِنَ. ثُمَّ قَالَ: أَيُّ عَدَوَاتِ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبِنِي وَلَا تَهَبِنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قُلْنَ: نَعَمْ. أَنْتَ أَفْظُ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ...»⁽¹⁾، هناك عدول عن صيغ المبالغة (فظ-غليظ) إلى اسم التفضيل (أفـأغظ)، وقول النسوة لـ"عمر بن الخطاب" ﷺ: «(أنت أفظ أغظ)، أي أنت كثير الفظ أي سيء الكلام وكثير الغلظ أي: شديد القلب بخلافه ﷺ، فإنه حسنُ الخلق، كما أخبرنا الله ﷻ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: 4)، وقوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: 159).»⁽²⁾، عند العدول عن صيغ المبالغة إلى اسم التفضيل القصد منه المقارنة والمفاضلة بين خلق "عمر بن الخطاب" ﷺ، والرَّسول ﷺ، وقد كانت هذه المفاضلة «فيما يحب من الإنكار والخشونة على أهل الباطل كما في قوله: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (التحريم: 9).»⁽³⁾، فمعروف على "عمر بن الخطاب" أنه كان أكثر الصحابة صرامة، وخاصة في تطبيق حدود الله تعالى، والتعامل مع المشركين، في الوقت الذي كان فيه الرَّسول ﷺ أكثر لينًا وتسامحًا، وهذا هو السرُّ في جعل الأعداء والمشركين يُقْرُونَ بأحقيته للنبوَّة، فدخلوا في هذا الدِّين أفواجًا، وانقلبوا من معادين محارِبين إلى أصحاب مدافعين.

إنَّ الرَّسول ﷺ كانت لديه صفتا الفظاظة والغلظة ولكن ليس في جميع الأحوال، وإنما على أهل الباطل الجاحدين لنبوِّته ودعوته غير أن "عمر بن الخطاب" ﷺ كان يزيد عليه في هاتين الصِّفتين؛ لذلك أُستعمل اسم التفضيل، فلو أُستعملت صيغ المبالغة، لكانت هاتان الصِّفتان محصورتين في شخص الفاروق دون غيره من الأشخاص بما فيهم الرَّسول ﷺ.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، رقم الحديث: 3294، ص 810، 811).

(2) القاري، مرجع سابق، 3894/9.

(3) أبو إسحاق ابن قرقول، مطالع الأنوار على صحاح الآثار، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ط1، 1433هـ، 2012م، 238/5.

المبحث الثاني

العدول الفعلي

أولاً: عدول عن الماضي إلى المستقبل

ثانياً: عدول عن المضارع إلى الماضي

ثالثاً: عدول بين المضارع والأمر

أولاً- عدول الماضي إلى المستقبل:

(1)- حدّثنا مسدد، قال: حدّثنا يحيى، عن سيف يعني ابن سليمان، قال: سمعتُ مجاهدًا، قال: أتى ابن عمر فقيل له: هذا رسول الله ﷺ دخل الكعبة، فقال ابن عمر: فأقبلتُ والنبي ﷺ قد خرَجَ وأجدُ بلالًا قائمًا بينَ البابينِ، فسألْتُ بلالًا، فقلتُ: أصلى النبي ﷺ في الكعبة؟ قال: «نعم، ركعتين، بينَ السَّاريتينِ اللَّتينِ على يساره إذا دخلت، ثم خرَجَ وصلى على وجه الكعبة ركعتين.»⁽¹⁾، إنَّ الفعل "وجدتُ" ورد معطوفًا على الفعل "خرج"، والذي بدوره جاء بعد الفعل "أقبلتُ"، وكلا الفعلين وَرَدَا في الزَّمن الماضي، و«قوله: "أجدُ" بعد قوله: "أقبلتُ"، وكان الأنسب للسياق أن يقول: ووجدتُ وكأنه عدل عن الماضي إلى المضارع استحضارًا لتلك الصورة حتى كأنه يُشاهدها.»⁽²⁾، ف«(أجد بلالًا) فيه إيقاع المضارع موقع الماضي أي "وجدتُ" بالتاء فصار لتلك الصورة.»⁽³⁾، ف"عبد الله ابن عمر" ﷺ عندما عدل عن الفعل "وجدتُ" إلى الفعل "أجد" كان الهدف منه استحضارًا لتلك الصورة التي يُخبر الصحابة عنها.

(2)- حدّثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا عبد الوهاب، حدّثنا خالد، عن مكرمة، أن ابن عباس، قال لابنه ولعكرمة: اتنيا أبا سعيد، فاسمعا من حديثه، فأتيناه وهو وأخوه في حائط لهما يسقيانه، فلم رأنا جاء فاحتبى وجلس، فقال: كنّا ننقل لبن المسجد لبنة لبنة، وكان عمار ينقل لبنتين، فمرّ به النبي ﷺ ومسح عن رأسه الغبار، وقال: «(ويح عمار) ثقُلُهُ الفِئَةُ الباغِيَةُ، عَمَارٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَيَدْعُوهُ إِلَى النَّارِ.»⁽⁴⁾، هناك عدول عن الفعل الماضي "دعاهم" إلى الفعل المضارع "يدعوهم"، وإذا قيل: «إنّ فتنة "عمار" قد كانت بمكة في أول الإسلام، وإنّما قال يدعوهم بلفظ المستقبل، وهذا لفظ الماضي. قيل العرب قد تُخبر بالفعل المستقبل عن الماضي إذا عُرِفَ المعنى، كما تُخبر بالماضي عن المستقبل، فقوله: (يدعوهم إلى الله) بمعنى دعاهم إلى الله؛ لأنّ محنة "عمار" كانت بمكة مشهورة، فأشار ﷺ إلى ذكرها لمّا

(1) صحيح البخاري: (كتاب: تفسير القرآن - سورة البقرة-)، باب: قول الله تعالى: «وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى» (البقرة: 125)، رقم الحديث: 397، ص 109، 110).

(2) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 500/1.

(3) السبوي، التوشيح شرح الجامع الصحيح، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1419هـ، 1998م، 486/2.

(4) صحيح البخاري: (كتاب: الجهاد والسير، باب: مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله، رقم الحديث: 2812، ص 696).

طابقت شدته في نقله لبنتين شدته في صبره بمكة على عذاب الله، فضيلة لـ"عمار"، وتبنيهاً على ثباته، وقوته في أمر الله تعالى.»⁽¹⁾، لقد تعودت العرب الإخبار بالمستقبل عن الماضي، أو الإخبار عن الماضي بالمستقبل، وهناك تفسير آخر لاستعمال الفعل (يدعوهم)، حيث أنه دلّ على المستقبل فعلاً «وقد وقع ذلك يوم "صفين" * معجزة لرسول الله ﷺ؛ حيث دعا الفئة الباغية إلى الحق، وكانوا يدعونه إلى البغي.»⁽²⁾، فيدعوهم ليس فيه عدول لأنّ "عمار" ﷺ سيدعوهم في المستقبل وبالتحديد أثناء معركة "صفين"؛ لذلك فاستعمال الفعل المضارع مناسب للمقام.

(3) -حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا جرير بن حازم، حدثنا أبو رجاء، عن سمرّة بن جندب، قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ... فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ...»⁽³⁾، هناك عدول عن الفعل "فرجع" إلى الفعل "فيرجع" (في فيه بحجر فيرجع كما كان)، وهو عطف على فجعل، ولعل العدول عن الماضي إلى المضارع لاستحضار الحال.»⁽⁴⁾، فالعدول عن زمن الماضي إلى زمن المستقبل لاستحضار وجعل الصورة ماثلة أمامنا.

(1) ابن بطال، مرجع سابق، 27/5.

* معركة صفين وقعت في صفر 37 للهجرة /جويلية 657 للميلاد، وهي تقع في مدينة الرقة الواقعة على ضفاف نهر الفرات من الجهة الشرقية من الجمهورية السورية، أستشهد فيها عمار بن ياسر ﷺ، وقد وقعت هذه المعركة بين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأتباعه بما فيهم عمار بن ياسر ﷺ من جهة، ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ وأتباعه من جهة أخرى.
(2) شمس الدين الكرمانى، مرجع سابق، 114/12.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين، رقم الحديث: 1386، ص334، 335).

(4) القاري، مرجع سابق، 2926/7.

ثانيًا: عدول عن المضارع إلى الماضي

(1) - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَرِيَمَ، حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَهْلٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: «أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِقَدَحٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ أَصْغَرُ الْقَوْمِ، وَالْأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ. فَقَالَ: يَا غُلَامُ أَتَأْتُنُنِي أَنْ أُعْطِيَهُ الْأَشْيَاخُ؟ فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأُوْتِرَ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ.»⁽¹⁾؛ حيث قال: "ما كنتُ" ولم يقل: "لم أكن" و«في عدوله من المضارع إلى الماضي مبالغة»⁽²⁾، فالهدف من هذا العدول هو للمبالغة، وخاصة إذا كان الكلام يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم.

(2) - حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مَنْصُورٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: أَخْبَرَنَا مَعْمَرُ بْنُ هَمَامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ فَكُلَّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ.»⁽³⁾، هناك عدول في جملة "حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ" أي «إلى أن يلقى الله يوم القيامة فيجازيه أو يعفو عنه... والعدول إلى الماضي لتحقيق وقوعه لقوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النحل:1)، ولا يبعد تعلق "حتى" بالجملتين، وإرادة اللقي بمعنى الموت»⁽⁴⁾، فالعدول عن صيغة المضارع "يلقى" إلى صيغة الماضي "لَقِيَ" لتأكيد ملاقاته الله يوم القيامة.

(3) - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَثْمَانُ بْنُ عَمْرٍو، أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ زُهَيْرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ كَعْبِ رضي الله عنه: أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنُ أَبِي جَدْرٍ دَيْنًا... قَالَ لَبِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ضَعُ مِنْ دَيْنِكَ هَذَا، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ -أَي الشَّطْرَ- قَالَ: لَقَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: قَمِّ فَأَقْضِهِ.⁽⁵⁾، هناك عدول عن "أفعل" إلى "لقد فعلت"، والتي تعني «مبالغة في امتثال الأمر

(1) صحيح البخاري: (كتاب: المساقاة، باب: في الشرب، ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، مقسومًا كان أو غير مقسوم، رقم الحديث: 2351، ص566).

(2) القاري، مرجع سابق، 2751/7.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: الإيمان، باب: حُسن إسلام المرء، رقم الحديث: 42، ص583).

(4) المباركفوري، مرجع سابق، 116/1.

(5) صحيح البخاري: (كتاب: الصلاة، باب: التَّقاضي والملازمة في المسجد، رقم الحديث: 457، ص583).

لأنّه أَكَّدَ فعلتُ باللام، وكلمة قد وفيه معنى القسم أيضاً.»⁽¹⁾، فالعدول عن صيغ المضارع إلى الماضي ليدلّ على المبالغة في الامتثال لأوامر الرسول ﷺ، أي أقسم بأنني فُمتُ بالذي طلبت يا رسول الله.

ثالثاً: عدول بين المضارع والأمر

(1) - حدّثنا مسدد، حدّثنا معتمر عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ.»⁽²⁾.

إنّ جملة "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً" وردت في بداية الحوار بين الرسول ﷺ والصّحابة رضي الله عنهم، وقد جاءت جميع الأفعال التي وردت بعد الفعل "انصر" مضارعة في الوقت الذي كان فيه هذا الأخير فعل أمر، فكان من باب أولى أن يكون كبقية الأفعال مضارعاً، وتفسيرات هذا الحديث كلها تضمّنت أفعالاً مضارعة عند التّطرق للفعل "انصر"، فيقال: أنّه اقتتل غلامان أحدهما من الأنصار والآخر من المهاجرين، وأخبر الرسول ﷺ أنّ غلامين كسح أحدهما الآخر، فقال: «لا بأس لينصر الرّجل أخاه ظالماً أو مظلوماً، فإن كان ظالماً فلينهه فإنّه له نُصرة، وإن كان مظلوماً فلينصره.»⁽³⁾، انصر أخاك؛ فإن كان مظلوماً فأعدّ إليه حقّه، وأوقف عنه الظلم، وإن كان ظالماً فأوقفه وأدعوه لِيَتَوَقَّفَ عن ظلمه وليُعيد الحقوق لأصحابها، "فلينصر" فعل مضارع، ولكن عُدِلَ عنه إلى الفعل "انصر".

(2) - حدّثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب عن الزّهرّي قال: أخبرني سالم بن عبد الله أنّ عبد الله بن عمر قال: «أخذ عمر حبة من استبرق تباع في السّوق فأخذها... فأقبل بها عمر فأتى بها رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنك قلت إنّما هذه لباس من الأخلاق له، وأرسلت إليّ بهذه الجبة. فقال له رسول الله ﷺ: «تَبِيعَهَا أَوْ تُصِيبُ بِهَا حَاجَتَكَ.»⁽⁴⁾، لقد عدل

(1) بدر الدّين العيني، مرجع سابق، 227/4.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: المظالم، باب: أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، رقم الحديث: 2444، ص591).

(3) السّيوطي، الملع عن أسباب ورود الحديث، إشراف: مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1416هـ، 1996م، 63/1.

(4) صحيح البخاري: (كتاب: العيدين، باب: في العيدين والتّجمل فيه، رقم الحديث: 948، ص231).

الرّسول ﷺ عن "بعها أو أصبها" إلى "تبيعها أو تصيب"، فالغاية من استعمال الرّسول ﷺ الفعل المضارع بدلاً من الفعل الأمر ليبين لـ "عبد الله بن عمر" رضي الله عنهما أنّ البيع والإصابة فعلاً من إرادتك، ولكن لو أُسْتُعْمِلَ فعل الأمر لكانت القضية فيها نوعاً من الإيجاب والإلزامية، فصار مُسَيَّرًا في تصرفاته لا مُخَيَّرًا، ومعروف عن الرّسول ﷺ في تأديبه وتربيته لصاحبه لم يكن مُتَسَلِّطًا أو مُتَفَرِّدًا في قراراته، وإنّما كان مُشَاوِرًا حينًا، ومُخَيَّرًا حينًا آخر، وواعظًا في كثير من الأحيان.

المبحث الثالث

العدول بين الفعل والاسم

أولاً: العدول عن الفعل إلى الاسم

ثانياً: العدول عن الاسم إلى الفعل

أولاً: العدول عن الفعل إلى الاسم

1- العدول عن الفعل إلى المصدر:

- حدّثنا حفص بن عمر، قال: حدّثنا شعبة، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي.»⁽¹⁾، إنَّ معنى كلمة سبحانك: «سَبَّحْتُكَ، وسبحان الله معناه: سَبَّحْتُ الله ونَزَّهْتُهُ عن كل عيب.»⁽²⁾، وقد قال أهل العربية عن كلمة (سبحانك) «هو نصب على المصدر، سبحتُ الله تسبيحًا وسبحانًا، ومعناه براءة وتنزيهاً لك، ويُقال: إنَّ التسبيح مأخوذ من قولهم: سَبَّحَ الرجل في الأرض إذا ذهب (فيها)، ومنه قيل للفرس الجواد: سابع، قال الله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَالِكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (يس:40)، فكلمة سبحانك "بمعنى أُسَبِّحُك أي أَنْزَهُكَ والمصدر ناب عن الفعل.»⁽³⁾.

إذن فالحديث النبويّ تضمّن عدولاً عن الفعل المضارع إلى المصدر، والسبب أن المصدر يدلّ على الثبات بينما الفعل المضارع فإنّه يحمل معنى التّجديد، وتسبيح الله تعالى أمر ثابت، لا يتوقف أو ينقطع عند الإنسان المؤمن فما بالك إذا تعلق الأمر بالرسول ﷺ.

2- العدول عن الفعل إلى اسم الفاعل:

(1) - حدّثنا عمر بن حفص بن غياث، حدّثنا أبي، حدّثنا الأعمش قال: حدّثني عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما نزلت ﴿وَأَنْزَرْنَا عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء:214) صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: «يَا بَنِي فَهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» - لِبَطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: (أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي

(1) صحيح البخاري: (كتاب: صفة الصلاة، باب: الدّعاء في الرّكوع، رقم الحديث: 794، ص 195).

(2) ابن بطال، مرجع سابق، 415/2.

(3) النّجمي، تأسيس الأحكام على ما صحّ خير الأنام، تعليق: محمد ناصر الدّين الألباني، ط2، 1414هـ، 1994م، 208/2.

تُرِيدُ أَنْ تَغَيِّرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي...»⁽¹⁾، لقد كان العدول عن كلمة "تُصَدِّقُونِي" إلى كلمة "مُصَدِّقِي" والتي تضمّنت «تشديد الياء مضافاً إلى ياء المتكلم؛ أي أَتُصَدِّقُونِي فيما أخبرتكم؟»⁽²⁾، فكلمة مُصَدِّقِي أصلها «مُصَدِّقِي نِي فلما أُضِيفَ إلى ياء المتكلم سقطت النون وأدغمت ياء الجمع في ياء المتكلم ومراده بذلك تقريرهم بأنهم يعلمون صدقه إذا أخبر عن شيء غائب (قالوا: نعم) نُصَدِّقُكَ.»⁽³⁾.

إذن فالرسول ﷺ عندما سأل بطون قريش هل يُصدقونني؟ كان يعلم يقيناً أنهم يُصدقونه؛ لذلك وظّف عليه الصلوة والسلام اسم الفاعل بدلاً من الفعل المضارع، والذي يدلّ بصفته على تجدد الحدث ووقوعه بالتدرّج، بينما اسم الفاعل فإنّه يدلّ على صفة حلت في صاحبها، فصفة الصدق حلت عند الرسول ﷺ حتى زمن التكلّم، بينما الفعل "يُصَدِّقُونِي"، فالأحداث مازالت تتوالى، ولم تنته حتى زمن التكلّم.

(2)- حدّثنا الحميدي، حدّثنا الوليد، حدّثنا الأوزاعي، قال: حدّثني الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ من الغد يوم النحر، وهو بمنى: «نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ، حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ.» يَعْنِي ذَلِكَ الْمُحَصَّبِ، وَذَلِكَ أَنْ قُرَيْشًا وَكِنَانَةَ، تَحَالَفَتْ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ...»⁽⁴⁾.

إنّ كلمة "نازلين" حلت محل كلمة "سنزل"، و"نازلون" دلالة على أنّ الرسول ﷺ والصحابه ﷺ مُؤكّد نزولهم بـ "خيف بني كنانة"، ولكن لو جُعِلَ مكان "نازلون" "سنزل" فهذا لا يُؤكّد نزولهم، فقد ينزلون وقد لا ينزلون حسب الظروف المحيطة بهم، ولكن مادام الرسول ﷺ مُؤيّدًا من طرف الله ﷻ، فالأكيد أنّ ما أوحاه إليه الله فهو حاصل فعلاً، والقضية قضية وقت لا أكثر ولا أقل.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: تفسير القرآن - سورة الشعراء -، باب: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» (الشعراء: 214)، رقم الحديث: 4770، ص 1196).

(2) ابن ملك الرومي، شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، تحقيق ودراسة لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية، ط1، 1433هـ، 2012م، 473/5.

(3) القسطلاني، مرجع سابق، 280/7.

(4) صحيح البخاري: (كتاب: الحج، باب: نزول النبي ﷺ مكة، رقم الحديث: 1590، ص 386).

ثانيًا: العدول عن الاسم إلى الفعل

1- العدول عن المصدر إلى الفعل:

- حدّثنا علي بن الجعد قال: أخبرنا شعبة عن أبي جَمْرَةَ قال: كنتُ أقعد مع ابن عباس يُجَلِسُنِي... ثم قال: «إِنَّ وَفَدَ عَبْدَ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: مَنْ الْقَوْمُ -أَوْ مِنْ الْوَفْدِ- قَالُوا: رَبِيعَةٌ... قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحَدَهُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: شَهَادَةٌ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ...»⁽¹⁾، هناك مجموعة من الجمل المعطوفة عن بعضها بعضًا وهي: شهادة أنّ لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا المغنم الخمس، وما يلاحظ على الجملة الأخيرة أنّها جملة فعلية بينما بقية الجمل فهي اسمية، وإذا تساءلنا: «لِمَ عدل عن لفظ المصدر الصريح في قوله: "وأن تعطوا من المغنم" إلى ما في معنى المصدر وهي أنّ مع الفعل؟ أُجيب بأنه للإشعار بمعنى التجدد الذي للفعل لأنّ سائر الأركان كانت ثابتة قبل ذلك بخلاف إعطاء الخمس فإنّ فرضيته كانت مُتجدّدة.»⁽²⁾، فسبب مجيء الجملة الأخيرة (وأن تعطوا من المغنم) فعلية لأنّ جميع الأركان السابقة ثابتة بينما إعطاء الخمس فهو متجدد ومتغير.

2- العدول عن اسم الفاعل إلى الفعل.

- قال ابن عباس رضي الله عنهما: «فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ ﷺ نَكَرْتُ ذَلِكَ لِغَائِشَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ: رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ، وَاللَّهِ مَا حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ اللَّهَ لَيُعَذِّبُ الْمُؤْمِنَ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيَزِيدُ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ...»⁽³⁾، فالعدول كان في كلمة "لَيُعَذِّبُ" عن كلمة "لَمُعَذِّبُ"، ويُعَذِّبُ معناها إمّا يُعَذِّبُ أو لا يُعَذِّبُ، أمّا مُعَذِّبُ فإنّه أكيد وقوع العذاب، وطالما أنّه ليس كل الموتى يُعَذِّبُونَ ببكاء أهلهم لذلك أُستعمل الفعل

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الإيمان، باب: أداء الخمس من الإيمان، رقم الحديث: 53، ص24).

(2) بدر الدين العيني، مرجع سابق، 311/1.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: الجنائز، باب: قول النبي ﷺ: «يُعَذِّبُ الْمَيِّتُ بِبَعْضِ بَكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ» إذا كان النوح من سنته، رقم الحديث: 1288، ص311).

يُعَذَّبُ بدلاً من اسم الفاعل مُعَذَّبُ، فالميت «إنما يُعَذَّبُ إذا أوصى بذلك في حياته، وكان ذلك مشهوراً في العرب موجوداً في أشعارهم كقول "طرفة":

إِذَا مِتُّ فَأَنْعِينِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ وَشَقِيَّ عَلَيَّ الْجَيْبِ يَا ابْنَةَ مَعْبَدٍ

... وأجمعوا على أنّ المراد بالبكاء هنا البكاء بصوت و نياحة لا بمجرد دمع العين. (1)، فهناك بكاء يُؤدِّي إلى تعذيب الميت وهو البكاء بصوت مُرتفع مع نياح وتعداد لمناقب الفقيد، وهناك بكاء لا يُؤدِّي إلى ذلك، وهو بكاء الدموع فقط، فهو بكاء الرّحمة؛ لهذا وُظِفَ الفعل بدلاً من اسم الفاعل، والذي يُؤدِّي إلى معاقبة كل إنسان يبكي على الميت، وهذا لا يجوز لا منطقياً ولا إنسانياً، فلا يُعقل أن نَفقدَ عزيزاً ولا نبكي عليه.

3-العدول عن اسم المفعول إلى الفعل:

-قال "ابن النّاطور: وكان "هرقل" ينظر في النّجوم، فقال لهم حين سألوه إنّي رأيتُ اللّيلة حين نظرتُ في النّجوم ملك الختان قد ظهر، فمن يختنن من هذه الأمّة؟ قالوا ليس يُختنن إلا اليهود فلا يَهُمُّكَ شأنهم، واكتب إلى مداين مُلكك فيقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم أُوتِي "هرقل" برجل أرسل به ملك "غسان" يُخبر عن رسول الله ﷺ، فلما استخبره "هرقل"، قال: اذهبوا فانظروا أُمُخْتَنَّنْ أم لا؟ فنظروا إليه فحدّثوه أنّه مُخْتَنَّنٌ، وسأله عن العرب فقال: هم "يُخْتَنَّنُونَ". (2)، هناك عدول عن صيغة اسم المفعول "مُخْتَنَّنُونَ" إلى الفعل "يُخْتَنَّنُونَ" فلو وُظِفَتْ كلمة: "مُخْتَنَّنُونَ" لدلّت الجملة على أنّ جميع العرب قد تمّت لهم عملية الختان أو ستتمّ مستقبلاً، ومعروف أنّ عملية الختان تتعلق بالمسلمين فقط لذلك فهناك من العرب من لا يُخْتَنَّنُ؛ لذلك كانت يُخْتَنَّنُونَ «أفيد وأشمل». (3)، وما يزيد المسألة وضوحاً عندما طلب "هرقل" من رجاله أن يذهبوا للرّسول ﷺ ويروونه إن كان مُخْتَنَّنًا أم لا، فأخبروه بأنّه مُخْتَنَّنٌ، فاستعمال صيغة اسم المفعول دلالة على حدوث عملية الختان للرّسول ﷺ، وهذا ما تُوكّده جميع المصادر التّاريخية التي أقرّت بأنّه جاء إلى الدّنيا مُخْتَنَّنًا.

(1) الزّرقاوي، شرح الزّرقاوي على موطأ مالك، تحقيق: طه عبد الرّؤوف سعد، مكتبة التّحفة الدّينية، القاهرة، ط1، 1424هـ، 2003م، 107/2.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى الرّسول ﷺ، رقم الحديث: 7، ص11).

(3) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 42/1.

خلاصة الفصل:

بعد الحديث عن الدلالة المعنوية للعدول الصرفي يمكننا الخروج بالنقاط الآتية:

(1) - كل حديث نبوي يحوي عدولاً صرفياً إلا وحوى بالتوازي معه دلالة معنوية، فقد تكون واضحة جلية في بعض الأحاديث، وخفية في بعضها الآخر فتحتاج إلى تدقيق وتمحيص، وغامضة في أخرى وقد عملنا جاهدين للكشف عن الدلالة المعنوية للعدول الصرفي للنماذج المأخوذة من صحيح البخاري.

(2) - إن كتب شروح الحديث هي أكثر الكتب التي تخدم هذا الفصل، فالعلماء في هذا الميدان يرجعون العدول إلى أسباب دينية أو لغوية أو معجمية أو ثقافية أو اجتماعية...

(3) - الدلالة المعنوية للعدول الصرفي في كثير من الأحاديث النبوية ترجع في الأساس إلى طبيعة الصيغة المعدول عنها والمعدول إليها من الناحية الصرفية، فدلالة "اسم الفاعل" مثلاً، أو "اسم المفعول"، أو "المصدر"، أو "الفعل"... وعمل كل منها هو الذي يُحدّد ونسبة كبيرة سبب العدول الصرفي.

(4) - هناك العديد من الأحاديث النبوية تبدو من الوهلة الأولى أنها تتضمن عدولاً صرفياً، ولكن سرعان ما يتلاشى هذا الاحتمال بمجرد التعمق في الحديث النبوي، وهناك أحاديث أخرى على النقيض من ذلك، فقد يتراءى للعيان أنها لا تحتوي على عدول، ولكن لو أمعنا النظر فيها لوجدناها تتضمن عدولاً صرفياً، ودورنا أن نتحرى الأمر جيداً حتى لا نقع في الخطأ.

(5) - السعي وراء معرفة الدلالة المعنوية للعدول الصرفي يُضفي على الدراسة نوعاً من التشويق وفتح مجال تفسير الأحاديث أمام المجتهدين على مصرعيه للوصول إلى الغاية المنشودة من هذه الدراسة.

الفصل الرَّابِع

الدَّلالات التَّداوليَّة للعدول الصَّرفيِّ

في صحيح البخاري.

المبحث الأول: الأفعال الإنجازيَّة الكلاميَّة ودورها في تداول

الخطاب النَّبويِّ في صحيح البخاري

المبحث الثاني: أصناف الفعل الكلاميِّ

المبحث الثالث: حال المخاطب والمخاطب

المبحث الرابع: المناسبة والسِّياق

المبحث الأول

الأفعال الإنجازية الكلامية ودورها في

تداول الخطاب النبوي من خلال صحيح

البخاري

الفعل الكلامي:

ما يُميّز الحياة الإنسانيّة والاجتماعيّة عن الحياة الحيوانيّة هو الكلام المُتبادل بين أفراد المجتمع الإنسانيّ، فهناك متكلّم، وفي الطّرف المقابل متلقٍ، ولضمان استمراريّة التّواصل والتّفاعل بين هذين الطّرفين كان لا بدّ من وجود تأثير واستجابة، فالإنسان المُتحدّث عندما يُنجز أفعالاً كلاميّة يتوخّى منها غاياتٍ وأهدافاً يودّ تبليغها للسامع، وهذا الأخير عليه أن يُصغي للكلام، ويحمّله محمّل الجد، فيحاول أن يستنبط المغازي والمرامي الموجودة بين طيّاته خاصة إذا كان هذا الفعل الكلاميّ نابع من شخص ليس كبقية الأشخاص العاديين، ونفصّدُ به الرّسول الكريم عليه الصّلاة والسّلام، وهذا صلب دراستنا.

إنّ البحث والدّراسة في الأفعال الكلاميّة يدخل في صميم التّدالويّة اللّغويّة؛ بل إنّ التّدالويّة في نشأتها الأولى كانت مُرادفة للأفعال الكلاميّة، ويُعدّ الفيلسوف الإنجليزيّ "جون لانجشو أوستن" **John Langshaw Hustin** ، والذي عاش بين (عامي 1911 و1960م) أوّل الفلاسفة الغربيين الذين نَبَّهوا للعلاقة الحاصلة بين الأفعال الكلاميّة والتّدالويّة، فعمل على دراسة ذلك بتمحيص واستفاضة، فكان «يُحاول دحض ما سمّاه "المغالطة الوصفية" فعرضَ للفرق بين المنطوقات التّقريريّة، والمنطوقات الأدائيّة- بذرة الأفعال الكلاميّة، وأهم نموذج لها- وظلّ يُطوّر فيها ويُحسّن من أنساقها حتّى آخر حياته من خلال المقالات والمحاضرات، ومن خلال كتابه الشّهير الذي طُبِع بعد وفاته، وهو (كيف ننجز الأشياء بالكلمات؟)»⁽¹⁾.

مجالات البحث اللّسانيّ التّدالويّ كثيرة ومُتعدّدة لكن أهمّها مجال الأفعال الكلاميّة، وهذا ما يُؤكّد الارتباط الوثيق بين الموضوعين؛ حتّى أنّ الأفعال الكلاميّة تكاد تُعايد التّدالويّة من حيث الهدف العام، والمتمثّل في الاستعمال اللّغويّ في التّواصل الإنسانيّ، وقد أدّى بكثير من العلماء إلى إطلاق لفظ "أب التّدالويّة" على "جون أوستن"، فهو الذي فتح باب التّدالويّة أمام زملائه و تلاميذه - وخاصة "جون سيرل" (**John Searle**)- على

(1) علي محمود حجّي الصّراف، في البراجماتيّة: الأفعال الإنجازيّة في العربيّة المعاصرة، دراسة دلاليّة ومعجم لسانيّ، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1431هـ، 2010م، ص29.

مصرعيه، فأخذوا يتوسعون في الدراسة ويتعمقون فيها، وأكثر من ذلك عملوا على تعديل العديد من آراء "جون أوستن"، أو إضافة بعض الأفكار الأخرى التي يكون قد غفل عنها.

قبل الخوض في الحديث عن الأفعال الإنجازية الكلامية ودورها في تداول الخطاب النبوي كان لابد من الوقوف على مجموعة من المصطلحات الواجب التعريف بها؛ لأنها تدخل ضمن الدراسة التي سنقوم بها لاحقاً؛ بل هي مفتاح العمل الذي نحن بصدد إنجازه، ومن هذه المفاهيم نذكر مايلي:

- مفهوم الأفعال الكلامية الإنجازية.

- مفهوم الأفعال الكلامية **speech acts**: هو «مفهوم تداولي مشتق من مناخ فلسفي عام هو تيار "الفلسفة التحليلية" بما احتوته من مناهج، وتيارات وقضايا؛ ولذلك يقول: بعض الدارسين "من الملاحظ أنّ دراسة المعنى من خلال تحليل الأفعال الكلامية نشأت أصلاً وتطورت على يد فلاسفة من أمثال "أوستن" و"سيرل"، لا على يد اللغويين أنفسهم.»⁽¹⁾، إنّ الحديث عن الفعل الكلامي يجزنا للحديث عن الفعل الإنجازي، وذلك لوجود علاقة وثيقة تجمع بينهما؛ لذا علينا معرفة مفهوم الفعل الإنجازي.

- مفهوم الأفعال الإنجازية: هذا المصطلح المركب من منوعت (الأفعال)، ونعت (الإنجازية)، ولذلك يجب الإشارة إلى مفهوم كل منهما:

- مفهوم الأفعال: يُعرّف العالم الهولندي "توين فان دايك" (Tena Van Duk) الفعل بقوله: «كل حدث حاصل بواسطة الكائن الإنساني.»⁽²⁾، فالفعل عمل إنساني أي ناتج من الذات البشرية، وهو ما يعني إقصاء بما تقوم به الحيوانات، فهو لا يُعدُّ فعلاً، وإنما سلوكي أو تصرف حيواني.

- مفهوم الإنجازية: لابد للإشارة هنا إلى ما قام به "أوستن" (Hustin) من خلال تحليله للأفعال الكلامية، فقد قسمها إلى نطقية أو لفظية، وهي الأصوات التي يُنطقها المتكلم

(1) المرجع السابق: ص22.

(2) فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر فيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2000م، ص228.

بصورتها التركيبية ومعناها المعجمي، وإنجازية؛ هي ما يقصده المتكلم من كلامه، وتأثيرية، وهي ما يُخلفه القول من تأثير، وزاد عليها "سيرل" الأفعال القضوية وهي تحمل قضية مكونة من خبر ومرجع وما يدرسه هذا العمل البحثي هو الفعل الإنجازي من هذه الأفعال،... يُقصد بالإنجاز في اللغة الأداء والإتمام، والقيام بالعمل، وأنجز المهمة: أداها، وقام بها على خير وجه، وأنجز العمل أتمه وأكمله أو قضاها... يُراد بالأفعال الإنجازية «تلك (الأعمال) التي يتم أداؤها وعملها، والقيام بها أثناء النطق بالأفعال اللغوية التي تدلّ عليها؛ أي قد يُشير معناها المعجمي إلى أحداثها التي تُؤدى أو يُحدثها المتكلم في أثناء النطق بها ما لم تتدخل عناصر سياقية معينة تُغيّر من معناها المباشر.»⁽¹⁾

فمفهوم الفعل الإنجازي لا يُمكن معرفته وبشكل واضح إلا بالرجوع إلى ما توصل إليه كل من "جون أوستن" وتلميذه "جون سيرل"؛ حيث يعتبران أنّ الفعل الإنجازي هو «الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد نطقه بمنطوقات معينة، ومن خلال منظومة من الأفعال كالنطقية والإنجازية والتأثيرية، ولكن أبرز ما يُمثّل ويُحقّق الفعل الكلامي هو الفعل الإنجازي الذي يكاد يُساوي الفعل الكلامي، فكل فعل إنجازي هو فعل كلامي طبقاً لنظرية الأفعال الكلامية.»⁽²⁾، فالفعل الكلامي لا يُمكن فصله عن الفعل الإنجازي، وعليه ظهر مصطلح جديد يربط بين الفعلين وهو الفعل الكلامي الإنجازي.

- مفهوم الفعل الكلامي الإنجازي: هو «الحدث الذي أوجده النطق سواء أكان هذا الفعل اسماً أم فعلاً أم حرفاً، فعندما أقول: "جميل" أو "رائع" فأنا -الفاعل- أنجز فعلاً هذا الفعل هو (المدح) مثلاً- بحسب السياق- وإن أتى من خلال نطق اسم معين تمثّل في "جميل" أو "رائع" حيث يُعدّ الحدث من المنطوق وفق هذه النظرية، جزء من الفعل، ومن المهم التنبية هنا إلى أنّ الأفعال الكلامية الإنجازية معظمها يُنجز من خلال الأفعال - بمعناها اللغوي والصرفي والمعجمي- وذلك لارتباط مفهومها الوثيق بمفهوم الحديث، ويظهر ذلك في البنى الصغرى من الأفعال الإنجازية المباشرة بشكل واضح.»⁽³⁾، فالفعل الكلامي

(1) علي محمود حجّي الصّراف، مرجع سابق، ص 13.

(2) نفسه: ص 22.

(3) نفسه: ص 11.

الفصل الرابع ————— الدلالات التداولية للعدول الصرفي في صحيح البخاري

الإنجازي هو حدث يُنجز من خلال الأفعال وبمستوياتها المختلفة كالصرفية والمعجمية والصوتية والدلالية.

- مفهوم التداولية (pragmatics): ويرجع مفهومها الحديث «إلى الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس "Charles Morris" الذي استخدمه سنة 1938م دالاً على فرع من فروع ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات أو السمية (Semiotic) يُؤثر "موريس" استخدام (semiotic) هذه الفروع هي:

1- علم التراكيب (Syntax أو Syntactics)

2- علم الدلالة (Semantics)

3- التداولية... على أن التداولية لم تصبح مجالاً يُعتدُّ به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد هم: "أوستن" J.L. Austin و"سيرل" J.R. Seale و"جرايس" H.P. Grice، التداولية هي دراسة كل جوانب المعنى التي تُهملها النظريات الدلالية، فإذا اقتصر علم الدلالة على دراسة الأقوال التي تنطبق عليها شروط الصدق Truth conditions فإن التداولية تُعنى بما وراء ذلك مما لا تنطبق عليه هذه الشروط. «(1).

فالتداولية هي دراسة خطاب المتكلم واكتشاف مقاصده من قبل المتلقي، ومن خلال هذا التعريف يتضح الارتباط الوثيق بين الأفعال الكلامية الإنجازية والتداولية فلا يمكن دراسة أحدهما دون التطرق إلى الآخر، فالحديث عن الأفعال الكلامية يجزئنا تلقائياً إلى معرفة المرامي والغايات منها، وهناك العديد من الأحاديث النبوية الشريفة الموجودة في صحيح البخاري؛ التي تُوضِّح وبشكل كبير العلاقة بين الأفعال الكلامية الإنجازية ودورها في تداول الخطاب النبوي، ومن هذه الأحاديث:

1- حدَّثنا أبو نعيم، حدَّثنا سفيان، عن سعيد بن خالد، قال: سَمِعْتُ حَارِثَةَ بْنَ وَهَبِ الْخُزَاعِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلِّ ضَعِيفٍ مُتَّصِعٍ، لَوْ

(1) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، (دط)، 2002 م، ص 9، 12.

أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُنْتَلٍ، جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ.»⁽¹⁾، هناك عدول عن الفعل المضارع: "يقسم" و"يُبرّه" إلى الفعل الماضي: "أقسم" و"أبرّه"، وقد أشرف الرسول ﷺ وبِنفسه على تعليم الصّحابة مُسْتَخْدِمًا أسلوب الاستفهام "ألا أخبركم"، فعند طرحه لهذا السّؤال لم يكن يهدف من ورائه الإجابة، وإنّما ليتنبه الصّحابة، ومن ثَمّة يستعدون لتلقي الخطاب، والمتمثّل في إخبارهم عن صفات أهل الجنة، والاقْتداء بهم والالتزام بنهجهم، وأيضًا معرفة صفات أهل النَّار وتحاشي دربهم.

لقد تکرّر أسلوب الاستفهام في هذا الحديث وهذا يدلّ عن قَصْد الرسول ﷺ من إثارة انتباه الصّحابة، واستعدادهم لتلقي الرّسالة المتضمّنة فائدة تواصلية، ذات أبعاد تداولية تربط بين المتكلم (ﷺ)، والمستمع (الصّحابة ﷺ)، وفي هذا الحديث النّبويّ تحقيق للغرض من فعل الكلام والمتمثّل في وعد الرسول ﷺ بالإخبار عن أهل الجنّة أو النَّار، وقد كان هدفه ﷺ تعليم الصّحابة ومن ورائهم عامة المسلمين وبقية البشر ما ينفعهم.

والمقصدُ أو الهدف من كل فعل كلاميّ هو القول الذي ينوي المتكلم إنجازَه، فالإنسان عندما يقول أي كلامٍ نعتبره أنّه قد أنجز شيئًا ما.

(2) - حدّثنا آدم حدّثنا شعبة قال: وحدّثنا عمرو أخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة عن أبي موسى الأشعريّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كَمَلْ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عُمَرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ. وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ.»⁽²⁾، هناك عدول في جملة "ولم يكمل من النساء..."، فكان من الممكن أن يقول: "ولم تُكْمَل من النساء...."، وفي هذا الحديث سيطرة الأسماء عن الأفعال مثل: "مريم بنت عمران"، "آسية امرأة فرعون"، "عائشة"، الرّجال، النّساء، الثّريد وهذا للدّلالة على الثّبوت والسّكون، وأمّا الأفعال فكانت قليلة، فمن الأفعال الماضيّة: "كَمَلْ" وأمّا المضارعة: "لم يَكْمُلْ".

(1) صحيح البخاري: (كتاب: تفسير القرآن - سورة ن والقلم-، باب: «عُنْتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ» (القلم:13)، رقم الحديث: 4918، ص1246).

(2) نفسه: (كتاب: فضائل الصّحابة، باب: فضل عائشة رضي الله عنها، رقم الحديث: 3769، ص924).

ما يلاحظ عن الجمل الموجودة في الحديث النبوي أنّ جُلّها جملاً خبريّة تقريرية وهي:

-كُمّل من الرّجال كثيرٌ.

- لم يكُمّل من النساء إلا "مريم بنت عمران".

- و"آسية امرأة فرعون" (جملة معطوفة على جملة لم يكُمّل من النساء).

- وفضل "عائشة" على النساء كفضل الثريد على الطعام.

إنّ استعمال الجمل الخبرية خدمت الغرض التداولي الذي يهدف الرسول ﷺ تبليغه إلينا، والمتمثّل في تكريم السيّدة "عائشة" -رضي الله عنها- وإبراز المكانة التي تحظى بها بين بقية النساء.

فالرسول ﷺ حينما قال: "كُمّل من الرّجال كثير، ولم يكُمّل من النساء" قد يعتقد بعض السامعين أنّ صفة الكمال المختصة بالرّجال دون النساء جميعاً، ولكن بعد التفصيل في الحديث تتضح الرّؤيا، ويتلاشى الغموض ولكن بعد وضع العديد من الاحتمالات، ويذكر كثير من النساء اللاتي تنطبق عليهن صفة الكمال الإنسانيّ إن صحّ الكلام، ليستقرّ الأمر عندما يذكر الرسول ﷺ النساء اللواتي كُمّلن، وهن قليلات: (مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون)، ولنقع مرة أخرى في ارتياب وشك وتساؤلات: لماذا لم يُعَدِّد الرسول ﷺ من أهل بيته نساءً كاملات؟ أم أنّ نساء النبي ﷺ لم يصلن إلى مستوى بنت عمران أو زوجة فرعون، ولكن سرعان ما يزول هذا الشك، بذكر "عائشة" أمّ المؤمنين، ويبيّن أنّ مكانتها أرقى وأرفع منزلة، وما تشبيهها بالثريد إلا دليل على أنّها أفضل نساء العالمين.

إنّ اعتماد الرسول ﷺ لأسلوب التسلسل والاسترسال والتفصيل بعد الإجمال أكسب الحديث النبويّ عنصر التشويق فجعل المتلقي يطرح العديد من التساؤلات والأفكار قبل الوصول إلى الغاية التربوية والتعليمية المتوخاة من الحديث النبويّ، فالغرض الإنجازي من هذا الحديث إبراز فضل وقيمة السيّدة "عائشة" رضي الله عنها عن بقية النساء وإن علّت مكانتهن.

(3)- حدّثنا عبد الله بن يوسف، قال: أخبرنا مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها أنّ الحارث بن هشام ﷺ سأل الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله كيف

يأتيك الوحي؟ فقال الرسول ﷺ: «أحياناً يأتي مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول...»⁽¹⁾، هذا الحديث سبقته دراسته عند حديثنا عن العدول الفعلي، وبيننا بأنه عدول عن الماضي إلى المضارع، فقد عدل الرسول ﷺ عن قوله: «وأعي» إلى قوله: «وقد وعيت».

فالفعل ينقسم من حيث الزمن إلى ماضي ومضارع وأمر، فيقول "سيبويه" في هذا الشأن: «وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع.»⁽²⁾، وقد تضمن هذا الحديث النبوي أفعالاً ماضية ومضارعة، وإن كانت بنسب متفاوتة؛ (كثرة الأفعال المضارعة وقلة الأفعال الماضية)، في الوقت الذي انعدمت فيه أفعال الأمر، ومن بين أفعال المضارع: يأتي، يفصم، يتمثل، يكلمني، أعي، وهي تدلّ على الحال والاستقبال، ومن أفعال الماضي: وعيت، قال، وقد أفادت التقرير، ورغم تعدد الأفعال من حيث الزمن، فهي تتفق في كونها ذات أبعاد تداولية، ولها قوة متضمنة في القول، وقد سماها "سيرل" بالقوة التعبيرية أي «الصيغة التي يخرج بها الكلام كأن يكون وعداً أو تهديداً أو التماساً أو تقريراً أو حقاً.»⁽³⁾، وهذا ما نجده في الأفعال: يأتي، يفصم، يتمثل، يكلمني...

فالفعل القضويّ يُعبّر عن الحركة التي يشعر بها الرسول ﷺ أثناء بداية نزول الوحي عليه من ألم وعناء وصبر وتحمل ووعي بالمسؤولية الملقاة على عاتقه، والتي ستزداد صعوبة بمرور الزمن وتوالي الأيام والأحداث.

إنّ محبة الرسول ﷺ لله تعالى من الدوافع لانصياعه لأوامره وخضوعه التام، تجسد ذلك من خلال تحمّله ﷺ للصعاب التي تواجهه للوصول إلى الهدف المنشود والمتمثل في تبليغ الرسالة الإسلامية على أكمل وجه، وقد وضّح لنا هذا الحديث كيفية بدء نزول الوحي على الرسول ﷺ، وصبره، وتحمّله لما يترتب عن هذه العملية من مشاق وآلام، والغاية من ذلك ليطلع كل قارئ أو مُتتبع لسيرته العطرة على كيفية بداية نزول الوحي، وليعلم أنّ هذا الدين

(1) صحيح البخاري: (كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟، رقم الحديث: 2، ص7).

(2) سيبويه، مرجع سابق، 11/1.

(3) محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناظر)، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992م، ص140.

لم يكن له لينتشر لولا الصبر وتحمل الآلام والمآسي، والمعاناة النفسية والجسمية التي تحلّى بها الرسول ﷺ، وقد حمل هذا الحديث النبويّ - وعلى غرار بقية الأحاديث النبوية - بُعداً تداولياً، وقد استخدم ﷺ في حديثه أسلوب التمثيل أو التشبيه؛ حيث شبه النبيّ ﷺ أَلَمَ بداية نزول الوحي بصلاصلة الجرس، والمقصود به «صوت وقوع الحديد بعضه على بعض ثم أُطلق على كل صوت له طنين...»⁽¹⁾، والحالة النفسية المُصاحبة لهذا الصوت كانت أشد قوة من الصوت نفسه، ورغم صعوبة الموقف فإنه ﷺ استطاع أن يتحمل هذه المعاناة وبكل وعي، وهذا ما يُظهر جلد وصبر الرسول عليه الصلّاة والسلام، فقد كان مُتقرِّداً عن بقية الخلق.

(4) - حدّثنا أبو نعيم حدّثنا زكرياء عن عامر قال: سَمِعْتُ النّعمان بن البشير يقول: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «الْحَلَالُ بَيْنَ، وَالْحَرَامُ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ. فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرِضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَّاعٍ يَرَعَى حَوْلَ الْحَمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حَمَى، أَلَا إِنَّ حَمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ. أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ.»⁽²⁾، في هذا الحديث النبويّ عدول عن المضارع إلى الماضي؛ حيث قال ﷺ: "فمن اتقى... استبرأ... ومن وقع... ولم يقل: "فمن يتق... يستبرئ... ومن يقع..."، ولقد تضمّن الحديث مجموعة من الأفعال الماضية والمضارعة، فالأفعال الماضية نجد: اتقى، استبرأ، وقع، صلحت، صلح، فسدت، فسد، والأفعال المضارعة نذكر: لا يعلمها، يرعى، يُوشك، أن يُواقعه، وقد غلبت على الحديث الجمل الشرطية فنجد منها:

- فمن اتقى الشّبّهات استبرأ لدينه وعرضه.
- من وقع في الشّبّهات كراعٍ يرعى حول الحمى.
- إذا صلحت صلح الجسد كله
- وإذا فسدت فسد الجسد كله،

(1) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 20/1.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، رقم الحديث: 52، ص 23، 24).

وقد انطلق الرسول ﷺ في حديثه من قاعدة عامة لا تخفى على أي إنسان، وهي أن الحلال والحرام بيّان؛ إلا أن ذلك لا يمنع من وجود أمور متشابهة، فيرتاب المسلم فيها فلا يدري إن كانت حلالاً أو حراماً، وحرصاً على حمايته من الوقوع في هذه الأمور وما يترتب عليها من عواقب وخيمة كان لابد من تجنبها صوناً للنفس وحماية للروح، «فوجب أن نتوقف عندها، وهذا من باب الـوَرَعِ»⁽¹⁾، فوجود الشرط في الحديث النبويّ فيه تأكيد على البعد التداوليّ، وذلك من خلال الانسجام مع الواقع، هذا الواقع الذي شبّه فيه الرسول ﷺ الشُّبُهَات بالرّاعي الذي يرمى حول الحمى فيوشك أن يقع فيه.

و«أصل الحمى في اللّغة: المنع، يعني: لا مانع كما لا مالك له من الناس من أرض أو كلاً أو شجر إلا لله ورسوله»⁽²⁾، وأسلوب الشرط فيه ربط العمل بجوابه وجزائه، وهو فعل إخباري يبيّن مجازاة الله ﷻ لكل عابد مُستبرئ لدينه وعرضه، وقد اعتمد الرسول ﷺ أسلوب الإغراء في عرض فكرة الحلال والحرام، والأمور المشتبهات بينهما، وقد جاء عرضها بطريقة مُتسلسلة منطقياً حتى يتقيد المسلم بأوامر الله ﷻ، فيتحمّل تبعات اختياره لأحد الأمرين، ولذلك نجد جمل الشرط المذكورة في الحديث مقرونة بأجوبتها لتعجيل الثواب أو العقاب.

لقد زخّر الحديث النبويّ بأسلوب العرض والتّحضيض ومن بينها:

- ألا وإنّ لكل ملك حمى.

- ألا إنّ حمى الله في أرضه محارمه.

- ألا وإنّ في الجسد مضغة.

إنّ هدف الحديث النبويّ هو تنبيه المسلمين إلى ضرورة الابتعاد عن الأمور التي تباينت الآراء في شأنها إن كانت حلالاً أم حراماً، وذلك حتّى لا يقعوا في المحذور، هذا ما يتلاءم مع أساليب الحديث التي تراوحت بين الشرط والعرض والتّحضيض، والغرض التداوليّ المُنجَز من هذا الحديث النبويّ يتملّ في صيانة المسلم وحماية نفسه مستقبلاً من إمكانية الوقوع في الأمور المُتشابهة، والالتزام بالحلال وما يترتب عنه من ثواب، والابتعاد عن الحرام وما يترتب عنه من عقاب، هذا إن أراد الفوز يوم القيامة.

(1) ابن بطال، مرجع سابق، 193/6.

(2) نفسه: 505/6.

المبحث الثاني

أصناف الفعل الكلامي

أولاً: التقريرات

ثانياً: الوعديات

ثالثاً: التوجيهات

رابعاً: التعبيرات

خامساً: الإعلاميات

إنّ أصناف الفعل الكلامي هي في الأساس فكرة "أوستن"، وقد اعتمد "سيرل" على هذه الفكرة العامة، فحافظ على بعض مجالات الفعل الكلامي، والتي قسمها إلى خمسة أقسام فكانت كالآتي:

- التقريرات
- الوعديات
- التوجيهات
- التعبيرات
- الإعلاميات

أولاً: التقريرات أو الإخباريات (Assertioes)

أفعال هذا المجال الإنجاري هي «الأفعال التي تقوم بنقل أو وصف الواقع وصفاً أو نقلاً أميناً... تكون أفعال هذا المجال عرضة للتقييم المستمر في مدى صدقها أو كذبها... ويقوم هذا التصنيف على تقسيم الإخباريات إلى أربع مجالات، هي تبادل، وتعريف، وتقرير، وعمل ونشاط.»⁽¹⁾، ومن الأحاديث النبوية التي تتضمن هذا الصنف من أصناف الفعل الكلامي نذكر ما يلي:

(1)- حدّثنا محمد بن العلاء قال: حدّثنا حماد بن أسامة، عن بُرد بن عبد الله عن أبي بردة، عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَةَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِمَّا هِيَ قِيَعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ...»⁽²⁾.

(1) علي محمود حجّي الصّراف، مرجع سابق، ص 208، 205.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: العلم، باب: فضل من علم وعلم، رقم الحديث: 79، ص 32، 33).

العدول الذي تضمنه هذا الحديث النبوي هو قوله ﷺ: "هدى الله الذي أرسلتُ به"، وقد عدل عن قوله: "هدى الله التي أرسلتُ بها"، إلا أنها يمكن أن تُذكَر أو تُؤنث، «قال "الجوهري": الهدى الرِّشاد والدلالة، يُذكَر ويؤنث، يُقال: هداه الله للدين هدى، وهديته الطريق والبيت هداية، أي: عرفته، هذه لغة أهل "الحجاز" وغيرهم. نقول: هديته إلى الطريق وإلى الدار، حكاها "الأخفش"...»⁽¹⁾، وطالما أن هذا الحديث النبوي يندرج تحت صنف الإخباريات الذي من شروطه استحضار المتكلم لشواهد تُبرهن صدق ما يُقره؛ لذلك احتوى على عديد الأفعال التي تنبض بالحركة والحيوية، الأمر الذي يُحقّق الهدف التواصلي والبعد التداولي المأمول، وقد غلب على هذه الأفعال الماضي والتي تخدم النمط السردى القصصي ومنها: "بعثني"، "أصاب"، "كان"، "قبلت"، "أنبتت"، "أمسكت"، "تقع"، "شربوا"، "سقوا"، "زرعوا"، "أصابت"، "فقه"، "نفعه"، "علم"، "علم"، "أرسلت". ومن أفعال المضارع: "تُمسك"، "تُنبت"، "يرفع"، "يُقبل"... وقد انعدمت أفعال الأمر.

إنّ تعاقب الأفعال التقريرية جاء لهدف تداولي يُمكن من ربط الأحداث وتسلسلها، وذلك لقصْد الإفهام الجيد لمضمون الحديث النبوي، هذا من ناحية الألفاظ والأفعال، أمّا من ناحية الجمل والتراكيب فقد وردت الجمل خبرية تقريرية لأجل إفادة المُخاطب (الصحابه ﷺ)، وقد عدّ "سيرل" الخبر بأنّه الغرض المُتضمّن في القول، والغرض الإنجازي لأفعال هذا الحديث هو تقريب الحقائق المُتعلّقة بتأثير الرّسالة الإسلامية على أصناف الناس المختلفة، فاعتمد ﷺ التمثيل والتشبيه من الواقع الملموس؛ فقد شبه الرسول ﷺ الدّعوة التي جاء بها بالغيث، وقد ذكّر الغيث دون غيره من الأشياء لأنّ الغيث نافع في جميع الأحوال، وإن كانت له عواقب سيئة فلا تعود إليه، وإنّما يعود لطبيعة وقلوب الناس المحتضنة للدّعوة الإسلامية، فالذين يقبلونها شُبّهوا بالأرض النقيّة التي تتنفع وتتفعّل غيرها من المخلوقات، وذلك بامتصاصها للماء، فتُنبتُ النباتات الرّطب أو اليابس، فتكتسي حلّة ونضرة وجمالاً، ويستفيد الإنسان والحيوان من غذائها، وأمّا الذين ينشرون هذه الدّعوة، ولا يعملون بها، فقد شُبّهوا بالأرض الجدباء التي لا تُنبت الزّرع، ولكن تحتفظ به على شكل غدران، فكانت بمثابة خزانات كبيرة، فاحتفظت بالماء، فاستفاد منها الناس، فشربوا وسقوا مواشيهم، وزرعوا هذه الأرض، فحولوها

(1) بدر الدّين العيني، مرجع سابق، 77/2.

إلى أرض خصبة، أما الصنف الأخير من البشر والذي يُعْتَبَرُ أسوأها، فهم الذين لا يقبلون الدعوة الإسلامية ولا ينشرونها بين البشر فَهُمُ أشبه بالأراضي القيعان، والتي أشبه ما تكون بالأرض المُجْدَبَة المستوية لا غدران فيها، فهي لا تحتفظ بالماء لاستواء سطحها، ولا تُنْبِتُ العشب والكلأ لجذبها وصلابتها، فلم تَنْتَفِعْ بالغيث لنفسها، ولم يَنْتَفِعْ منها غيرها، فهؤلاء أسوأ أصناف البشر وأخطرهم على الدعوة.

(2) - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَنَانَ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ حَدَّثَنَا هَلَالُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ يَفِيءُ وَرَقُّهُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تَكْفِيئُهَا فَإِذَا سَكَتَتْ إِعْتَدَلَتْ وَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ يُكْفَأُ بِالْبَلَاءِ وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الأَرزَةِ صَمَاءٌ مُعْتَدِلَةٌ حَتَّى يَقْصِمَهَا اللهُ إِذَا شَاءَ.»⁽¹⁾، هناك عدول عن صيغة المضارع إلى صيغة الماضي في الأفعال: "أتتها" و"سكنت" و"اعتدلت" و"شاء"، ومن أفعال المضارعة: "يفيء"، "تكفيئها"، "يكفأ"، "يقصمها"، وورود الأفعال التقريرية بهذا الترتيب له غرض تداولي، فهي تساعد على ربط وتسلسل الأحداث، وفهمها فهمًا جيدًا، هذا فيما يخص الألفاظ، والكلام نفسه ينطبق على الجمل والتراكيب فهي تقريرية خبرية مُوجَّهَة للمُخاطَب ليستفيد منها، ويستخلص ما تضمَّنته من أحكام، ومن هذه الجمل:

- المؤمن كمثل خامة الزرع.

- يفيء ورقه.

- أتتها الريح تكفيئها.

- إن سكنت اعتدلت.

- المؤمن يكفأ بالبلاء.

- الكافر كمثل الأرزة الصماء.

لقد قال العلماء في معنى هذا الحديث: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ كَثِيرُ الأَلَامِ فِي بَدَنِهِ أَوْ أَهْلِهِ أَوْ مَالِهِ، وَذَلِكَ مُكْفَّرٌ لِسَيِّئَاتِهِ إِنْ كَانَتْ عِنْدَهُ سَيِّئَاتٍ، وَرَافِعٌ لِدَرَجَاتِهِ إِنْ لَمْ تَكُنْ عِنْدَهُ سَيِّئَاتٍ. وَأَمَّا

(1) صحيح البخاري: (كتاب: التوحيد، باب: في المشيئة والإرادة «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ»، رقم الحديث: 7466، ص1844).

الكافر فقليل الآلام في نفسه وأهله وماله؛ ولذلك تجد الواحد من الكُفَّار، خاصة في أوروبا أو أمريكا تراه مثل العجل، كما قال ربُّنا عنهم: ﴿كَأَنَّهُمْ حُشْبٌ مِّنْ سِنْدَةٍ﴾ (المنافقون:4).⁽¹⁾

وما يُلاحظ على هذا الحديث النبويّ اعتماده أسلوب التشبيه أو التمثيل شأنه في ذلك شأن الحديث السابق، وهذا لتقريب الحقائق، والتأثير على السامعين ومُخاطبة عقولهم، واستمالة قلوبهم، وذلك بإعطاء أمثلة موجودة في الواقع لتوضيح الفكرة وإزالة الغموض، فبيّن الرسول ﷺ الفرق بين المؤمن والكافر وهذا ما يُمثّل الغرض الإنجازي لأفعال الحديث.

(1) حسن الزهيري، شرح صحيح مسلم، <http://www.islam.web.net>، تمت زيارة الموقع يوم 18 / 06 / 2019م.

ثانيًا: الوعديات أو الالتزاميات (Commissives)

وهي «الأفعال التي تُعبّر عن التّزام المتكلّم بفعل شيء ما في المستقبل، أمّا الشرط العام في الالتزاميات فيرتبط بوجود تعبير القضية التي يدور إنجاز الفعل حولها بالمستقبل... وشرط الإخلاص الصّوروي لإنجاز هذه الأفعال يتأتى من خلال تحقّق ووجود القصد بصورة جادة لدى المتكلّم.»⁽¹⁾، ومن الأحاديث النبوية التي احتوت هذا النوع من الأفعال الكلامية نذكر ما يلي:

1- حدّثنا أحمد بن عبد الله بن علي المنجوفي قال: حدّثنا روح حدّثنا عوف عن الحسن ومحمد عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلِّيَ عَلَيْهَا وَيَفْرِغَ مِنْ دَفْنِهَا فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الْأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ لِكُلِّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ.»⁽²⁾ لقد عدل الرسول ﷺ عن صيغتي اسم الفاعل "مؤمن" و"محتسب" إلى المصدرين "إيمان" و"احتساب".

وطالما أنّ الحديث من صنف الوعديات فقد احتوى على عديد أفعال المضارعة ومنها، يُصَلِّي، يَفْرِغُ، يَرْجِعُ، تُدْفَنُ، أمّا الأفعال الماضية فمنها: "اتبع"، "كان"، "صلى"، "رجع"، فتراوحت أفعال الحديث النبوي بين الماضي الهادف للإخبار والتقرير، والمضارع الهادف للحركة والحيوية، هذا من جانب الأفعال، أمّا من جانب الجمل والتراكيب، فقد تضمّن الحديث جملاً شرطية منها:

- من اتّبع جنازة... فإنه يرجع من الأجر بقيراطين.

- ومن صلى عليها ثم رجع... فإنه يرجع بقيراط.

فاستعمال أسلوب الشرط في الحديث يستدعي حضور البعد التداولي، وذلك من خلال وجود العمل وجوابه؛ المتمثّل في الثواب الذي يستلزمه القيام بهذا العمل، فالمؤمنون يَعْتَقِدُونَ «أنّهم يحيون حياة روحية جسمية ليحاسبوا على أعمالهم، ويلقوا جزاءهم العادل حيث يُثاب

(1) علي محمود حجّي الصّراف، مرجع سابق، ص211.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: الإيمان، باب: اتّباع الجنائز من الإيمان، رقم الحديث: 47، ص22).

الطَّاعِ بِالْجَنَّةِ، وَيُعَاقَبُ الْعَاصِيَ بِالنَّارِ.» (1)، فكل عمل يقوم به المرء «إلا وفي مقابلته وعُد من جنس ما يَعْرِفُ، وَضَرَبَ لَهُ الْمَثْلَ بِمَا يَعْلَمُ.» (2)، ومادام العمل الذي يترتب عليه جزاء من جنسه يتعلق بالإيمان والاحتساب «فلا بُدَّ مِنْهُ لِأَنَّ تَرْتَبَ الثَّوَابِ عَلَى الْعَمَلِ يَسْتَدْعِي سَبْقَ الذَّنْبِ فِيهِ فَيُخْرِجُ مِنْ فِعْلِ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْمَكَافَأَةِ الْمَجْرَدَةِ أَوْ عَلَى سَبِيلِ الْمَحَابَاةِ.» (3).

لقد رَغِبَ الرَّسُولُ ﷺ فِي إِتِّبَاعِ جَنَائِزِ إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ لِمَا لَذَلِكَ مِنَ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ، وَقَدْ اعْتَمَدَ الرَّسُولُ ﷺ فِي تَوْضِيحِ ذَلِكَ عَلَى أَسْلُوبِ التَّمَثِيلِ وَالتَّشْبِيهِ، فَمَنْ إِتَّبَعَ الْجَنَائِزَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَبَقِيَ حَتَّى يُفْرَغَ مِنْ دَفْنِهَا فَأَجْرُهُ قِيرَاطَانِ وَكُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ "جَبَلٍ أَحَدٍ"، وَذَلِكَ لِحَثِّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْإِقْبَالِ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ الْعَظِيمِ، فَاعْتَمَادَهُ ﷺ عَلَى التَّشْبِيهِ كَوَسِيلَةٍ مِنْ وَسَائِلِ الْإِقْنَاعِ لِأَجْلِ بُلُوغِ الْهَدَفِ الْمَنْشُودِ الَّذِي يَطْمَحُ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ وَهُوَ الْجَزَاءُ الْعَظِيمُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَأَمَّا بِخُصُوصِ الْجُمْلَةِ الشَّرْطِيَّةِ الَّتِي تَضْمَنُهَا الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ فَقَدْ جَاءَتْ مُقْتَرِنَةً بِجَمَلِ الْجَوَابِ وَبِتَسْلُسُلِ مَنْطِقِي، وَهَذَا مَا يَقْتَضِيهِ الْمَقَامُ وَذَلِكَ لِإِقْنَاعِ الْمُخَاطَبِينَ بِحْتَمِيَّةِ تَعْجِيلِ الثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ، وَأَمَّا عَنِ الْغَرَضِ التَّداوُلِيِّ الَّذِي أَنْجَزَهُ الْحَدِيثُ فَهُوَ حَثٌّ وَتَحْرِيزٌ الْعِبَادِ (وَخَاصَّةَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ) عَلَى إِتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ لِأَسِيْمَا جَنَائِزِ الْمُسْلِمِينَ، فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى تَوَطُّدِ الْإِيْمَانِ فِي قُلُوبِهِمْ، فَيُسَاهِمُ ذَلِكَ فِي تَوْحِيدِ صَفُوفِهِمْ وَخَاصَّةً عِنْدَ أَوْقَاتِ الشَّدَةِ، فَيَدْعُمُ رَوَابِطَ الْمَحَبَّةِ وَالْأَلْفَةِ بَيْنَهُمْ، وَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ نَيْلَ الْجَزَاءِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﷻ.

(2)- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ عَنْ هَلَالِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَتْ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، جَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا.» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ،

(1) حمزة محمد قاسم، منار القاري، شرح مختصر صحيح البخاري، راجعه: عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره:

بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربية السورية، ط1، 1410 هـ، 1990، 137/1.

(2) محمد بن علي الولوي، شرح سنن النسائي، دار آل بروم للنشر والتوزيع، ط1، 1424 هـ، 2003 م، 159/19.

(3) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 197/3.

فَأَسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى...»⁽¹⁾، هناك عدول في قوله ﷺ: "فإذا سألتكم" عن قوله: " فإن تسألوا الله"، إنَّ الرَّسُولَ ﷺ من خلال هذا الحديث بَشَّرَ الْمُؤْمِنِينَ «بَدْخُولِ الْجَنَّةِ بِالْإِيمَانِ وَالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَإِيجَادِ لَهُمْ طَيْبِ الْأَجْرِ عَلَى سَبِيلِ الْوَعْدِ، وَلَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ بَلْ زَادَ عَلَى تِلْكَ الْبَشَارَةَ الْبَشَارَةَ الْأُخْرَى، وَهُوَ الْفَوْزُ بِدَرَجَاتِ الشَّهَادَةِ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَزِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ، وَلَمْ يَقْنَعْ بِهَذَا أَيْضًا فَبَشَّرَهُمُ بِالْفِرْدَوْسِ الَّذِي هُوَ أَعْلَاهَا وَأَوْسَطُهَا وَفِيهِ الْحَتْثُ عَلَى مَا يَحْصُلُ بِهِ أَقْصَى دَرَجَاتِ الْجَنَانِ وَهِيَ الْفِرْدَوْسُ الْأَعْلَى.»⁽²⁾.

هذا الحديث النبويّ تضمّن وعدًا من عند الله للمجاهدين في سبيله، والوعد يندرج ضمن الالتزامات؛ لأنّ المتكلم يُلزم نفسه بفعل شيء للمخاطب في المستقبل، فكثيرًا ما تقتزن أفعال الوعد بأفعال التّريغيب فيكون فعل الوعد بمثابة الجزاء عن الفعل المدعو إليه، ولهذا عُرِفَ الوعد بأنّه «الإخبار بوصول نفع إلى المدعو له.»⁽³⁾، والنّفع المقصود من الحديث النبويّ هو الدّخول إلى الجنة، وخاصة الفردوس الأعلى.

لقد تضمّن الحديث النبويّ عديد الأفعال الماضيّة منها: "آمن"، "أقام"، "صام"، "كان"، "جاهد"، "جلس"، "ولد"، "أعدّها"، "سألتكم"...، وأمّا الأفعال المضارعة فهي قليلة مقارنة بالأفعال الماضيّة ومنها: "يُدخله"، "تبشّر"، ونجد أيضًا فعل الأمر: "اسألوهُ" وغرضه طلب تحقيق الحصول على الفردوس الأعلى في المستقبل، فأفعال الماضي تدلّ على الإخبار والنقير، وأمّا المضارع فيدلّ على الحركة والحيويّة، هذا على صعيد الأفعال، أمّا التراكيب والجمل فنجد جملاً شرطية:

- من آمن... كان عليه حقًا.

- فإذا سألتكم الله فاسألوهُ الفردوس الأعلى.

فالجمل الشرطيّة تقتضي فعل شرط وجوابه، فالأسلوب الشرطيّ يستلزم بُعْدًا تداوليًّا، يتمثّل فيما يترتب عن الأفعال الشرطية من جواب وجزاء.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الجهاد والسّير، باب: درجات المجاهدين في سبيل الله، يُقال: هذه سبيلي وهذا سبيلي، رقم الحديث: 2790، ص 691).

(2) الطيّبي، مرجع سابق، 8/ 2623.

(3) عبد الكريم زيدان، أصول الدّعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1993م، ص 439.

ثالثاً: التوجيهات أو الأمرات (Directives)

ويُقصد بها «الأفعال التي يتوجّه بها المتكلم إلى المتلقي كي يقوم بأداء عمل من الأعمال، والمسؤول عن إحداث المطابقة بين العمل والقول هو المتلقي، والشّروط لنجاح التوجيه هو قدرة المتلقي على أداء الفعل المطلوب.»⁽¹⁾ ، ومن النماذج لهذا النوع في الحديث النبويّ نذكر مايلي:

(1)- حدّثنا مسدد قال: حدّثنا يحيى عن إسماعيل حدّثنا قيس قال لي جريّر بن عبد الله: كنّا عند النبيّ ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «أَمَّا إِنَّكُمْ سَتَرُونَ اللَّهَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا، لَا تُضَامُونَ أَوْ تُضَاهُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَالَ: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ (طه:13)». ⁽²⁾، هناك عدول في لفظة "غربها" عن لفظة "غروبها"، وفي الحديث النبويّ حتّى من قبل الرّسول ﷺ على توجيه المستمع -والمتمثّل في الصحابة ﷺ- للقيام بأمر ما، ولذلك احتوى الحديث أفعالاً تضمّنّت معنى التوجيه والنصح والإرشاد، وقد يعنقدُ بعض السامعين «أنّ الكاف في قوله كما ترون كاف التشبيه للمرئي، وإنّما هو كاف التشبيه للرؤية، وهو فعل الرائي، ومعناه ترون ربكم رؤية ينزاح معها وتتنفى معها المرية لرؤيتكم القمر ليلة البدر لا ترتابون به ولا تمترون فيه.» ⁽³⁾.

من أفعال المضارعة التي احتواها الحديث النبويّ نجد: "سترون"، "ترون"، "تضامون"، "تضاهون"، "تغلبوا"، وأما أفعال الأمر فنجد: "افعلوا"، ويُقصدُ به قوموا لأداء الصّلاة في هذا الوقت، والأمر مُوجّه لكل مُصلٍّ لِيُنَفِّذَ ما يتضمّنّه الحديث من تعاليم وأحكام، وإلى كل مؤمن راغب في رؤية وجه الله الكريم، فالمتكلم - وهو الرّسول ﷺ - وجّه خطابه إلى السامعين (الصحابة ومن ورائهم جميع المسلمين)، وقد كان مضمونه: "أما إنكم سترون ربكم... فإن

(1) علي محمود حجّي الصّراف، مرجع سابق، ص214.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: مواقيت الصّلاة، باب: فضل صلاة الفجر، رقم الحديث: 573، ص147).

(3) الخطّابي، شرح سنن أبي داود، المطبعة العلميّة، حلب، ط1، 1351هـ، 1932م، 4/329.

استطعتم أن لا تغلبوا... فافعلوا"، ففي الحديث دعوة لأداء الصلوات في وقتها الشرعي؛ لذلك نجد ﷺ ابتداءً كلامه بحرف من حروف المعاني وهو حرف "أما" الذي يُفيد التنبية والاستفتاح، وقد استعان بهذا الأسلوب لتنبية السامع على أنه بإمكانه أن يرى الله ﷻ، كما يرى القمر ليلة البدر، والتي يكون فيها في أوضح صورته لاكتماله.

ففي الحديث ترغيب وحثّ للمسلمين على أداء صلاة الفجر، وتأكيد على أهمية هذا العمل أردف كلامه بحرف التوكيد "إن"، وهذا حتى يتنبّه السامع إلى عظمة وأهمية ما سيُلقي عليه من كلام، فيأخذه على محمل الجد.

إنّ جمل الحديث تراوحت بين الخبريّة والإنشائيّة وهذا تماشيًا مع مقام الوعظ والإرشاد، فالرسول ﷺ يُولي أمته اهتمامًا بالغًا وعناية فائقة، فيُرشدهم ويعظّمهم لبلوغ مرضاة الله تعالى ومن ثمة رؤية وجهه الكريم، ومن الأساليب الإنشائيّة نجد:

- الأمر: فافعلوا.

- النهي: لا تغلبوا.

والعرض والتّحضيض في قوله: "أما إنكم سترون ربكم"، والعرض هو طلب فيه لين ورفق تتّم من خلاله استمالة قلوب المستمعين، فيُنصتون طائعين لتلقي الرسالة التي ستُلقي عليهم، وأما الغرض الإنجازي من هذا الحديث فيتمثّل في إبراز أهمية الصلاة، وخاصة صلاة الفجر، فربط الرسول ﷺ القيام بالصلاة دون تهاون أو تكاسل برؤية وجه الله تعالى.

(2)- حدّثنا مسدد حدّثنا بشر بن المفضّل حدّثنا الجزيري عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه ﷺ قال: «قال النبي ﷺ: "أَلَا أُنبئُكُمْ بِأكْبَرِ الكَبَائِرِ (ثَلَاثًا)؟" قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: "الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدِينَ" وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ: "أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ". قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ، سَكَتَ...» (1)، هناك عدول في الفعل "سكت" عن الفعل "يسكت"، فجلوسه ﷺ يدلّ على اهتمامه «بهذا الأمر وهو يُفيد تأكيد تجريمه وعظّم قبحه، وأما قوله: لَيْتَهُ سَكَتَ فَإِنَّمَا قَالُوهُ وَتَمَنَوْهُ شَفَقَةً عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وكرَاهة لِمَا يُزَعِجُهُ وَيُغْضِبُهُ.» (2)، لقد

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الشّهادات، باب: ما قيل في شهادة الزور، رقم الحديث: 2654، ص 645).

(2) النّووي، مرجع سابق، 88/2.

اتفق النّحاة على أنّ فعل الأمر: «هو لفظ يدلّ على المطلوب تحقيقه في زمان المستقبل.»⁽¹⁾، وإذا كان فعل الأمر في الأحاديث العاديّة يدلّ على مستقبل محدود ينتهي بانتهاء الأمر والطلب، فإنّ أفعال الأمر الواردة في الأحاديث النّبويّة خالدة مستمرة مادامت الحياة مستمرة، وفي الحديث النّبويّ سبق أسلوب الاستفهام بأداة العرض "ألا" والتي تحدّثنا عنها سابقاً، وهذا لتنبيه السّامعين، وتوجيههم لإبلاغهم أمراً جديداً وخطيراً يتمثّل في تجنيبهم الوقوع في الكبائر-حسب وصف النّبي ﷺ- ولأهميّة الأمر وظف الصحابة أسلوب الاستفهام بطريقة تشويقية؛ لينتقل فيما بعد وبصورة مفاجئة إلى تكرار عبارة (ألا وقول الزور)، والتي جعلته يُغيّر وضعيّة جلوسه، ونبرات صوته التي تميّزت بالحدة والغضب الشّديد للدلالة على هول العمل (قول الزور).

إنّ الرّسول ﷺ عند تكراره لجملة "ألا وقول الزور" أخذ بقلوب الصّحابة ﷺ لدرجة أنّهم تمّنوا أن يسكت؛ لا كراهة من كلامه وإنّما شفقة ورحمة به، والتكرار «أبلغ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة... وله فوائد منها التّقرير وقد قيل الكلام إذا تكرّر تقرّر.»⁽²⁾.

وقد دعا الرّسول ﷺ الصّحابة ﷺ إلى ترك أمور تُعتبر من الكبائر وهي: الشّرك بالله، وعقوق الوالدين، وقول الزور، وحتى يكون فعل الأمر ناجحاً «يجب أن يفهم المرسل إليه أنّه وُجّه إليه أمر، مُستعيّناً في ذلك بالتّنعيم (Intanation)، أو السّياق.»⁽³⁾، ولضمان استمراريّة الخطاب بين الرّسول ﷺ والصّحابة رضوان الله عليهم يقتضي الأمر وجود تفاهم بين المعلومات والمعطيات والمفاهيم، ولكي تحصل الفائدة المتّصلة بالإبلاغ والإفهام يجب تضافر مستويات لغويّة إذ «تُحيل فكرة الفائدة على طريقة في التّعلق بين الإبلاغ والإلهام من ناحيّة والوظيفة اللّغويّة البلاغيّة من ناحيّة أخرى.»⁽⁴⁾.

(1) محمد حسن عبد الغفّار، شرح المقدمة الأجروميّة في النّحو، <http://WWW.Islam Web.net> ، تمت زيادة الموقع يوم 2019/06/22م.

(2) السيوطي، مرجع سابق، ص553.

(3) حمو الحاجّ ذهبيّة، لسانيات التّلفظ وتداوليّة الخطاب، دار الأمل للطباعة والنّشر والتّوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، ط2، (دت)، ص139.

(4) بوجمعة ستوان، بلاغة النّقد وعلم الشّعور في التّراث النّقديّ، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، دار الأمل للطباعة والنّشر والتّوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، ط1، 2007م، ص140.

رابعًا: التعبيرات أو البوحيات (Expressives)

وهذه الأفعال هي التي «يُعبر فيها المتكلم عن حالته النفسية تجاه أشياء محددة، أو شخص ما، أو شيء بعينه، أو موضوع أو فكرة، وليس من اللازم أن تقتصر التعبيرات على ما هو خاص بالمتكلم من الأحداث؛ بل يمكن أن يتعداها إلى ما يحدث للمشاركين في الفعل، وتتعكس آثاره النفسية والشعورية على المتكلم، وتدخل فيها أفعال الشكر والاعتزاز، والتهنئة، والحسرة، الشوق، والحُب، والكُره»⁽¹⁾، ومن أمثلة هذه النوع الموجودة في صحيح البخاري نذكر:

(1)- حدّثنا يحيى بن بكير، حدّثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب أن سالمًا أخبره أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره أن رسول الله ﷺ قال: «المُسلِمُ أَخُو المُسلِمِ لا يَظلمُهُ ولا يَسلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَن مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.»⁽²⁾، هناك عدول في الأفعال الماضية: "كان"، "فرّج"، "ستر"، "ستره" عن الأفعال المضارعة: "يكن"، "يفرّج"، "يستر"، "يستره"، في هذا الحديث: «حَضُّ المسلمِ على التَّعاونِ، وشفقة بعضهم على بعض، وتَرْكُ ظلمهم، وقضاء حوائجهم، وتفريج كرباتهم، وستر عوراتهم، وإدخال السرور عليهم.»⁽³⁾.

هذا الحديث من التعبيرات والتي تُعدُّ عند "سيرل" أفعالاً تُعبر عن حالة نفسية والتعبير عن المشاعر إزاء العالم الخارجي، والمتأمل لنص الحديث يجده يتضمّن العديد من الأفعال، فمن أفعال المضارعة نجد: "لا يظلمه"، "ولا يُسلمه"، والأفعال الماضية: "كان"، "فرّج" (مُكْرَرَيْنِ)، "ستر"، "ستره"، وقد استهلّ الرسول ﷺ حديثه بالعلاقة التي تربط بين المسلم وغيره من المسلمين، وهي الأُخُوَّةُ في الدين، وتكون أقوى من أُخوة الدّم والنَّسب، وذلك حتّى يُحسَّ المسلم بالصلة الوطيدة مع إخوانه المسلمين فيُشعرهم بأنّه قريب منهم، ومن ثَمّة لا يُفكر في

(1) علي محمود حجيّ الصّراف، مرجع سابق، ص212.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: المظالم، باب: لا يظلم المسلم ولا يُسلمه، رقم الحديث: 2442، ص591).

(3) فيصل بن عبد العزيز النّجديّ، تطريز رياض الصّالحين، المحقّق: عبد العزيز بن إبراهيم الزّبير حمد آل حمد، دار العاصمة للنّشر والتّوزيع، الرياض، ط1، 1423هـ، 2002م، 1/176.

الإساءة إليهم، وهذا ما يُؤكِّده قوله ﷺ: "لا يظلمه ولا يسلمه"؛ ليُوضِّح فيما بعد كيف تكون العلاقة بين المسلمين، فهي مبنية على مساعدة المحتاج وتقديم يد العون له، والتفريج عن المكروبين، والتجاوز عن زلات المُخطئين، وسترها، مع إبراز نتائج هذه الأعمال الفاضلة، وهي أجلّ ممّا نُقدِّمه، لأنّها لا تتوقف عند حد المسلم الذي نُحسن إليه؛ بل تصل إلى الله تعالى، فيُكافئنا عن ذلك، فيُعطينا الأجر العظيم والحظّ الوفير في الدنيا والآخرة، وإذا أمعنا النظر في جمل الحديث النبويّ فنجد أغلبها شرطية، وهي:

- من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته.
- من فرّج عن مسلم كربة، فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة.
- من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة.

إنّ الرسول ﷺ استطاع وبأسلوب المربيّ الحكيم والمرشد الرّحيم أن يصل إلى ما يهدف إليه من نصحه دون استعمال للأسلوب المُعَنَّف؛ فلا زجر ولا نهر ولا تهريب، وإنّما حصّ وترغيب للإقبال على جملة من الأفعال نقوم بها تجاه إخواننا المسلمين، مع تقديم نتيجة لكل عمل محمود، وأصحاب العقول المُدبِّرة المتأملّة تقوم بهذه الأعمال الجليلة من تلقاء نفسها وعن طيب خاطر، لأنّها عرفت المعنى الحقيقيّ للأخوة، والغاية من هذا الحديث هو توضيح كيفية التخلُّق بالصفّات الحميدة، والتقيّد بها؛ وذلك بمساعدة الآخرين، والترغيب في فعل الخير، ونصرة المستضعفين من المسلمين لنيل الأجر والمغفرة.

(2)- حدّثنا صدقة بن الفضيل، أخبرنا ابن عيينة، حدّثنا زياد -هو ابن علاقة- أنّه سمع المغيرة يقول: قام النبيّ ﷺ حتّى تورّمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟»⁽¹⁾، هذا الحديث النبويّ سبق وأن تناولناه بالدراسة في الفصل السّابق عندما تطرقنا إلى العدول عن اسم الفاعل إلى صيغة المبالغة، فقد عدل ﷺ عن لفظة "شاكر" إلى لفظة "شكور" ولكن في هذا الفصل سنتناوله من ناحية صنف الفعل الكلاميّ (التعبيريّات)، ومن الشّروط الواجب توفُّرها في هذه الأخيرة شرط الإخلاص، وهذا لا

(1) صحيح البخاري: (كتاب: تفسير القرآن -سورة الفتح-، باب: «ليُغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، ويثمّ نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً» (الفتح:2)، رقم الحديث: 4836، ص1221).

يُحَقِّقُ إِلَّا بِإِخْلَاصٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِ أَتَاءَ أَدَائِهِ لِلْفِعْلِ اللَّغْوِيِّ، فَلَا يَقُولُ غَيْرَ مَا يَعْتَقِدُ، وَلَا يَزْعُمُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى فِعْلِ مَا لَا يَسْتَطِيعُ.

ما يُفْهَمُ مِنَ الْحَدِيثِ السَّابِقِ: أَنَّ الْإِنْسَانَ يَأْخُذُ «عَلَى نَفْسِهِ بِالشَّدَّةِ فِي الْعِبَادَةِ، وَإِنْ أَضُرَّ ذَلِكَ بِبَدَنِهِ، وَذَلِكَ لَهُ حَلَالٌ، وَلَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِالرَّخْصَةِ وَيُكَلِّفَ نَفْسَهُ مَا عَفَتْ لَهُ بِهِ وَسَمَحَتْ، إِلَّا أَنْ الْأَخْذَ بِالشَّدَّةِ أَفْضَلُ، أَلَا تَرَى قَوْلَهُ ﷺ: (أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟)، فَكَيْفَ مِنْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَمْ لَا؟ فَمَنْ وُقِّقَ لِلأَخْذِ بِالقُوَّةِ بِالشَّدَّةِ فَلَهُ فِي النَّبِيِّ ﷺ أَفْضَلُ الأُسُوةِ، وَإِنَّمَا أُلْزِمَ الأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحُونَ أَنفُسَهُمْ شِدَّةَ الخَوْفِ وَإِنْ كَانُوا قَدْ آمَنُوا، لَعَلَّهُمْ بِعَظِيمِ نِعْمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُ ابْتَدَأَهُمْ بِهَا قَبْلَ اسْتِحْقَاقِهَا، فَبَذَلُوا مَجْهُودَهُمْ فِي شُكْرِهِ تَعَالَى بِأَكْبَرِ مِمَّا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ فَاسْتَقَلُّوا ذَلِكَ.»⁽¹⁾، فَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ حَتٌّْ عَنِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي الدُّنْيَا «حَتَّى يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِاللَّهِ عِنْدَ الْمَوْتِ؛ فَإِنَّ مِنْ سَاءِ عَمَلِهِ قَبْلَ الْمَوْتِ يَسُوءُ ظَنَّهُ عِنْدَ الْمَوْتِ، قَالَ "الأَشْرَفُ": الخَوْفُ وَالرَّجَاءُ كَالجَنَاحَيْنِ لِلسَّائِرِ إِلَى اللَّهِ ﷻ لَكِنْ فِي الصَّحَّةِ يَنْبَغِي أَنْ يَغْلِبَ الخَوْفُ لِيَجْتَهِدَ فِي الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَإِذَا جَاءَ الْمَوْتُ وَانْقَطَعَ الْعَمَلُ يَنْبَغِي أَنْ يَغْلِبَ الرَّجَاءُ وَحُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ؛ لِأَنَّ الوَفَادَةَ حِينَئِذٍ إِلَى مَلِكِ كَرِيمٍ رُؤُوفٍ.»⁽²⁾.

إِنَّ جُمْلَةَ (أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟) هِيَ جُمْلَةٌ اسْتِفْهَامِيَّةٌ، فَالاسْتِفْهَامُ فِيهَا جَاءَ «عَلَى طَرِيقِ الإِشْفَاقِ، قِيلَ وَهُوَ أَوْلَى مِنْ جَعْلِهِ لِلإِنكَارِ بِلَا شِقَاقٍ؛ أَي إِذَا أَكْرَمَنِي مُوَلَايَ بِغُفْرَانِهِ أَفَلَا أَكُونُ شَكُورًا لِإِحْسَانِهِ؟، أَوْ أَنَّهُ عَطَفَ عَلَى مَحْذُوفٍ أَي أَتَرَكُ صَلَاتِي لِأَجْلِ تِلْكَ المَغْفِرَةِ فَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟، وَكَيْفَ لَا أَشْكُرُهُ وَقَدْ أَنْعَمَ عَلَيَّ وَخَصَّنِي بِخَيْرِ الدَّارَيْنِ؟، فَإِنَّ الشُّكْرَ مِنْ أُنْبِيَّةِ المَبَالِغَةِ تَسْتَدْعِي نِعْمَةً خَطِيرَةً وَذَكَرَ الْعَبْدُ أَدْعَى إِلَى الشُّكْرِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَاحَظَ كَوْنَهُ عَبْدًا أَنْعَمَ عَلَيْهِ مَالِكُهُ بِمِثْلِ هَذِهِ النِّعْمَةِ ظَهَرَ وَجُوبُ الشُّكْرِ كَمَالِ الظُّهُورِ.»⁽³⁾.

فَأَسْلُوبُ الاسْتِفْهَامِ فِي جُمْلَةِ: (أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟) فِيهِ تَعْبِيرٌ عَنِ حَالَةِ نَفْسِيَّةٍ، وَهِيَ الرِّغْبَةُ فِي نَيْلِ رِضَا اللَّهِ مِنْ خِلَالِ المَوَاطَبَةِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالمَبَالِغَةِ فِي شُكْرِهِ، فَالرَّسُولُ ﷺ

(1) ابن بطال، مرجع سابق، 121/3، 122.

(2) القاري، مرجع سابق، 1159/3.

(3) عبد الرؤوف بن تاج العارفين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356هـ،

قد وجّه من خلال حديثه-رسالة إلى المسلمين كافة يدعوهم فيها إلى التقرب من الله تعالى بالطاعة والعبادة والشكر على نعمه التي لا تُعدُّ ولا تُحصى.

خامسًا: الإعلاميات (Declarations)

وهي عبارة عن أفعال «ينشأ عن مجرد التصريح بها إحداث تغيير في الوضع القائم، أي أنّ القول بأمرها هو إحداث لذلك الأمر، فالقول: (أنت مطرود من الوظيفة) يترتب عليه طردُ الموظف فعلاً من وظيفته.»⁽¹⁾، فهذا الصنف من أصناف الفعل الكلامي موجود في الأفكار التي تناولها كل من "أوستن" و"سيرل" ضمن الإعلاميات؛ حيث «درس علماء الأصول والفقه أفعالاً عديدة تندرج تحت هذا العنوان كأفعال البيع والشراء، والهبة، والوصية، الوقف، والإجارة، والإبراء من الدين، والتنازل عن الحق، والزواج، والطلاق...، ومن ذلك حديثهم عن بعض الصيغ التي تُنجز الفعل الكلامي دون اشتراط إيقاعها من قبل طرفين اثنين حيث يُمكن الاكتفاء بطرف واحد فقط كفعل الطلاق : (أنت طالق)، فالطلاق هنا يتحقق في حال نطق الزوج به قاصداً إياه.»⁽²⁾، ومن النماذج العديدة لهذا الصنف في صحيح البخاري نذكر:

1- حدّثنا علي حدّثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل قال: «قِيلَ لِإِسَامَةَ لَوْ أُتَيْتَ فُلَانًا فَكَلَّمْتَهُ، قَالَ إِنَّكُمْ لَتَرُونَ أَنِّي لَا أَكَلِمُهُ إِلَّا أَسْمِعُكُمْ، إِنْ كَلِمْتَهُ فِي السِّرِّ دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا لَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ، وَلَا أَقُولُ لِرَجُلٍ - إِنْ كَانَ عَلَيَّ أَمِيرًا - إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ، بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ، فَقَالُوا: وَمَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ أَمْرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأَكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ.»⁽³⁾، هناك عدول عن صيغة المصدر "دوران" إلى صيغة الفعل "يدور" وتقدير الكلام "فيدور كدوران الحمار برحاه" لقد وردت في هذا الحديث عديد الأفعال الماضية وهي: "قيل"، "أُتيت"، "كَلَّمْتَهُ"،

(1) علي محمود حجّي الصّراف، مرجع سابق، ص208.

(2) نفسه: ص208، 210.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: بدء الخلق، باب: صفة النار وأنها مخلوقة، رقم الحديث: 3267، ص805، 806).

كان، "سَمِعْتُهُ"، "كُنْتُ"، وأما الأفعال المضارعة فنجد: "لترون"، "لا أكلّمه"، "أُسْمِعْكُمْ"، "أُكَلِّمُهُ"، "أَفْتَحْ"، "أَكُونْ"، "لا أقول"، "يُجاء"، "يُلْقَى"، "تَنْدَلِقْ"، "يدور"، "يجتمع"، "تأمرنا"، "تنهاننا"، "أمركم"، "لا آتية"، "أنهاكم"، "آتية"، هذا من جانب الأفعال، أما من ناحية الجمل فقد غلب على نص الحديث الجمل الخبرية، لأنها تُفيد الإخبار ومنها:

- يُجاء بالرجل يوم القيامة.

- تندلق أقتابه في النار.

- يُلقى في النار.

وفي هذا «الأسلوب إهانة وامتهان إذ لم يقل فيدخل النار؛ بل يرمى فيها كما يرمى الشيء الحقير، وفي رواية فيُقذف في النار.»⁽¹⁾، فهذا الفعل (يُلْقَى) يترتب عليه رمي في نار جهنم، وهذا ما يفهم في الإعلاميات، ولفظ مباشر وصريح دون تأويلات أو تفسيرات أخرى، ومن الأساليب الإنشائية نجد: الاستفهام في:

-أي فلان وما شأنك؟

-أليس كنت تأمرنا بالمعروف، وتنهاننا عن المنكر؟

وهذه الأسئلة تدور في ذهن السامع القصد منها التأكيد من المعلومة وسعيًا للمعرفة.

لقد استعمل الرسول ﷺ أسلوب الحوار وهذا لتحقيق الغرض الإنجازي من الحديث النبوي، ونلاحظ أيضًا وجود التكرار، فالغاية من هذا التكرار تداولية تتمثل في تأكيد المعلومة، ويظهر ذلك في قولهم: (أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهاننا عن المنكر؟)، والجواب (كنت أمركم بالمعروف لا آتية وأناهاكم عن المنكر وآتية)، فالتكرار الغرض منه «إرادة التوكيد.»⁽²⁾، كما استعمل ﷺ التشبيه عندما تحدّث عن التخبط في نار جهنم فشبهه بتخبط ودوران الحمار برحاه، وهو تشبيه يصف وبدقة الصورة التي يكون عليها أهل النار، كما حدّث الرسول ﷺ على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

(1) موسى شاهين لاشين، مرجع سابق، 146/3.

(2) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره: أحمد صقر، المكتبة العلمية، ط2، 1393هـ، 1973م، ص13.

(2) - حدّثنا محمد بن عبد الرّحيم، حدّثنا عفان بن مسلم، حدّثنا وهيب، عن يحيى بن سعيد بن حيان، عن أبي زُرعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله، فَقَالَ دُنِّي عَلَيَّ عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، قَالَ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتَقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيدُ عَلَيَّ هَذَا فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ هَذَا.» (1)، لقد كان العدول في صيغة الفعل: "من سرّه" وهو عدول عن الفعل: "من يسرّه"، ففي الحديث تشويق إلى معرفة سمات أهل الجنّة، للانتهاج نهجهم، كما اعتمد الرسول صلى الله عليه وآله أسلوب الحوار، والغرض منه الإرشاد والتّوجيه، ووسيلة للإقناع، فالرسول صلى الله عليه وآله يمتلك من السّلطة بما يُحوّل له توجيه الصّحابة بطريقة مباشرة، فيقدّم لهم نصائح وتوجيهات تنفذ إلى أغوار قلوبهم لا آذانهم فحسب، فيشحن الهمم، ويُقوي العزائم، فيقبّلون على المواعظ، ويُطبّقونها في حياتهم عملياً، فالرسول صلى الله عليه وآله أرد أن يوضّح للمسلمين عامة من خلال حديثه مع ذلك الأعرابيّ أركان الإسلام، فالفائدة لا تبقى محصورة في زمن الإسلام الأوّل؛ بل يتجاوزها ليشمل جميع المسلمين في أي مكان أو زمان، فالمنفعة خالدة خلود الدّين الإسلاميّ.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الزّكاة، باب: وجوب الزّكاة، رقم الحديث: 1397، ص338، 339).

المبحث الثالث

حال المُخاطَب والمُخاطَب

أولاً: خطاب المُلاطفة

ثانياً: خطاب المُواجهة

ثالثاً: خطاب التَّرجيب

رابعاً: خطاب التَّرهيب

هذا المبحث يُركِّز على حال المتكلم والمتلقي من خلال الأساليب المستعملة في الخطاب؛ من أسلوب مُلاطفة ومُواجهة، أو ترغيب وترهيب، وسنتناول هذه الأصناف المُتعدِّدة من خلال نماذج مأخوذة من صحيح البخاري.

أولاً: خطاب المُلاطفة أو المُؤانسة

وهو أسلوب يَعْتَمِد على الرِّفق بالمُخاطَب وهذا إمَّا لضعفه، أو لاستمالة أو للإشفاق عليه، ومن أمثاله في صحيح البخاري نذكر:

(1) - «مَنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ "إِلَى "هَرَقْلَ" عَظِيمِ الرُّومِ. سَلَامٌ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى. أَمَّا بَعْدُ فَأَيُّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمَ تَسْلَمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ. فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيَّ إِثْمَ الْأَرِيْسِيِّينَ...» (1)، إنَّ لفظة «عظيم الروم فيه عدول عن ذكِّره بالملك أو الإمرة.» (2).

يَقْصِدُ الرَّسُولُ ﷺ في قوله: «(إلى عظيم الروم) أي الذي تُعْظِمُهُ الرُّوم، ولم يقل له: إلى ملك الرُّوم، لِما تحت هذه الكلمة من المعاني التي لا يستحقها إلا من أوجبها له الإسلام، ولما فيه من التَّسليم له بالملك لهم، لكنَّه لم يخله من المبرة والتَّكريم بما تقدم من مُخاطبته بعظيم الرُّوم، تأليفاً وحُسْنِ أدب وتعلن كلمه، وتأنيساً على الإسلام.» (3).

فالرَّسُولُ ﷺ من جهة لم يُعْظَم ملك الروم لأنَّ تعليمات الإسلام لا تنصَّ على ذلك، ومن جهة أخرى أراد أن يستميل قلبه للإسلام وذلك باستعمال خطاب «استلطاف، ويقتضي التأنيس والاستتلاف، مع أنَّه حق في نفسه، فإنَّه كان مُعْظَمًا في الرُّوم، وكان أعظم ملوكهم.» (4)، فكثيراً ما كان أسلوب اللين الذي ينتهجه الرَّسُولُ ﷺ عند مُجادلة الأعداد سبباً في اعترافهم بالحق ودخولهم للإسلام.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟، رقم الحديث: 7، ص 10، 11).

(2) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 38/1.

(3) اليعقوبي، إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم، المحقق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، مصر، (دط)، (دت)، 123/6.

(4) القرطبي، مرجع سابق، 117/11.

(2) - حدّثنا أبو كُريب وموسى بن حزام قالوا: حدّثنا حسين بن علي عن زائدة عن ميسرة الأشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسَرَتْهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ.»⁽¹⁾، هذا الحديث من خطبة حجة الوداع، هذه الخطبة التي تبين وبشكل واضح أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم المتفرد عن بقية البلغاء والحكماء، «فمن حكمته وبلاغته يتمدد وينتشر انتشار الأثير في الهواء، قال: (استوصوا)، ولم يقل: أوصيكم بالنساء، فتكون الوصية مؤقتة منه فقط ولكن قال: استوصوا، أي ليوصي كل منكم الآخر، فتظل هذه الوصية تعمل، وتتفاعل، وتتكاثر، وتمتد إلى يوم القيامة.»⁽²⁾، فالرسول صلى الله عليه وسلم عدل عن الفعل "أوصيكم" إلى الفعل "استوصوا"، وذلك حتى تستمر هذه الوصية إلى يوم القيامة، فالسّين في استوصوا لـ «لطلب وهو للمبالغة أي اطلبوا الوصية من أنفسكم في حقهن أو اطلبوا الوصية من غيركم بهنّ كمن يعود مريضاً فيُستحبُّ له أن يحنّه على الوصية، والوصية بالنساء أكد لِضَعْفِهِنَّ واحتياجهن إلى من يقوم بأمرهن وقيل معناه: اقبلوا وصيتي فيهن واعملوا بها وأرفقوا بهنّ وأحسنوا عشرتهن.»⁽³⁾، فالإحسان يقتضي الملاطفة في المعاملة، وفيه « رمز إلى التقويم برفق بحيث لا يُبالغ فيه فيُكسر ولا يتركه فيستمر على عوجِهِ.»⁽⁴⁾، وقد ختم الرسول صلى الله عليه وسلم حديثه بما بدأه "واستوصوا بالنساء خيراً"، فيه تأكيد على «شدة المبالغة في الوصية بهنّ.»⁽⁵⁾.

هذا الحديث النبوي يُؤكّد ضرورة الملاطفة والرّفق والإحسان في معاملة النساء، «وتحمل الصورة اللطيفة في مخاطبة النساء، فهن أرق طبعاً وأرهف شعوراً، وأكثر حياءً،

(1) صحيح البخاري: (كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم صلوات الله عليه ودُرَيْتِهِ، رقم الحديث: 3331، ص819).

(2) عطية بن محمد سالم، شرح الأربعين النووية، <http://www.islam Web.net> تمت زيارة الموقع يوم 2019/07/07.

(3) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 6/369.

(4) الصديقي، دليل الفاتحين لطرق رياض الصالحين، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 1425هـ، 2004م، 3/96.

(5) عبد الرؤوف بن تاج العارفين، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط3، 1408هـ، 1988م، 1/151.

والخطاب عند الداعي يلين ويشد ووفقاً لطبيعة المُخاطَب وخصوصية المسألة.»⁽¹⁾، نظراً لطبيعة خلقها، ورهف حسِّها ومشاعرها، فلا يُعقل أن نعامل النساء كعامله الرجال، وهذا ما يُؤكِّد على أنّ هذا الدِّين أعطى لكل مخلوق حقه وفق ما يتماشى مع طبيعته، فهل هناك سماحة ولين ورفق أكثر من هذا!؟

(3)- حدَّثنا يحيى بن بُكير حدَّثنا اللَّيْث عن يونس عن ابن شهاب قال: أبو سلمة: إنّ عائشة رضي الله عنها قالت: « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا: يَا عَائِشُ هَذَا جَبْرِيْلُ يَفْرُكُ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ تَرَى مَا لَا أَرَى. تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. »⁽²⁾، فالرسول ﷺ عندما قال: "يا عائش" بدلاً من "يا عائشة"، فهذا الأسلوب يُعدُّ «من باب النداء المرخِّم، والترخيم: نقصان أواخر الأسماء، تفعل ذلك العرب على وجه التَّخْفِيفِ، ولا تُرَخِّم ما ليس منادى إلَّا في ضرورة الشعر ولا تُرَخِّم من الأسماء إلَّا ما كان من ثلاثة أحرف، لأنَّ الثلاثة أقلُّ الأصول إلَّا ما كان في آخره هاء التَّأْنِيثِ فَإِنَّهُ يُرَخِّم قَلَّتْ حُرُوفُهُ أَوْ كَثُرَتْ، فتقول في ترخيم يا عائشة... يا عائش.»⁽³⁾، أمَّا بخصوص شين في يا عائش فيجوز فتحها «وَضَمُّهَا وَهِيَ وَجْهَانِ جَارِيَانِ فِي كُلِّ الْمُرَخَّمَاتِ وَفِيهِ جَوَازُ تَرْخِيمِ الْإِسْمِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِيْذَاءٌ لِلْمُرَخَّمِ.»⁽⁴⁾، فـ«كثيراً ما يستعمل الرسول ﷺ عبارة "يا عائش" بدلاً من "يا عائشة" وهذا من باب الدِّلال والترخيم الَّذِي يُفِيدُ الْوَدَّ وَالْقَرَبَ بَيْنَ الْمُرَخَّمِ وَالْمُرَخَّمِ.»⁽⁵⁾، فالاسم عائش «وإن كان نُقْصَانًا مِنَ اللَّفْظِ فِيهِ زِيَادَةٌ فِي الْمَعْنَى.»⁽⁶⁾، فإذا كانت الزيادة في اللفظ في كثير من الأحيان تُؤدِّي إلى زيادة في المعنى، فإنَّه في بعض الأحيان يكون العكس فالنقصان في اللفظ يُؤدِّي إلى زيادة في المعنى وهذا ما حصل مع لفظة عائش الواردة في الحديث السابق.

(1) أحمد علي عبد العزيز، التَّصْوِيرُ الْبَيَانِيُّ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، دار اليقين للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط1، 1435هـ، 2014، ص419.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل عائشة رضي الله عنها، رقم الحديث: 3768، ص924).

(3) ابن بطال، مرجع سابق، 351/9، 351.

(4) النَّوَوِيُّ، مرجع سابق، 43/7.

(5) حسن الزَّهْرِيُّ، شرح صحيح مسلم، [http:// www. islam web.net](http://www.islamweb.net) تمت زيارة الموقع يوم 20/07/2019م.

(6) ابن بطال، مرجع سابق، 351/9، 350.

ثانيًا: خطاب المواجهة

المُحَاوَرَة بأسلوب المواجهة—قد يكون في حالات—أبلغ وأوصل للفكرة إلى المُخَاطَبِينَ من أسلوب المِلاطْفَة، وهذا ما تتبّه إليه الرّعماء فتراهم في حُطْبهم «يُفَضِّلون العدول عن ضميري التكلّم إلى كلمة "الشّعب"، فيقولون: "إنّ الشّعب يريد...". في مكان "نحن نريد"، لما في استعمال "أنا" من إيحاء بالفردية والتسلط، ولما في "نحن" من احتمال تعظيم النفس، والمعلوم أنّ مقاميّ التسلط وتعظيم النفس ليسا ممّا يُقَرِّب الرّعماء من قلوب الجماهير.» (1)، ومن النّماذج لخطاب المواجهة في الحديث النبويّ نذكر:

(1) -حدّثنا عمر بن حفص حدّثنا أبي حدّثنا الأعمش حدّثنا مسلم عن مسروق قالت عائشة: «صنع النبيّ ﷺ شيئاً فرخص فيه، فتنزّه عنه قوم فبلغ ذلك النبيّ ﷺ فخطب فحمد الله ثمّ قال: ما بال أقوام يتنزّهون عن الشّيء أصنعهُ، فو الله إنّي لأعلمهُم بالله وأشدّهُم له خشيّة.» (2)، في هذا الحديث قال الرّسول ﷺ: «ما بال أقوام يتنزّهون عن الشّيء أصنعه، ولم يقل ما بالك يا فلان على المواجهة (فو الله إنّي لأعلمكم بالله وأشدّهم له خشيّة) فجمع بين القوّة العلميّة والعملية.» (3)، فالرّسول ﷺ عدل عن ضمير المُخاطَب «لما فيها من المواجهة المُحرّمة.» (4)، فالحديث النبويّ فيه نوع من العتاب وإن كان فاعله لم يُعيّن، «وكل ما جرى من عتاب يُعمّ الجميع ولا يُعيّن قائله، وهو باب الرّفق والسّتر.» (5)، فالرّسول ﷺ عندما استعمل أسلوب النّصح لم يذكر شخصاً بعينه، وإنّما ذكرَ أقواماً لا على التّعيين، وهذا حتّى يُعتبِر البقيّة من جهة، ويرفع الحرج عن المُخطئ من جهة أخرى، وقد وظّف الرّسول ﷺ الاستفهام في قوله: "ما بال أقوام؟" وهو «استفهام إنكاريّ بمعنى التّوبيخ، أي ما حالهم؟» (6)، فالتّوبيخ جاء وبأسلوب أخفّ من لو وجّههُ للمُذنب صراحة، فعليه الصّلاة والسّلام كان أعلم بنفسية أصحابه، وطالما أنّه المربيّ والمعلم والمُرشد فقد كان يتخيّر ألفاظه

(1) تَمَام حَسَان، مرجع سابق، ص 362.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: الأدب، باب: من لم يُواجه النّاس بالعتاب، رقم الحديث: 6101، ص 1526).

(3) القسطلانيّ، مرجع سابق، 65/9.

(4) تَمَام حَسَان، مرجع سابق، ص 362.

(5) ابن الملقّن، مرجع سابق، 467/28.

(6) المباركفوريّ، مرجع سابق، 242/1.

تخييراً بحيث تكون اللفظة موجزة وهادفة ومُصلحة لأحوال المسلمين، فيُعالج الأخطاء بطريقة تلميحية، تجعل من الصحابة يُقومون أنفسهم دون أي حرج، وهناك هدف آخر يتمثل في تسامحه -عليه الصلاة والسلام- مع المُذنبين فيغرس في نفوسهم روح التسامح والتجاوز عن أخطاء بعضهم؛ بل الترفع عن فضح بعضهم أمام الملاء.

(2)- حدّثنا مسدد حدّثنا يحيى عن إسماعيل بن أبي خالد حدّثنا قيس بن أبي حازم عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني لأتأخّر عن صلاة الغداة من أجل فلان ممّا يُطيل بنا، قال: فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قط أشدّ غضباً في موعظةٍ منه يوماً... قال: فقال: يا أيها الناس إنّ منكم مُنفرين، فأنيكم ما صلى بالناس فليتجاوز، فإنّ فيكم المريض والكبير وذا الحاجة⁽¹⁾، لقد قتال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنّ منكم مُنفرين" بدلاً من قوله: "إن منكم مُنفرًا ؛ حيث «كان المقتضى أن يُخاطب المغلول، قلت: إنّما خاطب الكلّ ولم يُعين المُطوّل كرمًا ولطفًا عليه. وكانت هذه عادته حيث ما كان يُخصّص العتاب والتأديب بمن يستحقه حتى لا يَحصل له الخجل، ونحوه على رؤوس الإشهاد.»⁽²⁾، هذا الحديث النبويّ «فيه من الإخفاء وتعميم الحكم ما في حديث (ما بال رجال يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله) إمّا للستر عليه وإمّا للإعراض وذلك من أشد الوعيد.»⁽³⁾.

لقد سبق وأن أشرنا إلى أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم -وفي كثير من الأحاديث- يلجأ إلى أسلوب التلميح والتعميم دون ذكر المُخاطب صراحة، وذلك لغاية معينة، فقد يكون من أجل التستر عليه أو الإعراض عنه، وفي هذا الحديث «عمّ الخطاب ولم يُخاطب "معاذًا" بخصوصه وقال: إنّ منكم وفي بعضها خصّصه وقال: أفأتان أنت. قلتُ نظر إلى المقام فحيث بلغ صلى الله عليه وسلم أنّ "معاذًا" نال منه خاطب بالصريح وحيث لم يبلغه عمّمه تضييفاً للتقرير بتضعيف الجريمة.»⁽⁴⁾، إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم حين يُوجّه عتابه للشخص المُخطئ مباشرة ، فذلك لحكمة لا يعلمها إلا هو، فقد يكون الذنب المُرتكب ليس كبيراً، وحين يُعمّم كلامه فهو كذلك لحكمة قد

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الأدب، باب: ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله، رقم الحديث: 6110، ص1528).

(2) بدر الدين العيني، مرجع سابق، 106/2.

(3) محمد بن إبراهيم البكري، مرجع سابق، 109/5.

(4) شمس الدين الكرمانى، مرجع سابق، 83/5.

نجهلها، فقد يكون الجرم المغترف كبيراً، وقد لا نعرف الغاية من تعميم اللفظ إلا بعد حين؛ بل قد لا نتوصل إلى معرفة ذلك نهائياً، وما علينا فعله إلا تقبُّل كلامه عليه الصلاة والسلام وعن طيب خاطر لأنه يتصرّف وفقاً لإرادة ربانية.

من الأساليب التربوية المنتهجة سواء في القرآن الكريم أو السنة النبوية أسلوب الترهيب والترغيب، لذلك كان «التأديب يقوم على أصلين هما الترغيب والترهيب، وهذان الأصلان يصلحان في الدين والدنيا لأنهما أصل كل تدبير وعليهما مدار كل سياسة.»⁽¹⁾

فالترغيب والترهيب يكونان في الأمور الدنيوية والدينية على حد سواء «ومع أنّ الأصل في الترغيب والترهيب يكون بالجزاء في الآخرة، فإنّه يجوز أن يكون بما يُصيب المدعويين في الدنيا من خير في حالة استجابتهم وما يُصيبهم من شر في حالة رفضهم، على ألا يغفل الداعي أبداً على الترغيب والترهيب بالجزاء في الآخرة.»⁽²⁾ فالترغيب والترهيب وإن كانا متضادين فهما أسلوبان متلازمان عند الحديث عن أي أمر ما يتعلق بجانب من جوانب الحياة الإنسانية المختلفة.

(1) الجاحظ، الرسائل السياسية، <https://Shamelas.was> تمت زيارة الموقع يوم 27/07/2019م.

(2) عبد الكريم زيدان، مرجع سابق، ص 493.

ثالثاً: خطاب الترغيب

قبل التطرق إلى النماذج المتضمنة خطاباً ترغيبياً في صحيح البخاري علينا معرفة مفهوم الترغيب من الناحية اللغوية والاصطلاحية.

- فالترغيب لغة: مأخوذ من المادة: «رَغَبَ والرَّغْبَةُ من قولهم: رَغِبْتُ في شيء رَغْبًا ورغبة ورغبي إذا ملتُ إليه.»⁽¹⁾، هذا من الجانب اللغوي.

- الترغيب اصطلاحاً: «الأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة.»⁽²⁾، وأمّا التعريف الآخر للترغيب فهو «العنصر الذي يُمَثِّلُ القوة المُحرِّضة والجاذبة الواقعة على جوانب وفي آخر طريق الخير الذي يدعو إليه الإسلام، ووظيفة الترغيب دغدغة المطامع الإنسانية، فدغدغة هذه المطامع في اتجاه طريق الخير قد تدفع عن الإنسان الصوارق النفسية التي تصرفه عنه إذ تستعطف شهواته مغريات أخرى، واقفة في اتجاهات سُبُلِ الشَّرِّ المختلفة.»⁽³⁾، فالترغيب يكون بحث الإنسان على فعل الخير، وإظهار عاقبة ما يترتب عن هذا العمل من فوائد دنيوية وآخروية، فتراه يُقْبَلُ عليه وذلك تحت تأثير دوافع داخلية نفسية وأخرى خارجية موضوعية، ومن الأحاديث النبوية التي تَصَبُّ في هذا الإطار:

(1)- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ سُمَيِّ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَذْلُ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِنْهُ حَسَنَةٌ وَمُحِيتَ عَنْهُ مِنْهُ سَيِّئَةٌ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ، ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلِ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.»⁽⁴⁾، لقد قال الرسول الله عليه الصلاة والسلام: "قال" و"كانت" و"كُتِبَ" و"مُحِيتَ" و"كانت"، ولم يقل: "يقول" و"تكن" و"يُكْتَبُ" و"تمح" و"تكن"، وفي هذا الحديث حث

(1) الأزدي، جمهرة اللغة، المحقق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987، 320/1.

(2) عبد الكريم زيدان، مرجع سابق، ص493.

(3) عبد الرحمن بن حسن حنبلية، الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، دار القلم، دمشق، ط1، 1418هـ، 1998م، ص249.

(4) صحيح البخاري: (كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، رقم الحديث: 3293، ص810).

على قول لا إله إلا الله له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وليُعقّب على ذلك بالأجر المنتظر منها، وقد وضّح الرسول ﷺ كلامه باستعمال التشبيه في قوله: "كانت له عدل عشر رقاب" و"كانت له جزراً من الشيطان"، وذلك أنّ «عَتَقَ رَقَبَةً اقْتِحَامَ لِلْعُقْبَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا أُقْتَحَمَ الْعُقْبَةَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ ۝ فَكُ رَقَبَةٌ﴾ (البلد: 11-13)، فما بالنا بأجر عشر رقاب، وإنّ الحرز من الشيطان أمنيّة، فكيف يُحقّقه الإنسان بأمر يسير؛ مجموعة كلمات يُردّها الإنسان المؤمن بإخلاص نيّة، وسلامة طويّة، فهل يسمع بهذا الثّواب أحد ثم لا يُكرّر الدّعاء؟ ومثله قوله ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، بِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، لَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ». (1)، فالحديث النبويّ تضمّن ترغيباً في العمل الصّالح وإن كان بقول بعض الألفاظ فقط.

المسلم لا يخسر من جهده ولا وقته ولا ماله شيئاً سوى أن يقول: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"، فينال على ذلك أجراً عظيماً يُعادل تحرير عشر رقاب، والتّجاوز عنه مئة سيئة، والصّون والحماية من وساوس الشيطان طوال ذلك اليوم الذي قال فيه هذه العبارة العظيمة، فهل هناك رحمة أكثر من هذه الرّحمة، وهل هناك ترغيب أكثر من هذا التّرجيب!؟

(2)- حدّثنا مسلم بن إبراهيم أخبرنا شعبة حدّثنا عباس الجريري هو ابن فروج عن أبي عثمان النهديّ عن أبي هريرة ﷺ قال: «أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثٍ لَا أَدْعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ، صَوْمٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَصَلَاةُ الضُّحَى، وَنَوْمٌ عَلَى وَتَرٍ». (2)، إنّ كلمتي "صوم" و"صلاة" جاءتا معرفتين، وأمّا كلمة نوم فهي نكرة، فهو عدول عن المعرفة إلى النّكرة، و«وفي حديث أبي هريرة ﷺ التّرجيب في صلاة الضّحى والحض عليها، لأنّه لا يُوصي النبيّ ﷺ بالمحافظة على عمل وإلا وله في عمله جزيل الأجر وعظيم الثّواب». (3)، فالرسول ﷺ أوصى أبا هريرة ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، والنّوم على وتر، إلى جانب أداء صلاة الضّحى في وقتها، فالوصيّة تُحمّلُ محمل الجد من إنسان ناصح، فما بلك إذا كان هذا النّاصح

(1) أحمد علي عبد العزيز، مرجع سابق، ص 395.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: التّهجد، باب: صلاة الضّحى في الحض، رقم الحديث: 1178، ص 284).

(3) ابن بطال، مرجع سابق، 171/3.

الفصل الرابع ————— الدلالات التداولية للعدول الصّرفي في صحيح البخاري

الرّسول ﷺ، فوصيته ﷺ وتوجيهه لواحد من أمّته هو خطاب للأمة كلها، ما لم يدل دليل على التّخصيص.

هناك ترغيب في القيام بثلاثة أعمال وعدم التّفريط فيها إلى أن تُغادر هذه الدّنيا، وهي: صيام ثلاثة أيّام من كل شهر، وأداء صلاة الضّحى في وقتها، والنّوم بعد أداء صلاة الوتر، ولذلك نرى كثيراً من النّاس يؤخّرونها (صلاة الوتر) إلى حين وقت نومهم، والرّسول ﷺ عندما نصح أصحابه ورغّبهم في القيام بهذه الأعمال كان أوّل من يقوم بها، وكُتبت السّيرة وشهادة زوجاته وأصحابه أكبر دليل على التزامه بها إلى أن رحل عن الدّنيا، وقد كان -عليه الصّلاة والسّلام- ينتهج أسلوب الواعظ والمرشد والمُصلح الذي لا يأمر أصحابه بعمل إلا وقد ألزم نفسه أوّلاً بالقيام به، وهذا ما انعكس إيجاباً عن الصّحابة وتابعيهم وتابعي تابعيهم إلى يوم الدّين، فصاروا يَنْتَهِجُونَ نَهْجَهُ وَيَتَّبِعُونَ مَذْهَبَهُ.

(3)- حدّثنا سعيد بن يحيى حدّثنا أبي حدّثنا الأعمش عن شقيق عن أبي مسعود الأنصاريّ ﷺ قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرْنَا بِالصَّدَقَةِ انْطَلَقَ أَحَدُنَا إِلَى السُّوقِ فَتَحَامَلَ، فَيُصِيبُ الْمُدَّ، وَإِنَّ لِبَعْضِهِمُ الْيَوْمَ لَمِنَّةً أَلْفٍ.»⁽¹⁾، قال الرّسول ﷺ: "تَحَامَلَ" بدلاً من: "يَتَحَامَلَ"، وهي معطوفة عن الفعل المضارع "يُصِيبُ"، لقد تضمّن الحديث «التّرعيب في الصّدقة ورجاء أجرها عند الله، وقد أتى الله تعالى على أهل هذه الصّفة بقوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (الإنسان: 8)، وقوله: ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر: 9)، وفيه ما كان عليه سلف هذه الأمّة من الحرص على اتباع أوامر النّبِيِّ ﷺ والمبادرة إلى ما ندب إليه وحضّ عليه من الطّاعة، وما كانوا عليه من التّواضع والمهنة لأنفسهم في الأعمال الشّاقة عليهم؛ لينالوا بذلك رضى ربهم.»⁽²⁾.

إنّ المسلم عندما يُؤدّي الصّدقة لأصحابها فإنّه يرجو من ذلك أجراً من الله تعالى، وكل عمل يُرغّبنا فيه الرّسول ﷺ إلّا وفيه منفعة لنا، فما علينا إلا الالتزام به، وأخذه دون ملل وضجر، ولا تكاسل أو تهاون، لأننا نثق في رسولنا -عليه الصّلاة والسّلام- ونثق بجميع ما

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الزّكاة، باب: إنقوا النّارَ ولو بشقّ تمرّةٍ والقليل من الصّدقة، رقم الحديث: 1416، ص 344).

(2) ابن بطال، مرجع سابق، 399/6، 400.

جاءنا به، لأنّ فيه حياة كريمة في دنيانا، ونعيمًا مقيمًا في آخرتنا، ولهذا كان التّرعيب أنجع الأساليب المنتهجة في الدّعوة إلى الله تعالى، ونحن بدورنا نستخدمه في حياتنا اليوميّة، وفي كثير من أعمالنا وأعمال الدّين هم تحت رعايتنا، فنُحبّهم في العمل ونُرعّبهم فيه، ونُظهر لهم الجانب المشرق منه؛ بل ونبرز لهم النّتائج المُتوخاة من تنفيذه، فيُقبل الإنسان عن أي مشروع وهو مُتَحَفِّزٌ لإنجازه، ومُحِبٌّ لإكماله، ومُنْتَظِرٌ للمكافأة عنه؛ خاصة ونحن في زمن طغت فيه الماديّة والمصلحة الشّخصيّة، فصار الإنسان لا يقوم بعمل إلاّ وينتظر من ورائه مُقابلًا.

رابعًا: خطاب التّرهيب

إنّ مصطلح التّرهيب يُقابل مصطلح التّرعيب، ولتوضيحه أكثر ارتأينا أن نتطرق إلى مفهومه اللّغويّ والاصطلاحيّ.

- فالترهيب لغة: وأصلها «رَهَبَ: رَهَبْتُ الشَّيْءَ أَرْهَبُهُ رَهْبًا وَرَهْبَةً، أَي خَفْتَهُ وَأَرْهَبْتُ فَلَانًا.»⁽¹⁾، هذه من النّاحية اللّغويّة، وأمّا من النّاحية الاصطلاحية،

- التّرهيب اصطلاحًا: «التّخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة وهذا هو نهج رسل الله كما بيّنه القرآن الكريم وجاءت به السنّة النّبويّة المُطهّرة.»⁽²⁾، وبصيغة أخرى «هو العنصر الذي يُمثّل القوّة المضادة عن الانحراف إلى سُبُل الشّر؛ التي ينهى عنها الإسلام، وذلك لأنّ إثارة المخاوف من سلوك سبيل ما، أو لقيام بعمل ما، من شأنها أن تُقلّل من اندفاع الإنسان نحو ذلك السبيل أو ذلك العمل، وأن تُضعف من قوّته، وتجعله قلّما حذرًا، حتى ولو غامر في الأمر، واستهان بالمخاوف إلا أنّ محاذير سلوك سبيل الشّر عواقبه وخيمة لا يستهين بها العقلاء بحال من الأحوال متى تبصّروا بها حقًا.»⁽³⁾، فالترهيب بدوره أسلوب تربوي، ولكن بمنهج تخويفي يُظهِر عواقب الأفعال السيئة، فيتورّع عن فعلها ويتحاشى الوقوع فيها؛ حتى لا يقع في الندم والحسرة يوم لا ينفع ذلك، ومن الأحاديث النّبويّة التي تصبّ في هذا الإطار نذكر:

1- حدّثنا محمد، أخبرنا عبد الله، أخبرنا زكريا بن إسحاق، عن يحيى بن عبد الله بن صيفي، عن أبي معبد، مولى ابن عباس، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: « إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جُنْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ... وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ..»⁽⁴⁾، فالرسول ﷺ قال: "اتق"، ولم يقل: "لا تظلم"، فالنبي ﷺ

(1) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي مخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ط1، (دت)، 47/4.

(2) عبد الكريم زيدان، مرجع سابق، ص492.

(3) عبد الرحمن بن حسن حنبلية، مرجع سابق، ص250.

(4) صحيح البخاري: (كتاب: الزكاة، باب: أخذ الصدقة من الأغنياء وتُرَدُّ في الفقراء حيث كانوا، رقم الحديث: 1425، ص364، 365).

يُحذِر "معاذًا" «من الظلم، ويُخَوِّفه عاقبته... فمِثْلُ هذا التَّعبير لا يُثير مشاعر، ولا يُحرِّك أحاسيس، ولا يدفع النَّفس لاستشعار خطره، ولذا لجأ إلى الصَّورة البيانيَّة...»⁽¹⁾، ففعل الأمر "اتق"، والذي معناه "احذر" دعوة المظلوم أي «لا تظلم أحدًا تأخذ منه شيئًا ظلمًا، أو تمنع أحدًا حقًّا تعديًّا، أو تتكلَّم في عرضه افتراءً حتَّى لا يدعو عليك.»⁽²⁾، هذا معنى "اتق" من الناحية المعجمية.

أمَّا من الناحية البلاغية، «اتق دعوة المظلوم مجاز مُرسل علاقته المسببية؛ لأنَّ دعوة المظلوم من ظلم المُعتدي الظالم، وقوله "فإنها ليس بينها وبين الله حجاب"، كناية عن قبولها، واستجابة الله لها، والجملة الثَّانية "فإنها ليس بينها وبين الله حجاب".... منزلة الجواب من الأولى، أو التعليل لها، وهو ما يُسمى بلاغيًّا "شبه كمال الاتصال"؛ حيث تكون الجملة الثَّانية جوابًا عن سؤال اقتضته الأولى، فتنزّل منزلته فنُقصل الثَّانية عنها كما يُفصل الجواب عن السؤال"، وهو ما يُوحى بالتلاحم والاتصال بين الدَّعوة والإجابة من الله، وهذا ما يزيد في التخويف والتَّحذير، وإذا استشعر الإنسان خطر دعوة المظلوم وأحسَّ بأنَّها عند الله مقبولة، هل: يجرؤ على الظلم؟»⁽³⁾، هذا من ناحية مضمون الحديث.

أمَّا من ناحية المُخاطب "معاذ بن جبل" فـ «لك أن تعرف آثار وقع هذا التَّحذير إذا عرفت أن المُخاطب بها "معاذ" الرَّجل المؤمن الذي يَستشعر قيمة الدَّعوة وعرف قدرة الله عليها، ف"معاذ" أحد أربعة أمر النَّبيُّ باستقراء القرآن منهم حيث يقول: استقرؤوا القرآن من أربعة: من "ابن مسعود"، و"سالم" مولى "أبي حذيفة"، و"أبي"، و"معاذ بن جبل"، وقد مدحه النَّبيُّ ﷺ بقوله: "نعم الرَّجل "معاذ بن جبل"، وقال في شأنه: "أعلمهم بالحلال والحرام معاذ".»⁽⁴⁾.

هذا الحديث النَّبويُّ يُمثِّل دعوة أهل الكتاب للدَّخول في الإسلام، وكيفية التَّعامل معهم، والطرق والنَّصائح المُتَّبعة لأجل تحقيق الأمل المنشود من هذه الدَّعوة، والمُتمثِّل في إقناعهم

(1) أحمد علي عبد العزيز، مرجع سابق، ص 397.

(2) القاري، مرجع سابق، 4/1526.

(3) أحمد علي عبد العزيز، مرجع سابق، ص 397، 398.

(4) نفسه: ص 398.

باتباع الدين الإسلامي، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ليصل إلى تحذيره ﷺ لـ "معاذ" فهو وليّ لأمر «الرعيّة والتّخويف بعاقبة الظلم»⁽¹⁾، بغض النظر عن المظلوم وإن كان غير مسلم، لأنّ وجه الحقّ في المسألة يتمثّل في ظلم النّاس من عدمه لا في طبيعة النّاس أنفسهم، فالله يقف في صفّ الحقّ، وإن كان المظلوم غير مسلم، والظالم مسلماً.

(2) - حدّثنا عبد الله بن يوسف قال: أخبرنا مالك عن نافع عن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ قال: «الذي تَفَوُّتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ كَأَنَّهُ وَتَرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ»⁽²⁾، ففي الحديث عدول عن جماعة المُخاطَبين: "الذين تفوتهم... كأنهم وتروا أهلهم أو أهليهم و مالهم أو أموالهم" إلى الضمير المفرد في قوله: "الذي تفوته... كأنه وتر أهله وماله"، فدّلّ الحديث على الترهيب من تأخير صلاة العصر عن وقتها وقد شَبَّهَ ﷺ من أخرها عن وقتها بمن فقد أهله وهذا تقريب لنا وإلا فما يلحقه من العذاب أشدّ»⁽³⁾، فالحديث النبويّ تضمّن ترهيباً وتحذيراً شديد اللّهجة عن كل من يؤخّر صلاة العصر عن موعدها، فشَبَّهَ بالذي وتر أهله وماله، والمقصود به «نقص أهله وماله وسلّبه فبقي بلا أهل ولا مال فليحذر من تفويتها كحذره من ذهاب أهله وماله وقال "أبو عمر بن عبد البر": معناه عند أهل اللّغة والفقهاء أنّه كالذي يُصاب بأهله وماله إصابة يطلب بها وترًا والوتر الجنائيّة التي يُطلب ثأرها فيجتمع عليه غمّ المصيبة وغمّ مُقاساة طلب الثأر وقال "الدودي" من "المالكيّة" معناه: يتوجّه عليه من الاسترجاع ما يتوجّه عليه من فقد أهله وماله فيتوجّه عليه النّدم والأسف لتفويته الصّلاة وقيل معناه فاته من الثّواب ما يلحقه من الأسف عليه كما يلحقه من ذهب أهله وماله»⁽⁴⁾، إنّ تأخير صلاة العصر عن وقتها جُرم عظيم؛ لذلك فعاقبته شديدة تُعادل البلاء والمصيبة التي تحلّ بالأهل والمال، وهما شيآن ليس هناك ما يُعادلهما عند الإنسان، ويفوته من الأجر والثّواب الكثير فلا يستطيع تعويض ما فاتته، ويبقى في حسرة وندامة.

(1) شمس الدّين الكرمانيّ، مرجع سابق، ص 400/8.

(2) صحيح البخاري: (كتاب: مواقيت الصّلاة، باب: إثم من فاتته العصر، رقم الحديث: 552، ص 143).

(3) محمود محمد خطاب السّبكي، مرجع سابق، 338/3.

(4) النّووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج، 126/5.

(3) - حدّثني يحيى بن حماد أبو عوانة عن بيان عن قيس بن أبي حازم عن مرداس بن الأسلمي قال: قال النبي ﷺ: «يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةً كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ أَوْ التَّمْرِ لَا يُبَالِيَهُمُ اللَّهُ بَالَةً...»⁽¹⁾، هناك عدول عن الفعل "بَقِيَ" إلى الفعل "يبقى"، فقد تضمّن الحديث النبويّ «التّريغيب في الاقتداء بالصّالحين والتّحذير من مخالفة طريقهم خشية أن يكون من خالفهم ممن لا يُباليه الله ولا يعبأ به.»⁽²⁾، فاتّباع نهج الصّالحين من الأمور المطلوبة لتستقيم حياتنا وتصلح أعمالنا، ولكن بالمقابل مخالفتهم، والحياد عن طريقهم، فنضّل الطريق، ولن نجنيّ من ذلك إلا الذّنوب والمعاصي.

هناك أحاديث نبويّة احتوت خطاب التّريغيب والتّرهيب في آن واحد، وسنذكر بعضها.

(1) - حدّثنا عبدان ومحمد قالا: أخبرنا عبد الله أخبرنا عاصم بن سليمان عن أبي عثمان قال: حدّثني أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أرسلت ابنة النبيّ ﷺ إليه: إنّ ابناً لي قبض، فائتينا. فأرسل يُقرئ السّلام ويقول: «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ. فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لِيَأْتِيَنَهَا. فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرِجَالٌ: فَرَفَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّبِيَّ وَنَفْسَهُ فَتَقَعَّعَ - قَالَ حَسْبُهُ أَنَّهُ قَالَ: كَأَنَّهَا شَنْ - فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ فَقَالَ: هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ.»⁽³⁾، في الحديث وردت جملة "فائتينا" بدلاً من جملة "فائتني"، وقد وردت لفظة شَنْ و«الشّين: بفتح المعجمة وتشديد النون القربة الخلقة اليابسة.»⁽⁴⁾، فأشار الرسول ﷺ إلى أسلوب التّريغيب والتّرهيب، و«التّريغيب في الشّفقة على خلق الله والرّحمة لهم، والتّرهيب من قساوة القلب وجمود العيش وجواز البكاء من غير نوح.»⁽⁵⁾.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الرّفاق، بابا: ذهاب الصّالحين، رقم الحديث: 6434، ص 1602).

(2) ابن بطال، مرجع سابق، 158/10.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: الجنائز، باب: قول النبيّ: «يُعَذَّبُ الْمَيِّتُ بِبَعْضِ بَكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ» إذا كان النّوح من سنّته، رقم الحديث: 1284، ص 310).

(4) ابن حجر العسقلاني، مرجع سابق، 157/3.

(5) نفسه: 158/3.

إنّ الله تعالى رحيم بعباده ومُشفق على حالهم خاصة في أوقات ضعفهم وحزنهم، وفي الوقت نفسه يُحذّرهم من قساوة القلب والتعبير عن الحزن بالبكاء غير المُبالغ فيه كالنواح ولطم الخدود، فالبشر يُحسّون ويتأثرون بالتجارب التي تمرّ عليهم حزينّة أو مُفرحة، ولكن دون مبالغة في كلاهما؛ فالتسخط دليل على عدم تقبّل قضاء الله، وأمّا اللامبالاة فدليل على قساوة القلب، ونسيان الآخرة، والتعلّق بالدنيا، وطول الأمل في الحياة، ومادام الدّين الإسلاميّ دين وسطيّة؛ لذلك تراه يُحارب طغيان الماديّة من جهة، وينبذ سيطرة الرّوحانيّة من جهة ثانيّة.

(2)- حدّثنا عمر بن حفص قال: حدّثنا أبي قال: حدّثنا الأعمش قال: حدّثني أبو صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «لَيْسَ صَلَاةٌ أَثْقَلُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا. لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمَرَ الْمُؤَدِّنَ فَيُقِيمَ، ثُمَّ أَمَرَ رَجُلًا يَوْمَ النَّاسِ، ثُمَّ أَخَذَ شُعْلًا مِنْ نَارٍ فَأَحْرَقَ عَلَى مَنْ لَا يَخْرُجُ إِلَى الصَّلَاةِ بَعْدُ.»⁽¹⁾، في هذا الحديث عدول عن ضمير المُخاطب إلى ضمير الغائب في قوله: " أثقل على المنافقين... ولو يعلمون... " فالأصل في الحديث: " أثقل عليكم... ولو تعلمون... "، فالرسول صلى الله عليه وآله «أطلق على المؤمنين الدّين لا يحضرون الجماعة ويُصلّون في بيوتهم من غير عذر ولا علة تمنع عن الإتيان اسم المنافقين على سبيل المُبالغة في التهديد.»⁽²⁾، وقد خصّ الرسول صلى الله عليه وآله بالذكر المنافقين؛ «لأنّهم طُبعوا على الكسل على العبادة، وأنّهم لم يُصلّوا إلا رياءً وسُمعةً، وفي ذكّهم هنا غاية التّحذير عن التّشبه بهم، وفيه إيحاء إلى أنّ المُخلصين على خلاف ذلك.»⁽³⁾

تُعَدُّ الصّلاة أهم أركان الإسلام؛ بل عمود الدين؛ لذلك أكّد الرسول صلى الله عليه وآله على ضرورة أدائها في المسجد لعظيم أجرها، ففي الحديث ترهيب «من ترك حضور الجماعة لغير عذر، فصلاة الجماعة فضيلة يجب على المسلم أن يُصلّي صلاة الجماعة، فكان ينظر في وجوه أصحابه فإذا حضر الصّحابة صلّى صلى الله عليه وآله وإذا تأخّروا أحرّ الصلاة حتّى يجتمعوا، فأمر صلاة

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الجماعة والإمامة، باب: فضل العشاء في الجماعة، رقم الحديث: 657، ص164).

(2) بدر الدّين العيني، مرجع سابق، 5/175.

(3) القاري، مرجع سابق، 2/543.

الجماعة هام جدًّا، يجتمع المسلمون في خمس صلوات في اليوم والليلة، فتنزّل عليهم بركات من عند ربّ العالمين ﷻ، ويؤخّرون ويكفّر عنهم الخطايا بذلك، ووجودهم في مسجد الجماعة يُبعد عنهم الشيطان.»⁽¹⁾، إنّ الرّسول ﷺ أكّد على أهميّة صلاة الجماعة وخاصة صلاة الفجر والعشاء، ولذلك حذّر من التّهاون عن أدائها، إضافة إلى ذلك فقد كان عليه السلام عند ما يرى إقبالاً من أصحابه فيأمرهم بالصّلاة، ولكن عندما يلحظ تأخراً في الحضور يُرجئ أداءها إلى حين حضور الجميع واستعدادهم التّام بها.

(1) الطيّب أحمد حطّيبة، شرح التّرجيب والتّرهيب للمنذريّ، <http://www.Islam web.net> تمت زيارة الموقع يوم 2019/09/05.

المبحث الرابع

المناسبة والسّياق

أولاً: أولاً السّياق القبليّ

ثانياً: السّياق البعديّ

إنَّ السِّيَاقَ الَّذِي نَقُصِدُهُ مِنْ كَلَامِنَا السِّيَاقَ اللَّغَوِيَّ، أَوِ الْمَقَالِيَّ لَا السِّيَاقَ غَيْرَ اللَّغَوِيَّ، وَقَبْلَ إِعْطَاءِ نَمَازِجٍ عَنِ السِّيَاقِ بِشَقِيهِ (الْقَبْلِيِّ وَالْبَعْدِيِّ) عَلَيْنَا مَعْرِفَةَ مَفْهُومِ السِّيَاقِ فَهُوَ «الْغَرَضُ أَيُّ مَقْصُودِ الْمَتَكَلِّمِ مِنْ إِيرَادِ الْكَلَامِ... هُوَ الظُّرُوفُ وَالْمَوَاقِفُ وَالْأَحْدَاثُ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا النَّصُّ... هُوَ مَا يُعْرَفُ الْآنَ بِالسِّيَاقِ اللَّغَوِيِّ الَّذِي يُمَثِّلُهُ الْكَلَامُ فِي مَوْضِعِ النَّظَرِ أَوِ التَّلْحِيلِ... وَهُوَ مَا سَبَقَ الْكَلِمَةَ، وَمَا يَلِيهَا مِنْ كَلِمَاتٍ أُخْرَى...»⁽¹⁾.

أولاً: السِّيَاقُ الْقَبْلِيُّ

وهو عبارة عن عدول تُحال فيه الكلمة أو الضمير أو العبارة إلى كلمة سابقة، ومن أمثله:

(1) - حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «قَالَتْ الْأَنْصَارُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: أَقْسِمُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلِ..... قَالَ: لَا فَقَالُوا: تَكْفُونَا الْمَوْئِنَةَ وَنُشْرِكُكُمْ فِي الثَّمَرَةِ. قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا.»⁽²⁾، فالعدول كان في الجملة "تَكْفُونَا" وهي: «خبر في معنى الأمر... والمعنى: أكفونا تعب القيام بتأبير النخل وسقيها، وما يتوقف عليه صلاحها... لم يخرجها مخرج الأمر، ليفيد الوجوب؛ وأتى بصيغة الإخبار ليقابل التماسهم ذلك، وإن كان في صيغة الأمر لارتفاع منزلته صلى الله عليه وسلم عليهم مع رعاية غبظتهم.»⁽³⁾، فالحوار في الحديث النبوي كان بين الرسول صلى الله عليه وسلم والأنصار، ومضمون الحديث حول تقاسمهم لأملاكهم مع المهاجرين، فبدلاً من أن يقول الأنصار عن إخوانهم المهاجرين: "يكفونا" قالوا: "تكفونا"، وطالما أن الكلام تضمن أمراً، فمن غير اللائق أن يقولوا للرسول صلى الله عليه وسلم: "اطلب منهم أن يكفوا"؛ لأن فعل الأمر يكون من الأعلى مكانة إلى الأدنى؛ لذلك غير الأنصار أسلوبهم في الكلام، فأمروا المهاجرين مباشرة بدلاً من طلب ذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم.

(2) - حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ عَنْ عَثْمَانَ يَعْنِي ابْنَ الْأَسْوَدِ قَالَ: أَخْبَرَنِي سَلِيمَانَ بْنَ أَبِي مَسْلَمٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْمُنْهَالِ عَنِ الصَّرْفِ يَدًا بِيَدٍ فَقَالَ: «إِشْتَرَيْتُ أَنَا وَشَرِيكَ

(1) رَدَّةُ اللَّهِ بْنِ ضَيْفِ اللَّهِ الطَّلْحِيِّ، دَلَالَةُ السِّيَاقِ، مَكْتَبَةُ الْمَلِكِ فَهْدِ الْوَطْنِيَّةِ، ط 1، 1424هـ، ص 50، 51.

(2) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ: (كِتَابُ الْبَيْعِ، بَابُ: إِذَا قَالَ: أَكْفَنِي مِئُونَةَ النَّخْلِ وَغَيْرِهِ، وَتَشْرِكُنِي فِي الثَّمَرِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 2325، ص 559).

(3) الطَّبِيِّ، مَرْجِعٌ سَابِقٌ، 2184/7.

لِي شَيْئًا يَدًا بِيَدٍ وَنَسِيئَةً، فَجَاءَنَا الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ فَسَأَلَنَا عَنْهُ فَقَالَ: فَعَلْتُ أَنَا وَشَرِيكِي زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ وَسَأَلْنَا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ مَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ فَخُذُوهُ، وَمَا كَانَ نَسِيئَةً فَزُدُّوهُ.»⁽¹⁾، لقد قال الرّسول ﷺ: "...فخذوه... فردّوه." بدلاً من قوله: "...فأخذه... فردّاه."؛ لأنّه وبالرجوع للكلام الذي قبله نجد "أبا المنهال" قال: فعلت أنا وشريكي "زيد بن الأرقم"، بصيغة المثني، ولكن كان ردّ الرّسول ﷺ بصيغة الجمع، فكثيراً ما يعدل الرّسول ﷺ في أحاديثه عن صيغة المفرد أو المثني إلى صيغة الجمع، وذلك للجعل من كلامه نصيحة عامة شاملة لجميع الصحابة وجميع الذين يأتون من بعدهم الذين تنطبق عليهم نفس الظروف والعوامل التي قيل فيها الحديث النبوي لأول مرة.

(3) - حدّثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن أبي صالح السّمان عن أبي هريرة ؓ أنّ الرّسول ﷺ قال: «الْخَيْلُ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وَزْرٌ... وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغْنِيًا وَتَعَفُّفًا ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي رِقَابِهَا وَلَا ظُهُورِهَا فَهِيَ بِذَلِكَ سِتْرٌ...»⁽²⁾، في هذا الحديث عدول في الكلمات: "رقابها"، "ظهورها" عن الكلمات "رقبتها"، "ظهرها"، فالكلام عائد عن كلمة "الخيال" التي سبق ذكرها في بداية الحديث؛ ومادام اسم الخيل لغير العاقل فهو جائز شأنه في ذلك شأن تكبيرها وتأنيتها.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الشّركة، باب: الاشتراك في الذهب والفضة وما يكون فيه الصّرف، رقم الحديث: 2497، ص605).

(2) نفسه: (كتاب: الشّرب والمساقاة، باب: شرب النّاس والدّواب من الأنهار، رقم الحديث: 2371، ص570، 571).

ثانيًا: السياق البعدي

وهو عكس السياق القبلي، فالكلمة أو الضمير أو العبارة تُحال فيه إلى كلمة لاحقة في الكلام، وهو قليل بالمقارنة بالنوع السابق ومنها:

(1)- حدّثنا سليمان بن حرب حدّثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: «مُرَّ عَلَي النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنُوا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ: وَجِبْتُ، ثُمَّ مَرَّ بِأُخْرَى فَأَثْنُوا عَلَيْهَا شَرًّا. أَوْ قَالَ: غَيْرَ ذَلِكَ فَقَالَ: وَجِبْتُ. فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قُلْتَ لِهَذَا وَجِبْتُ وَلِهَذَا وَجِبْتُ، قَالَ: شَهَادَةُ الْقَوْمِ. الْمُؤْمِنُونَ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ.»⁽¹⁾، إنَّ الواو في الفعل "أثنوا" والتي ذُكرت سابقًا عائدة على شهادة القوم التي جاءت بعدها في السياق، وقد تضمّنت عدولاً عن المفرد إلى الجمع، وأمّا بخصوص معنى الحديث فقد «التبس عليهم الحال فإنّه لم يُذكر فاعل وجبت. والظاهر أنّه إنّما ترك ذكر الفاعل ليسأل الحاضرون فيغيدهم بما أفاد (قال: شهادة القوم) بالرفع مبتدأ، وخبره محذوف، أي مقبولة أو فاعل وجبت.»⁽²⁾، فالرسول صلى الله عليه وآله استعمل أسلوب التشويق عندما أحرّ فاعل الفعل "وجبت"، والذي هو في الأساس عائد على الضمير الواو في "أثنوا"، فهناك تأخير وعدول الأمر الذي أكسب الحديث النبويّ جماليّة أكثر، وهذا ما يميّز كلامه صلى الله عليه وآله عن بقية الناس الآخرين.

(2)- وقال ثابت عن أنس قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله لأبي طلحة: «اجْعَلْهُ لِفُقَرَاءِ أَقَارِبِكَ. فَجَعَلَهَا لِحَسَانِ وَأَبِي إِبْنِ كَعْبٍ، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ ثَمَالَةَ عَنْ أَنَسٍ بِمِثْلِ حَدِيثِ ثَابِتٍ " قَالَ: اجْعَلْهَا لِفُقَرَاءِ قَرَابَتِكَ، قَالَ أَنَسُ: فَجَعَلَهَا لِحَسَانِ وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ وَكَانَ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنِّي"... وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِذَا أَوْصَى لِقَرَابَتِهِ فَهُوَ إِلَى آبَائِهِ فِي الْإِسْلَامِ.»⁽³⁾، ما يلاحظ على الحديث النبويّ هو قوله صلى الله عليه وآله: «"اجعله" تارة "اجعلها" تارة أخرى، والضمير في اجعله لبيرحاء اسم حديقة.»⁽⁴⁾، أي أنّ العدول عن "اجعلها" إلى "اجعله" لأنّ الهاء عائد عن اسم حديقة

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الشّهادات، باب: تعديل كمّ يجوز؟، رقم الحديث: 2642، ص 642).

(2) الكوراني، الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، المحقق: أحمد عزو عناية، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت لبنان، ط1، 1429هـ، 2008م، 5/258.

(3) صحيح البخاري: (كتاب: الوصايا، باب: إذا وقف أو أوصى لأقاربه ومن الأقارب، رقم الحديث: 2751، ص 680).

(4) الكوراني، مرجع سابق، 5/359.

والحديقة مؤنث، وفي الحديث إحالة عن سياق بَعْدِيّ، إذ لم يُرفع اللبس عن جملة "اجعلها لفقراء قرابتك" إلا بعد تكملة الحديث إلى آخره، وذلك عند ذكر عبارة "إذا أوصى لقرابته"، فلو لم نرجع لكتب شرح الحديث لاعتبرنا الهاء عائدة عن الوصيّة.

(3)- وقال الحكم بن موسى: حدّثنا يحيى بن حمزة عن عبد الرحمن بن جابر أنّ القاسم بن مَخَيْمِرَةَ حدّثه قال: حدّثني أبو بُردة بن أبي موسى رضي الله عنه قال: «وَجِعَ أَبُو مُوسَى وَجِعًا فَعُشِيَ عَلَيْهِ، وَرَأَسُهُ فِي حَجَرٍ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ بَرِيءٌ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ بَرِيءٌ مِنَ الصَّالِقَةِ وَالْحَالِقَةِ وَالشَّاقَةِ.»⁽¹⁾، هناك عدول في قوله: "منه"، وهو عدول عن "منها" لأنّ الضمير "الهاء" عائدة عن الصالقة والحالقة والشاقة وجميعها مؤنث، وقد ذكّر "منه" قبل كل من الصالقة والحالقة والشاقة، ولذلك فقد أُحيل الضمير إلى سياق بَعْدِيّ، لم تتضح معالمه إلا بعد ذكر بقية الحديث، وهو ما ينطبق عن بقية الأحاديث التي تتضمن السياق البَعْدِيّ، فيتبادر لذهن المتلقي للحديث النبويّ عديد التفسيرات والتأويلات التي لا تُفك شفراتها إلا بعد إنهاء الحديث إلى آخره.

(1) صحيح البخاري: (كتاب: الجنائز، باب: ما ينهى من الحلق عند المصيبة، رقم الحديث: 1296، ص313).

خلاصة الفصل:

بعد الخوض في هذا الفصل الأخير يُمكننا تدوين النقاط الآتية:

(1) - إنّ العدول الصّرفي في صحيح البخاري يتضمّن أفعالاً إنجازيّة عالجتِ المواقف التي قيلت فيها، أو المواقف المُشابهة لها؛ بل وحتىّ مسائل تحدّث بعد زمن النبوة، وهذا ما يؤكّد خلود الدّعوة الإسلاميّة.

(2) - للفعل الكلاميّ أنواع متعددة تختلف من حيث الدّوافع أو الأهداف أو حتىّ طريقة معالجة المسائل والقضايا المطروحة.

(3) - عند ملاحظة الخطاب النّبويّ يظهر الاختلاف الحاصل بين أنواعه؛ فهناك خطاب مُلاطفة وإشفاق على حال المُخاطبين، وفي أحيان أخرى نجد تشديد اللّهجة من خلال اعتماد خطاب المُواجهّة دون التّصريح باسم المُخاطب تجنّباً للحرص في بعض المرات الأخرى، كما اعتمد الرّسول ﷺ أسلوب التّريغيب لدفع المسلمين إلى فعل الخير، وبالمقابل نجده في حالات أخرى استخدم أسلوب التّرهيب، وهذا للتخويف من الوقوع في المحذور.

(4) - لقد أولى الرّسول ﷺ أهميّة بالغة للسياق الذي يُلقى فيه الحديث النّبويّ، ومن أنواعه؛ السياق القَبليّ والسيّاق البَعديّ، فإن كان القَبليّ واضحاً سهل التّأويل، فإنّ البَعديّ لا تتضح معالمه إلا بعد تكملة الحديث أو حتىّ التّعمق في شرح الحديث والغور فيه، والبحث في الظّروف التي قيل فيها.

(5) - إنّ العدول الصّرفيّ في الحديث النّبويّ الشّريف ودلالته التداوليّة بقدر ما هو أمر مُشوّق يُبرز عبقرية والإعجاز النّبويّ بقدر ما هو أمر صعب يستعصي فهمه من الوهلة الأولى، فهو يحتاج إلى تمحيص وتدقيق ودراسة معمقة.

الختامة

تضمنت الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها البحث من خلال هذه الدراسة ومنها:

بعد دراسة العدول الصرفي في صحيح البخاري وما ترتب عنها من أبعاد فنيّة ودلاليّة وتداوليّة، إضافة إلى ذلك الدلالة الإيقاعيّة لهذا العدول من خلال الصور البديعيّة الثلاث (جناس-سجع-تكرار)، وهذا دون إغفال أصناف القول الكلاميّ الأساسيّة (التقديرات-الوعديّات- التوجيهات-التعبيرات-الإعلاميّات)، وذلك حسب تقسيم "سيرل" والتي ترجع في الأساس إلى فكرة "أوستن"، وما تجدر الإشارة إليه هو التأثير الكبير لحال المخاطب والمخاطب في تغيير أسلوب الخطاب، والذي لا يخرج عن أسلوب الملائمة أو المواجهة أو الترغيب أو الترهيب، وقد يجمع خطاب من الخطابات النبويّة نوعين في آن واحد، كما أنّ للسياق والمناسبة دوراً مهماً في تحديد طبيعة السياق سواءً أكان قبلياً أم بعدياً.

يُمكننا التّوصل إلى النتائج الآتية:

- العدول وإن اختلفت مسمياته عند العلماء العرب والغرب عبر العصور إلا أنه يبقى يحافظ على معناه وجوهره، فالاختلاف اختلاف في الاسم والشكل بينما المضمون واحد.
- الغاية من ورود الصور البديعيّة في صحيح البخاري ليس الغرض منها إحداث موسيقى بقدر ما هو لفت انتباه الصحابة لما سيُلقي عليهم من حكم ومواعظ.
- كلّما تضمّن الحديث النبويّ عدولاً صرفياً إلا وتضمّن هذا العدول دلالة معنويّة، قد تظهر واضحة المعالم في بعض الأحاديث النبويّة، وقد تكون غامضة في أخرى لا تتّضح إلا بعد دراسة متخصّصة ومتعمّقة، وفي أحاديث أخرى قد لا تظهر الدلالة المعنويّة، فنعتقد أنّها غير موجودة، ولكنّها في الأساس موجودة غير أنّ عجزنا حال دون معرفتها.
- لقد اختلفت أساليب المخاطبة لدى الرّسول ﷺ من حديث لآخر وهذا حسب الحالة النفسيّة للرّسول ﷺ، أو طبيعة الموضوع، والمُخاطبين، والهدف من الحديث النبويّ.
- من أكثر مظاهر العدول الصرفي في صحيح البخاري تناوُل العدول في المصادر والمشتقات يليه العدول في العدد...
- لقد اتفقت كتب النّحو والبلاغة وشروح الحديث والتفسير على أنّ معنى العدول هو الانصراف عن صيغة إلى صيغة أخرى، مع إمكانيّة العودة إلى الصيغة المعدول عنها.

• إن دراسة العدول الصّرفي في صحيح البخاري يفتح آفاقاً واسعة أمام البلاغيين والنحويين والصّرفيين والأصوليين والفقهاء؛ لأنّ الدّلالة المعنويّة والفنيّة في الحديث النّبويّ ذات أبعاد تسمو بالخطاب النّبويّ إلى مصاف الإعجاز.

• هناك بعض أشكال العدول لا يُمكن دراستها إلا بتضافر عدة علوم كعلم النّحو والصّرف

وشروح الحديث، واقتصارنا في الدّراسة على علم دون آخر لن يُمكننا ذلك من الوصول إلى الغاية المرجوة.

• دراسة حياة الأعلام ليس الغرض منها سرد لسيرهم الذاتيّة فحسب، بل لأخذ العبرة منها، والاستفادة منها في حياتنا، فالعالم لم يُولد عالماً وإنما جاهد واجتهد، وصبر وصابر، وأصرّ إلى أن وصل إلى ما وصل إليه.

• إنّ غرض العدول هو جذب المتلقي، وفي ذلك رفع من قيمته وشأنه عند المتكلم، الأمر الذي يجعل المتلقي يصغي وبإمعان وتدبر وتفهّم في كلام المتحدث؛ خاصة إذا كانت لغة الكلام لدى طرفي الحوار واحدة ممّا يكفّل التواصل بينهما.

• طالما أنّ المتلقي قد أُعطيت له أهميّة بالغة عند توظيف العدول، فيُستعمل في هذا العدول الإيقاع والموسيقى للتأثير في السّامع، وإحداث نوع من التّواصل من خلال الإنصات وتوقّع ما يُلقى عليه.

• لقد أكّدت الدّراسة على أنّ العلاقة بين الصّيغ المعدول عنها والصّيغ المعدول إليها هي علاقة تكامل، ما ينتج عن ذلك إمّا تكثيف دلاليّ أو اقتصاد لغويّ لا علاقة إحلال محل أو إقصاء.

• استوعبت ظاهرة العدول في صحيح البخاري كثيراً من القيم النّفسيّة والاجتماعيّة وذلك في سياقات مختلفة سواء عند المتكلم أو المتلقي؛ بل إن بعض أنواع العدول تناسب صنفاً معيناً من المكلفين دون سواهم، وهذا الجانب التّداولي لا يُمكن الإغفال عنه.

• قد نجد في بعض العدول مخالفة لقواعد النحو المعياريّ كإضافة علامة التأنيث إلى آخر الفعل الماضي مع الفاعل المذكّر أي عدم مطابقة الفعل الفاعل، ولكن هناك معانٍ لا يُمكن الوصول إليها إلا بمثل العدول الصّرفيّ، والخروج عن معيارية التركيب، فيجِلّ محله مقياس التّناسب والأفضليّة، وهذا ليس خرقاً لقواعد اللّغة العربيّة، وإنّما هو إضفاء عليها نوعاً من الجماليّة والحيويّة.

• ظاهرة العدول في الحديث النّبويّ ضرورة تفرّض عوامل متعددة فأحياناً تكون متعلقة بطبيعة المتكلّم (ﷺ)، وأحياناً أخرى بطبيعة المتلقين (الصحابه ﷺ)، وفي أحيان كثيرة إلى طبيعة الخطاب أو السّياق الذي قيلت فيه، ومعرفة كل الظروف المحيطة بالحديث تفيد في فهمه وفهم الهدف من العدول.

• إنّ توظيف العدول الصّرفيّ في الحديث النّبويّ يرجع بالأساس إلى أغراض وحكم نبويّة مقصودة، بخلاف كثير من النّصوص الأدبيّة والقصائد الشعريّة، والتي تكون الغاية منها زخرفة لفظيّة الأمر الذي يُفقدُ ظاهرة العدول محتواها.

وفي الختام أرجو من الله تعالى أن أكون قد وفّقتُ في تقديم هذه الدّراسة التي لا أرمي من ورائها سوى البحث عن الحقيقة، التي يستفيد منها الباحثون في مجال العدول الصّرفيّ. وما توفيقني إلا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب.

قائمة المصادر

والمراجع

* - القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

* - البخاري، (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل)، صحيح البخاري، دار ابن كثير،

دمشق-بيروت، ط1، 1423هـ، 2002م.

* - المصادر والمراجع:

أ- المصادر والمراجع بالعربية:

-1-

1. الأمدّي، (سيف الدّين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم بن محمد)،

الموازنة بين أبي تمام والبحتريّ، تحقيق: محمد محي الدّين عبد المطلب، مكتبة محمود

توفيق، القاهرة، (دط)، 1362هـ، 1944م.

2. ابتسام أحمد حمدان، الأسس الجماليّة للإيقاع البلاغيّ في العصر العباسيّ، دار القلم

العربي، ط1، 1418هـ، 1997م.

3. إبراهيم أنيس، طرق تنميّة الألفاظ في اللّغة، مطبعة النّهضة الجديدة، القاهرة، (دط)،

1387هـ، 1967م.

4. إبراهيم السّامرائيّ، الفعل زمانه وأبنيّته، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط3، 1403هـ،

1983م.

5. ابن الأثير، (نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشّيبانيّ، الجزريّ، أبو الفتح

ضياء الدّين) المثل السائر في أدب الكاتب، تحقيق: محي الدّين عبد الحميد، المكتبة

العصرية للطباعة والنّشر، بيروت، (دط)، (دت).

6. أحمد أحمد بدويّ، أسس النّقد اللّغويّ عند العرب، دار نهضة مصر للطباعة والنّشر

الفيحالية، القاهرة، (دط)، 1979م.

7. أحمد بن حنبل، (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشّيبانيّ)، المسند، حقّق وخرّج

أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، عادل مُرشد، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن

التركيّ، مؤسسة الرّسالة، ط1، 1421هـ، 2001م.

8. أحمد بن يحيى النجّمي، تأسيس الأحكام على ما صحّ خير الأنام، تعليق: محمد ناصر الدين الألباني، ط2، 1414هـ، 1994م.
9. أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصّرف، تحقيق: يوسف الشّيش محمد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.
10. أحمد الزّيّات، إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، محمد البحار، المعجم الوسيط، مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، دار الدّعوة، (دط)، (دت).
11. أحمد شمس الدّين، المعجم المفصّل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الجديدة، 1971م.
12. أحمد علي عبد العزيز، التّصوير البيانيّ في الحديث النبويّ، دار اليقين للنّشر والتّوزيع، المنصورة، مصر، ط1، 1435هـ، 2014م.
13. أحمد غالب الخرشة، أسلوبيّة الانزياح في النّص القرآنيّ، الأكاديميون للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1435هـ، 2014م.
14. أحمد محمد ويس، الانزياح في التّراث النّقديّ والبلاغيّ، اتّحاد الكُتّاب العرب، دمشق، (دط)، 2002م.
15. أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، مكتبة لسان العرب، القاهرة، ط5، 1998م.
16. أحمد مطلوب، فنون بلاغيّة البيان والبديع، دار البحوث العلميّة، الكويت، (دط)، 1395هـ، 1975م.
17. أحمد مطلوب، معجم النّقد العربيّ القديم، منشورات دار الشّؤون الثقافيّة العامّة، وزارة الثقافة والإعلام العراقيّة، بغداد، ط1، 1989م.
18. أرسطو، الخطّابة، ترجمة وتقديم وتعليق: عبد الرّحمن بدوي، دار الشّؤون الثقافيّة العامّة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، (دط)، (دت).
19. الأزديّ، (أبو بكر محمد بن الحسين بن الحسن بن زيد الأزديّ)، جمهرة اللّغة، المحقق: رمزيّ منير بعلبكيّ، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م.

20. أبو إسحاق ابن قرقول، (إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهرانيّ الخمريّ)، مطالع الأنوار على صحاح الآثار، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلميّ وتحقيق التراث، وزارة الأوقاف والشؤون، الإسلاميّة، دولة قطر، ط1، 1433هـ، 2012م.
21. إسماعيل أحمد عمارة، ظاهرة التّأنيث بين اللّغة العربيّة واللّغات السّاميّة دراسة لغويّة تأصيليّة، مركز الكتاب العلميّ، عمّان، الأردن، ط1، 1407هـ، 1986 م.
22. الأعرشي، (ميمون بن قيس بن جندل بن شرحبيل بن عوف بن سعد)، ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة التّمودجيّة، (دط)، (دت).
23. الألبانيّ، (محمد بن ناصر الدّين)، مصابيح التّنوير على صحيح الجامع الصّغير، إعداد وترتيب: أبو أحمد معتز عبد القادر، المكتبة العربيّة الكبرى، (دط)، (دت).
24. امرؤ القيس، (ابن حجر بن الحارث الكنديّ)، ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، 1984م.
25. إميل بديع يعقوب، المعجم المفصّل في المذكّر والمؤنّث، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ، 1994م.
26. الأنباريّ، (أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة ابن فروة)، المذكّر والمؤنّث، تحقيق وتعليق: محمد عبد الخالق عظيمة، راجعه ووضع فهارسه: رمضان عبد التّواب، المجلس الأعلى للشؤون الاجتماعيّة، القاهرة، ط1، 1419هـ، 1999م.
27. ابن الأنباريّ، (عبد الرّحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاريّ)، أبو البركات، جمال الدّين)، أسرار العربيّة، تحقيق: محمد حسين شمس الدّين، المجمع العلميّ العربيّ، (دط)، 1438هـ، 2016م.

-ب-

28. بدر الدّين العينيّ، (أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابيّ الحنفي)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، (دط)، (دت).

29. بدر الدين المرادي، (أبو محمد بدر الدين حسين بن قاسم بن عبد الله بن علي المصري المالكي)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، ط1، 1428هـ، 2008م.
30. ابن بطلال، (أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك)، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط1، 1423هـ، 2009م.
31. أبو بكر كافي، منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها (من خلال الجامع الصحيح)، شرحه: حمزة عبد الله المليباري، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ.
32. بوجمعة ستوان، بلاغة النقد وعلم الشعر في التراث النقدي، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، ط1، 2007م.

-ت-

33. تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2000م.
34. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط5، 1427هـ، 2006م.
35. توماس كارليل، الأبطال، عزبه: محمد السباعي، المطبعة الخيرية بالأزهر، القاهرة، ط3، 1349هـ، 1930م.

-ث-

36. الثعالبي، (عبد المالك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور)، فقه اللغة وأسرار العربية، ضبطه وعلق عليه وقدمه ووضع فهرسه: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط2، 1420هـ، 2000م.

-ج-

37. الجاحظ، (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكِنَاني)، البيان والتبيين، دار الفكر، بيروت، (دط)، 1968م.
38. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984م.

39. جرير، (ابن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبي اليربوعي)، ديوان جرير بن عطية، دار بيروت للطباعة والنشر، (دط)، 1406هـ، 1986م.
40. جمال الدين بن مالك الأندلسي، شواهد التوضيح والتصحیح لمشكلات الجامع الصحیح، تحقيق: طه محسن، مكتبة ابن تيمية، السعودية، ط1، 1413هـ.
41. ابن جنّي، (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1987م.
42. ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق: حسن هندايي، ط1، 1993م.
43. ابن جنّي، المذکر والمؤنث، تحقيق وتقديم: طارق نجم عبد الله، دار البيان العربي، جدة، السعودية، ط1، 1405هـ، 1985م.
44. جورج يول، التداولية، ترجمة: قصي العتايي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 1431هـ، 2010م.

-ح-

45. ابن الحاجب، (جمال الدين أبو عمرو عثمان بن الحاجب)، أمالي ابن الحاجب، تحقيق: هادي حسن الحموي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط1، 1405هـ، 1985م.
46. ابن الحاجب، الكافية في علم النحو والشافية في علمي التصريف والخط، تحقيق: صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 114هـ، 2010م.
47. الحافظ بن الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (دط)، (دت).
48. ابن حجر العسقلاني، (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد)، تعليق التعليق على صحيح البخاري، تحقيق: أبي الأشبال صغير أحمد ابن شاغف، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1416هـ.
49. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد القادر شيبه الحمد، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1421هـ، 2001م.

50. ابن أبي الحديد، (عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين)، شرح نهج البلاغة، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة (عيسى البابليّ الحلبيّ وشركاه)، (دط)، (دت).
51. حسني عبد الجليل يوسف، موسيقى الشعر، دراسة فنيّة عروضيّة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، (دط)، 1989م.
52. حمزة محمد قاسم، منار القاري، شرح مختصر صحيح البخاريّ، راجعه: عبد القادر الأرنؤوط، عُني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، الجمهورية العربيّة السوريّة، 1410 هـ، 1990م.
53. حمّو الحاج ذهبيّة، لسانيات التّلفظ وتداوليّة الخطاب، دار الأمل للطباعة والنّشر والنّوزيع، المدينة الجديدة، تيزي وزو، ط2، (دت).
- خ-
54. خالد فتح الأزهرّي، شرح التّصريح على التّوضيح أو التّصريح لمضمون التّوضيح في النّحو، تحقيق: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2000م.
55. الخطابيّ، (أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستيّ)، شرح سنن أبي داود، المطبعة العلميّة، حلب، ط1، 1351هـ، 1932م.
56. خفاف بن ندبة، شعر خفاف بن ندبة السّلميّ، جمعه وحققه: نوري حموديّ القيسيّ، مطبعة المعارف، بغداد، (دط)، 1967م.
57. الخليل بن أحمد الفراهيديّ، (أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصريّ)، العين، تحقيق: مهديّ المخزوميّ، إبراهيم السّامرائيّ، دار ومكتبة الهلال، ط1، (دت).
58. الخنساء، (تماضر بنت عمرو بن الحارث بن شريد السّلميّ)، ديوان الخنساء، اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1425هـ، 2004م.

-د-

59. الدماميني، (محمد بن أبي بكر عمر بن أبي بكر بن محمد المخزومي، القرشي، بدر الدين)، مصابيح الجامع، تحقيق وضبط وتخريج: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط1، 1426هـ، 2005م.

-ذ-

60. ابن ذريل عدنان، النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتحاد كتّاب العرب، ط1، 1989م.

61. الذهبي، (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز)، سيرة أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1402هـ.

62. ذو الرمة، (غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العداوي، من مضر، أبو الحارث)، ديوان ذو الرمة، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ، 1995م.

-ر-

63. الرازي، (فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيم البكري)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

64. الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمّان، (دط)، 1985م.

65. رتشاردز، (إيفور أرمسترونغ)، مبادئ النقد الأدبي، ترجمة: مصطفى بدوي، مراجعة: لويس عوض، سهير القلماوي، إشراف: جابر عصفور، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005م.

66. رجاء عيد، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، منشأة المعارف، الإسكندرية، (دط)، 1993م.

67. ردة الله بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1424هـ.

68. ابن رشيق القيرواني، (أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، شرح وضبط: نايف حاطوم، دار صادر، لبنان، (دط)، 1424هـ، 2003م.

69. الرّمانيّ، الخطّابيّ، الجرجانيّ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: مجد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م.
70. الرّمانيّ، (أبو الحسن علي بن عيسى بن عبد الله)، الحدود في النّحو، تحقيق: مصطفى جواد، يوسف مسكونيّ، طبعة حجرية حديثة، ط1، 1436هـ، 2015م.
71. الرّمانيّ، النّكت في الإعجاز، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، (دط)، 1968م.
72. رينيه ويلك، أوستن وارين، نظرية الأدب، ترجمة: محي الدين صبحي، مراجعة: حسام الخطيب، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعيّة، دمشق، (دط)، 1972م.
- ز-
73. الزّجاجيّ، (أبو القاسم عبد الرّحمن بن إسحاق)، اشتقاق أسماء الله، تحقيق عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط2، 1406هـ، 1986م.
74. الزّجاجيّ، الجمل، تصحيح وشرح: ابن أبي شنب، جول كربونل، الجزائر، (دط)، 1926م.
75. الزّرقاويّ، (محمد بن عبد الباقي بن يوسف المصريّ الأزهرّيّ)، شرح الزّرقاويّ على موطأ مالك، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة، ط1، 1424هـ، 2003م.
76. الزّركشيّ، (أبو عبد الله بدر الدّين محمد بن عبد الله بن بهادر)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط2، (دت).
77. الزّمخشريّ، (جار الله، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزميّ)، تفسير الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).
78. الزّمخشريّ، المفصل في علم العربيّة، مطبعة الفهد، مصر، ط1، 1323هـ.

-س-

79. سليمان عيَّاض، استخدامات الحروف العربيَّة (معجمياً-صوتياً-صرفياً-نحوياً-كتابياً)، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربيَّة السَّعوديَّة، (دط)، 1998م.
80. سيبويه، (عمرو بن عثمان بن قنبر)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ، 1988م.
81. السَّيِّد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصريَّة، بيروت، (دط)، (دت).
82. سيِّد البحراوي، دراسات أدبيَّة، العروض وإيقاع الشَّعر العربي، الهيئة المصريَّة العامة للكتاب، ط1، 1993م.
83. السيوطي، (جلال الدِّين، عبد الرَّحمن بن كمال الدِّين أبي بكر بن محمد سابق الدِّين) الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد النَّدوب، دار الفِكر، لبنان، ط1، 1416هـ، 1996م.
84. السيوطي، التَّوشيح شرح الجامع الصَّحيح، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مكتبة الرِّشد، الرياض، ط1، 1419هـ، 1998م.
85. السيوطي، حاشية السَّنديِّ على سنن النَّسائي، مكتب المطبوعات الإسلاميَّة، حلب، ط2، 1406هـ، 1986م.
86. السيوطي، عقود الزَّبرجد على مسند الإمام أحمد، حقَّقه وقَدَّم له: سليمان القضاة، دار الحِيل، بيروت، لبنان، (دط)، 1414هـ، 1994م.
87. السيوطي، اللَّمع عن أسباب ورود الحديث، إشراف: مكتب البحوث والدِّراسات في دار الفِكر للطَّباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط1، 1416هـ، 1996م.
88. السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، 1418هـ، 1998م.

-ش-

89. الشَّريف الجرجاني، (علي بن محمد بن علي الحنفي)، التَّعريفات، ضبطه وصحَّحه: جماعة من العلماء بإشراف النَّاشِر، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ، 1983م.

90. الشَّريف المرتضى، (علي بن الحسين الموسويّ، العلويّ)، أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة (عيسى البابي الحلبيّ وشركائه)، ط1، 1373هـ، 1954م.

91. شمس الدِّين البرماديّ، (أبو عبد الله محمد عبد الدائم بن موسى النّعيميّ العسقلانيّ، المصريّ الشّافعيّ)، اللامع الصّبيح لشرح الجامع الصّحيح، تحقيق ودراسة: لجنة من المحققين بإشراف: نور الدِّين طالب، دار النوادر، سوريا، ط1، 1433هـ، 2012م.

92. شمس الدِّين الكرمانيّ، (محمد بن يوسف بن سعيد)، الكواكب الدّراريّ في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط1، 1356هـ، 1937م.

93. الشنقيطيّ، (محمد الخضر بن سيّد عبد الله بن أحمد)، كوثر المعاني الدّراريّ في كشف خبايا صحيح البخاري، مؤسسة بيروت، ط1، 1415هـ، 1995م.

-ص-

94. صالح سليم عبد القادر الفاخريّ، الدّلالة الصّوتيّة في اللّغة العربيَّة، المكتب العربيّ الحديث، الإسكندريَّة، جمهوريّة مصر العربيَّة، ط1، (دت).

95. صبح عليّ عليّ، التّصوير النّبويّ للقيم الخلقية والتّشريعية في الحديث الشّريف، المكتبة الأزهرية للتّراث، القاهرة، مصر، ط1، 1423هـ، 2002م.

96. الصّديقيّ، (محمد عليّ بن محمد بن علان بن إبراهيم البكريّ الشّافعيّ)، دليل الفاتحين لطرق رياض الصّالحين، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطّباعة للنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 1425هـ، 2004م.

97. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، إشراف: أحمد مشاريّ العداويّ، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (دط)، 1992م.

98. صلاح ملا عزيز، جماليّات الإشارة النّفسيّة في الخطاب القرآنيّ، دار الزّمان، دمشق، ط1، 2010م.

-ط-

99. ابن طباطبا، (محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم)، عيار الشّعْر، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر مانع، دار العلوم بالرياض، ط1، 1405هـ، 1985م.

100. طه حسين، أحمد أمين، عبد الوهاب عزّام، محمد عوض، التّوجيه الأدبيّ، المطبعة الأميريّة، القاهرة، (دط)، 1945م.

101. الطّبيّ، (شرف الدّين الحسين بن عبد الله)، شرح الطّبيّ على مشكاة المصابيح المسمّى ب(الكاشف عن حقائق السنن)، المحقق: عبد الحميد هندراويّ، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكّة المكرّمة)، ط1، 1417هـ، 1997م.

-ع-

102. العبّاد، (عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد)، شرح الأربعين النّوويّة، دار التّوحيد للنّشر، الرياض، (دط)، (دت).

103. العبّاس بن مرداس، ديوان العبّاس بن مرداس السّلميّ، جمعه وحققه: يحيى الجبوريّ، المؤسسة العامّة للصحافة والطّباعة، دار الجمهوريّة، بغداد، (دط)، 1388هـ، 1968م.

104. عبّاس حسن، النّحو الوافيّ، دار المعارف، مصر، ط3، 1966م.

105. أبو العبّاس خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، (دط)، 1398هـ.

106. عبّاس محمود العقاد، أشتات مجتمعات في اللّغة والأدب، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1970م.

107. عبد الحميد ابن باديس، آثار ابن باديس (سبيل السّعادة والنّجاة)، تحقيق: عمار طالبيّ، دار ومكتبة الشّركة الجزائريّة، ط1، 1388هـ، 1968م.

108. عبد الحميد حسن، الألفاظ اللّغويّة وخصائصها وأنواعها، معهد البحوث والدراسات العربيّة، القاهرة، (دط)، 1971م.

109. عبد الرحمن بن حسن حنبلية، الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، دار القلم، دمشق، ط1، 1418هـ، 1998م.
110. عبد الرحمن حسن حنبلية، البلاغة العربية-أسسها، وعلومها وفنونها، وصور من تطبيقاتها، بهيكل جديد من طريف وتليد، دار القلم، دمشق، بيروت، ط1، 1416هـ.
111. عبد الرؤوف بن تاج العارفين، (زين الدين محمد بن علي بن زين العابدين بن الخدادي)، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط3، 1408هـ، 1988م.
- عبد الرؤوف بن تاج العارفين، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356هـ.
112. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار الغربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط3، 1977م.
113. عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية للطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).
114. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1413هـ، 1992م.
115. عبد القادر حسين، فن البديع، دار غريب للطباعة والنشر، ط1، 2009م.
116. عبد القاهر الجرجاني، (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد)، دلائل الإعجاز، دار الكتاب العربي، ط1، 1994م.
117. عبد القاهر الجرجاني، المفتاح في الصرف، حققه وقدم له: علي توفيق الحمد، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، عمّان، (دط)، 1405هـ، 1985م.
118. عبد الكريم الخطيب، إعجاز القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1974م.
119. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1993م.
120. عبد الله أمين، الاشتقاق، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (دط)، 1956م.

121. عبد الله بن أحمد الفاكهي، شرح الحدود النحويّة، تحقيق: المتوليّ رمضان أحمد الدّميري، مكتبة وهبة، ط2، 1993م.
122. عبد الله بن محمد الغنيمان، شرح كتاب التّوحيد من صحيح البخاري، مكتبة الدّار، المدينة المنورة، ط1، 1405هـ.
123. عبد الله بن يوسف اليّعقوب، (عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليّعقوب الجديع العزّي)، المنهاج المختصر في علمي النّحو والصّرف، مؤسسة الريان للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 1428هـ، 2007م.
124. عبد الله خضر حمد، أسلوبية الانزياح في شعر المعلقات، عالم الكتاب الحديث، إربد، الأردن، (دط)، 2013م.
125. أبو عبد الله علاء الدّين، (مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكريّ المصريّ الحكريّ الحنفيّ)، شرح سنن ابن ماجه، الإعلام بسنته عليه السّلام، تحقيق: كامل عويضة، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربيّة السّعوديّة، ط1، 1419هـ، 1999م.
126. عبد الله الغداميّ، الخطيئة والتّكفير، من البنيويّة إلى التّشريحية (قراءة نقدية لنموذج معاصر)، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط4، 1998م.
127. عبد الواحد حسن الشّيخ، العلاقات الدّلاليّة والتّراث البلاغيّ الأدبيّ، مكتبة الإشعاع الفنّيّة، الإسكندريّة، ط1، 1999م.
128. أبو عبيد معمر بن المثنّى، شرح نقائض جرير والفرزدق، تحقيق: محمد إبراهيم حور، وليد محمود خالص، المجمع التّقافيّ، أبو ظبي، الإمارات، ط2، 1998م.
129. عثمان بن عمر الكرديّ، (ابن أبي بكر الكرديّ المالكيّ)، الشّافية في علم التّصريف (ومعها الوافية نظم الشّافية للنيسابوريّ)، تحقيق: حسن أحمد عثمان، المكتبة المكيّة، مكّة، ط1، 1415هـ، 1995م.
130. ابن عصفور الإشبيليّ، (أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن أحمد بن النّحويّ الحضرميّ)، الممتع في التّصريف، تحقيق فخر الدّين قباوة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ، 1987م.

131. علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، دار المعارف، ط15، 1964م.
132. علي الجندي، فن الجناس: بلاغة-أدب-نقد، دار الفكر العربي، مصر، (دط)، 1954م.
133. علي صدر الدين بن معصوم المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، تحقيق: شاعر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف، العراق، ط1، 1389هـ، 1969م.
134. علي محمود حجّي الصرّاف، في البراجماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم لساني، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1431هـ، 2010م.
135. عمر بن أبي ربيعة، (عمر بن أبي ربيعة بن عبد الله المخزومي القرشي، أبو الخطّاب)، ديوان عمر بن أبي ربيعة، المحقق: فايز محمد، دار الكتاب العربي، ط2، 1416هـ، 1996م.
136. عمر حسن عثمان فلات، الوضع في الحديث، مكتبة الغزالي، مؤسسة مناهل العرفان، (دط)، 1401هـ، 1981م.
137. عيد بليغ، نظرية بلاغة الحديث النبوي، المكتبة العربية (دط)، (دت).
- ف-
138. ابن فارس، (أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا) الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، حقه وضبط نصوصه وقدم له: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط1، 1414هـ، 1993م.
139. ابن فارس، المذكر والمؤنث، تحقيق وتقديم وتعليق: رمضان عبد التّواب، القاهرة، ط1، 1969م.
140. فاضل صالح السامرائي، معاني الأبنية في العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، ط2، 1428هـ، 2007م.
141. فان دايك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر فيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2000م.

142. فخر الدين قباوة، تصريف الأسماء والأفعال، مكتبة المعارف، بيروت، ط2، 1408هـ، 1988م.

143. الفراء، (أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور بن مروان الأسلمي الديلمي)، المذکر والمؤنث، تحقيق وتقديم وتعليق: رمضان عبد التّواب، مكتبة دار التّراث، القاهرة، مصر، ط1، (دت).

144. فضيلة مسعودي، التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية، قراءة نافع أنموذجاً، دار حامد للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 2008م.

145. فيصل بن عبد العزيز النّجدي، (ابن حمد المبارك الحويملي)، تطريز رياض الصّالحين، المحقق: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزّير حمد آل حمد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1423هـ، 2002م.

146. فؤاد حنا طرزي، الاشتقاق، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2005م.

-ق-

147. القاري، (علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2002م.

148. القاضي البغدادي، طبقات الحنابلة، المحقق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.

149. القاضي عبد النبي الأحمد البكري، دستور العلماء: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1421هـ، 2002م.

150. ابن قتيبة، (أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري)، أدب الكاتب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، ط4، 1963م.

151. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره: أحمد صقر، المكتبة العلمية، 1393هـ، 1973م.

152. القرطبي، (أبو العباس، أحمد بن عمر الأنصاري)، المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم، تحقيق: محي الدين مستو، يوسف علي بدوي، أحمد محمد السَّيد، محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير ودار الكلم الطَّيب، (دط)، (دت).

153. القزويني، (محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي جلال الدين) الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: عبد الحميد هنداووي، مؤسسة المختار، القاهرة، مصر، ط2، 2004م.

154. القسطلاني، (أحمد بن محمد بن أبي بكر عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين)، إرشاد السَّاري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7، 1323هـ.

155. ابن القيم الجوزية، (أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزَّرعي)، فوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلوم البيان، تصحيح: محمود غانم غيث، مكتبة القاهرة، ط2، 1972م.

-ك-

156. الكحلاني، (محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسيني ثم الصنعاني أبو إبراهيم، عز الدين المعروف كأسلافه بالأمير)، التتوير شرح الجامع الصَّغير، تحقيق: محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 1432هـ، 2011م.

157. الكوراني، (أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الشَّافعي ثم الحنفي)، أحاديث البخاري، المحقق: الشَّيخ أحمد عزو عناية، دار إحياء التَّراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ، 2008م.

-م-

158. ابن ماجه، (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجه اسم أبيه يزيد)، سنن بن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيَّة، فيصل عيسى البابي الحلبي، (دط)، (دت).

159. ابن مالك، (محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبائي، أبو عبد الله جمال الدين)، ألفية ابن مالك، تحقيق: عبد الفتاح الصعدي، حسين يوسف موسى، دار الكتب المصرية، ط3، 1431هـ.
160. ابن مالك، شرح تسهيل الفوائد، المحقق: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1410هـ، 1990م.
161. ماهر مهدي هلال، جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، (دط)، 1980م.
162. المباركفوري، (أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحمانى)، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس الهند، ط3، 1404هـ، 1984م.
163. المباركفوري، من سيرة الإمام البخاري (سيد الفقهاء وإمام المحدثين)، نقله إلى العربية: عبد العليم ابن عبد العظيم السبتي، دار علم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 1422هـ.
164. محمد أسعد النادري، نحو اللغة العربية، صيدا، لبنان، ط2، 1418هـ، 1997م.
165. محمد الأمين بن عبد الله الشافعي، (الأزمي العلوي الهزري الشافعي)، الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البروفيسور هاشم محمد علي مهدي، مستشار رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، دار المنهاج، دار طوق الحياة، ط1، 1430هـ، 2009م.
166. محمد بن إبراهيم البكري، (محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي)، دليل الفاتحين لطرق رياض الفاتحين، اعتنى بها: خليل مأمون شيجا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 1425هـ، 2004م.
167. محمد بن علي الشوكاني، (محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني)، نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصبايطي، دار الحديث، مصر، ط1، 1413هـ، 1993م.

168. محمد بن علي الولوي، (ابن آدم بن موسى الإثيوبي)، شرح سنن النسائي، دار آل بروم للنشر والتوزيع، ط1، 1424هـ، 2003م.
169. محمد رجب البيومي، البيان النبوي، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1407هـ، 1987م.
170. محمد صالح الشنطي، فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه، دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل، السعودية، ط5، 1422هـ، 2001م.
171. محمد صباغ، الحديث النبوي، مصطلحه، بلاغته، كتبه، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط4، 1401هـ، 1981م.
172. محمد الصديق حسن خان، العلم الخفاق من علم الاشتقاق، ضبطه وعلق عليه: أحمد عبد الفتاح تمام، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1433هـ، 2012م.
173. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، دار توبار للطباعة، القاهرة، ط1، 1994م.
174. محمد عبد المنعم خفاجي، عبد العزيز شرف، نحو بلاغة جديدة، مكتبة غريب، (دط)، 1980م.
175. محمد علوان سالم، الإيقاع في شعر الحداثة (دراسة تطبيقية على دواوين: فاروق شوشة، إبراهيم أبو سنة، حسن طلب، رفعت سلامة)، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، (دط)، 2004م.
176. محمد علي الخولي، علم الدلالة (علم المعنى)، دار الفلاح للنشر والتوزيع، ط1، 2001م.
177. محمد عيد، نحو المصقى، مكتبة الشباب، القاهرة، ط1، 1975م.
178. محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط2، 1944م.
179. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناظر)، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992م.

180. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، (دط)، 2002 م.
181. محمود عكاشة، التحليل في ضوء علم الدلالة "دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والعجمية"، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط1، 1432هـ، 2001م.
182. محمود فجال، الحديث النبوي في النحو العربي، أضواء السلف، الرياض، ط2، 1417هـ، 1997م.
183. محمود محمد خطاب السبكي، المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود، تحقيق وتصحيح: أمين محمود محمد خطّاب، مطبعة الاستقامة، القاهرة، مصر، ط1، 1351هـ.
184. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005م.
185. مسلم، (أبو الحسين، ابن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كوشاد القشيري النيسابوري)، صحيح مسلم، راجعه: هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1422هـ، 2002م.
186. مصطفى صادق الرافعي، (مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط8، 1425هـ، 2005م.
187. مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، (دط)، (دت).
188. مصطفى صادق الرافعي، السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية، تحقيق: أبو عبد الرحمن البحتري، وائل بن حافظ بن خلف، دار البشير للثقافة والعلوم، (دط)، (دت).
189. مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، راجعه واعتنى به: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط1، (دت).
190. مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ط36، 1419هـ، 1999م.

191. مصطفى متولي شعرواي، معجزة القرآن الكريم، دار العودة، بيروت، لبنان، (دط)، 1985م.
192. أبو المظفر الشيباني، (عون الدين محمد بن هبيرة الدهلي)، الإفصاح عن معاني الصحاح، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، (دط)، 1417هـ.
193. ابن الملقن، (سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق، سوريا، ط1، 1429هـ، 2008م.
194. ابن الملك الرومي، (محمد بن عز الدين عبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدين بن فرشتا)، شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين: بإشراف نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية، ط1، 1433هـ، 2012م.
195. ابن منظور، (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
196. منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط1، 1986م.
197. موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، دار الشروق، ط1، 1423هـ، 2002م.
198. موسى شاهين لاشين، المنهل الحديث في شرح الحديث، دار المدار الإسلامي، ط1، 2002م.
199. ميخائيل رفاتير، معايير تحليل الأسلوب، ترجمة وتحقيق: حميد الحمداني، دار النجاج الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1993م.
200. ميشال عاصي، الفن والأدب، بحث في الجماليات والأنواع الأدبية، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).
- ن-
201. النابغة الذبياني، (زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن مرة بن عوف بن سعد، الذبياني، العطفاني)، ديوان النابغة الذبياني، المحقق: عباس عبد السّاتر، دار الكتب العلمية، ط3، 1416هـ، 1996م.

202. نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، منشورات مكتبة النهضة، ط3، 1967م.
203. ابن الناظم، (أبو عبد الله بدر الدين)، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتاب العلميّة، ط1، 1420هـ، 2000م.
204. نعمة رحيم الغزاوي، النّقد اللّغويّ عند العرب حتّى نهاية القرن السّابع الهجريّ، دار الحرّية للطباعة، بغداد، (دط)، 1978م.
205. النّوويّ، (أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النّوويّ)، المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط2، 1392هـ.
206. النّيسابوريّ، (أبو أسعد عبد الملك بن أبي عثمان بن محمد بن إبراهيم الخركوشيّ)، شرف المصطفى ﷺ، المحقّق: السيّد أبو عاصم نبيل بن هاشم الغمريّ آل باعلويّ، دار البشائر الإسلاميّة، ط1، 1424هـ، 2003م.

- ه -

207. ابن هشام، (عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تحقيق: يوسف الشّيبان محمد البقاعيّ، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، (دط)، (دت).

- ي -

208. اليحصبيّ، (عياض بن موسى بن عياض بن عمرو السّبتيّ، أبو الفضل)، إكمال المعلم بشرح صحيح مسلم، المحقق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، مصر، (دط)، (دت).
209. ابن يعيش، (يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السّرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدّين الأسديّ الموصليّ، المعروف بابن يعيش وبابن الصّانع)، شرح المفصل الرّمخشريّ، قدّمه وضبطه: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م.

ب- المراجع الأجنبيّة:

1. fathi.Abderrahman ,EL libro de la Escala de Mahoma :relacines y contextosespnalesdelmedievo y delRenacimients Universid Abdelmalek Essaadi.Tetuan.2003.

2. **jasé Maria** jonier, jacquesBillia y coran, traduccionespanolaForneas, Madrid,1962 ,Razon y Fe (prologodeltraductor)
3. **j – COHEN** : Structure du langagepoétique, Paris Flammarion ,1966.
4. **Larousse**،Dictionnaire encyclopidique Paris – France, 1972.
5. **Y.N.M.Z** Wemer and c.G .Myirea,S,By E.M wherrey.ISLAM and Missions,1911.

ج- المجلات والدوريات :

1. **حوليات كلية الأدب، جامعة الكويت،** توفيق علي الفيل، الفصاحة مفهومها وبما تتحقق، الرسالة السابعة والعشرين، ج6، 1985م.
2. **مجلة أم القرى العلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها،** عليان بن محمد الحازمي، علم الدلالة عند العرب، ج15، العدد 27، جمادى الثانية 1424هـ.
3. **مجلة البحوث الإسلامية،** لقاء مع الداعية البريطانية المسلم يوسف إسلام، ترجمة: محمد ابن رفيق العجمي، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، العدد 13، 1405هـ.
4. **مجلة البيان،** عبد الحميد ابن باديس، شكوى النبي ﷺ من هجر القرآن العظيم، المنتدى الإسلامي، العدد 13، ذو الحجة 1408هـ، 1988م.
5. **مجلة الثقافة العربية الليبية،** صالح أبو أصبع، ظاهرة التكرار في الشعر الحر، العدد 3، 1978م.
6. **مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ،** نص قرار المجلس لرابطة العالم الإسلامي ، القرآن الكريم دراسته وتعليمه في جميع بلاد الإسلام، العدد10، 1423هـ، 2002م.
7. **مجلة جامعة دمشق،** أميمة بدر الدين، التكرار في الحديث النبوي الشريف، المجلد 26، العدد 1، 2، 2010م.

8. مجلة الحقائق الدمشقيّة، عبد القادر بن محمد سليم الكيلانيّ، اللّغة العربيّة، العدد1، 1910/8/7م.

9. مجلة دنيا الوطن، سليمة محفوظيّ، التّكرار في الدّراسات الحجاجيّة، العدد9، 11/04 / 2011م.

10. مجلة مجمع اللّغة العربيّة، عبد القادر حامد، معاني الماضي في القرآن الكريم، مطبعة التّحرير، القاهرة، 1958م.

11. مجلة مجمع الفقه الإسلاميّ، عبد السّلام داوود العباديّ، دراسة حول الغزو التّقافيّ للعالم الإسلاميّ -بدايته-دوافعه-أبعاده، سبل مواجهته، العدد7، 1992م.

12. مجلة مركز بحوث السنّة والسّيرة، نور الدّين عتر، أهم الملامح الفنيّة في الحديث النّبويّ، قطر، العدد7، 1414هـ، 1993م.

13. محمد رشيد رضا، إعادة مجد الإسلام، مجلة المنار، غرة ذو الحجّة 1317هـ، 1 أبريل 1900م.

د- الرّسائل الجامعيّة:

1. ثائر عبد المجيد العذاريّ، الإيقاع في الشّعر العربيّ الحديث في العراق، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كليّة التّربيّة، 1989م.

2. حازم كريم عبّاس، القيم الجماليّة في الحديث النّبويّ الشّريف، دكتوراه فلسفة في اللّغة العربيّة /أدب، جامعة القادسيّة، العراق، 1432هـ، 2012م.

3. سامي عودة عبيد الخوالدة، دلالات العدول في الحديث الشّريف، ماجستير تخصص اللّغة العربيّة/لغويّات، جامعة الزّرقاء، الأردن، 2015م.

4. ماجدة صلاح حسن، العدول الصّرفيّ في القرآن الكريم، قسم اللّغة العربيّة والدراسات الإسلاميّة، جامعة السّابع من أبريل، العدد11، 2009م.

هـ - المواقع الإلكترونيّة:

1. الجاحظ، الرّسائل السّياسيّة، <https://Shamelas.was> تمت زيادة الموقع يوم 2019/07/27م.

2. حسن الزهيري (أبو الأشبال آل مندوه المنصوري)، شرح صحيح مسلم، <http://www.islamweb.net> تمت زيارة الموقع يومي 18 / 06 و 20 / 07 / 2019م.
3. الطيب أحمد حطيبة، شرح التّرجيب والتّرهيب للمنذري، تمت زيارة الموقع يوم 05 / 09 / 2019م.
4. عطية بن محمد سالم، شرح الأربعين التّوّية، <http://www.islamweb.net> تمت زيارة الموقع يوم 07 / 07 / 2019م.
5. محمد حسن عبد الغفار، شرح المقدمة الأجرومية في النحو، <http://www.islamweb.net>، تمت زيارة الموقع يومي 22 / 06 / 2019م و 13 / 02 / 2020م.

فهرس

الموضوعات

الإهداء

شكر وعرافان

أ..... مقدمة

12..... توطئة

16..... مدخل: العدول الصّرفي؛ مفهومه، أبعاده وأغراضه

20..... 1- مفهومه:

24..... 2- أبعاده وأغراضه:

38..... 3- نبذة مختصرة للإمام البخاري وكتابه الصّحيح.

44..... 4- العدول الصّرفي عند اللّغويين العرب.

48..... 5- العدول الصّرفي عند اللّغويين الغربيين المعاصرين:

الفصل الأول: أنماط العدول الصّرفي وصوره الواردة في صحيح البخاري

52..... المبحث الأول: العدول الفعلي.

53..... أولاً- العدول عن الماضي إلى المستقبل:

55..... ثانيًا- العدول عن المضارع إلى الماضي:

59..... ثالثًا: العدول بين المضارع والأمر.

60..... المبحث الثاني: العدول الاسمي.

61..... أولاً- العدول في الجنس:

67..... ثانيًا- العدول في العدد:

79..... ثالثًا- العدول بين المعرفة والنكرة:

83..... رابعًا- العدول بين الضمائر:

91..... خامسًا- العدول في المصادر والمشتقات:

المبحث الثالث: العدول بين الفعل والاسم 109

أولاً- العدول عن الفعل إلى الاسم: 109

ثانياً- العدول عن الاسم إلى الفعل: 110

الفصل الثاني: الدلالة الإيقاعية للعدول

المبحث الأول: العدول الصرفي ذو الأثر الإيقاعي المحض 132

1- السجع: 132

2- الجناس: 141

3- التكرار: 141

المبحث الثاني: العدول الصرفي الذي يجمع بين الدلالة والإيقاع 144

1- السجع: 144

2- الجناس: 148

3- التكرار: 152

المبحث الثالث: ارتباط الدلالة بالإيقاع في الصور البديعية في الخطاب النبوي من خلال

صحيح البخاري 170

1- السجع: 171

2- الجناس: 175

3- التكرار: 181

خلاصة الفصل: 187

الفصل الثالث: الدلالة المعنوية للعدول الصرفي في صحيح البخاري

المبحث الأول: العدول الاسمي 191

أولاً: العدول في الجنس 192

ثانياً: العدول في العدد 198

208	ثالثاً: العدول بين المعرفة والنكرة
210	رابعاً: العدول بين الضمائر
216	خامساً: العدول في المصادر والمشتقات
228	المبحث الثاني: العدول الفعلي
233	أولاً- عدول الماضي إلى المستقبل:
231	ثانياً: عدول عن المضارع إلى الماضي
232	ثالثاً: عدول بين المضارع والأمر
234	المبحث الثالث: العدول بين الفعل والاسم
235	أولاً: العدول عن الفعل إلى الاسم
237	ثانياً: العدول عن الاسم إلى الفعل
239	خلاصة الفصل:

الفصل الرابع: الدلالات التداولية للعدول الصرفي في صحيح البخاري

	المبحث الأول: الأفعال الإنجازية الكلامية ودورها في تداول الخطاب النبوي من خلال صحيح البخاري
241	المبحث الثاني: أصناف الفعل الكلامي
252	أولاً: التقريرات أو الإخباريات (Asseritioes)
256	ثانياً: الوعديات أو الالتزاميات (Commissives)
259	ثالثاً: التوجيهات أو الأمريات (Directives)
262	رابعاً: التعبيرات أو البوحيات (Expressives)
265	خامساً: الإعلاميات (Declarations)
268	المبحث الثالث: حال المخاطب والمخاطب
269	أولاً: خطاب الملائفة أو المؤانسة

272 ثانياً: خطاب المُواجهَة
275 ثالثاً: خطاب التّرعيب
279 رابعاً: خطاب التّرهيب
285المبحث الرابع: المناسبة والسّياق
286 أولاً: السّياق القَبليّ
288 ثانياً: السّياق البَعديّ
290 خلاصة الفصل:
291الخاتمة
295 قائمة المصادر والمراجع
320 فهرس الموضوعات
326 ملخص:

المُلخَص

ملخص:

يُعد صحيح البخاري من أهم المصادر الثريّة بظاهرة العدول الصّرفيّ ومدلولاتها المعنويّة، وأبعادها المختلفة؛ الأمر الذي زاد من جماليّة الحديث النّبويّ فصار أكثر حيويّة، فقد حتمّت جماليّة الحديث النّبويّ وحيويّته على الدّارس بذل قصارى جهده لمعرفة ما يتضمّنه من أصناف العدول المختلفة.

لقد تنوعت مظاهر العدول بين العدول الفعليّ والاسميّ، وما بينهما، فتناولت الصّيغ الفعلية أزمنة الفعل المختلفة، والصّيغ الاسميّة تعددت بين عدول في الجنس والعدد والعدول بين النّكرة والمعرفة، وبين الضّمائر، وفي المصادر والمصادر والمشتقات، فالعدول بين هذه الصّيغ له دلالة معنويّة؛ قد تكون واضحة في بعض الأحاديث، وقد لا تكون كذلك في بعضها الآخر فتحتاج إلى بحث تتضافر فيه عدة علوم للوصول إلى المبتغى من هذا العدول.

هناك علاقة بين الدّلالة والإيقاع في العدول الصّرفيّ، وهذا ما أكسب الحديث النّبويّ نوعاً من الجماليّة، وقد انحصر الإيقاع في صحيح البخاري في ثلاثة أصناف وهي: الجناس والسّجع والتّكرار.

للأفعال الكلاميّة دور في تداول الخطاب النّبويّ في صحيح البخاري، وقد قُسمت أصناف الفعل الكلاميّ في الحديث النّبويّ إلى خمسة أصناف-حسب تقسيم "سيرل"-وهي التّقريرات والوعديات والتّوجيهات والتّعبيرات والإعلاميات، كما روعيّ حال المخاطب، فتراوحت الأساليب بين ملاطفة ومواجهة، وترغيب وترهيب، وهذا دون إغفال المناسبة والسياق، وقد وجدنا في صحيح البخاري أحاديث تتضمّن السياق القبليّ وأخرى السياق البعديّ.

Résumé:

L'authentique de Bukhâri est considéré comme la plus importante source riche en écart lexical et ses signifiés dans toutes ses dimensions.

Attiré par l'esthétique et la vivacité de la tradition (hadîth) du prophète [qpsl], le chercheur ne peut s'empêcher de fournir tout effort pour connaître et profiter des différentes formes d'écart lexical qu'elle contient.

Celui-ci variant entre le nominal, le verbal, les formes verbales passent par différents temps, alors que les nominales ont épuisé tous les écarts qu'il soit en genre, en nombre, entre l'indéfini et le défini et entre les prénoms.

Ainsi que dans les substantifs et les formes analogiques. Les significations de cet écart différents, elles peuvent être évidentes dans quelques hadiths; comme elles peuvent être obscures dans d'autre exigeant une interdisciplinarité pour aboutir à ses fins.

En plus il y a une relation entre la signification et le rythme ce qui a fourni au hadîth une esthétique spécifique.

La rythmique du hadîth est construite sur trois exercices de stylistique : l'homonymie, la rime et le tempo (répétition, refrain).

Les paroles du Prophète ont chacune son rôle selon la situation et le récepteur.

En leur appliquant le classement de "Serel" on peut les diviser en :

- Prédicat - Avertissements – Orientation – Expression - Information. Chez Bukhâri on trouve des situations prédictives et d'autres déductives.